السيرة النبوية
لابن هشام

حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها

مصطفى السقا
المدرس بكلية الآداب
بالجامعة المصرية

ابراهيم الأبيارى
المدرس بالمدارس
الأميرية

عبد الحفيظ شلبى
المدرس بالمدارس
الأميرية

الجزء الرابع

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م / ٦٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

فرح الرسول بقدوم جعفر

قال ابن هشام :

وذكر سُفيان بن عُيَينة عن الأجْلح عن الشَّعْبي :

أن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه قدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم فتح خَيْبر ، فقبّل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين عَيْنيه ، والتزمه وقال : ما أدرى بأيّهما أنا أسَرُّ : بفتح خَيْبر أم بقدوم جعفر ؟

مهاجرة الحبشة الذين قدم بهم عمرو بن أمية

قال ابن إسحاق :

وكان مَنْ أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بعث فيهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى النجاشيّ عمرَو بنَ أُمية الضَّمْرى ، فحملهم فى سَفِينتين ، فقَدِم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحُدَيبية :

من بنى هاشم

مِن بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبي طالب بن عَبْد المُطّلب ، معه امرأته أسماء بنة عُمَيس الخَثْعمية ؛ وابنه عبد الله بن جَعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة . قُتل جعفر بمُؤتة من أرض الشام أميراً لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، رجل .

من بنى عبد شمس

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سَعيد بن العاص بن أُمية ابن عبد شَمْس ، معه امرأته أُمينة بنت خَلَف بن أسْعد ـ قال ابن هشام :

ويقال : هُمينة بنت خلف ـ وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة . قُتل خالد بَمرْج الصُّفَّر[1] فى خلافة أبى بكر الصدّيق بأرض الشام ؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صَفْوان ابن أُمية بن محرِّث الكِنانى ، هلكت بأرض الحبشة . قُتل عمرو بأَجْنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

شعر سعيد ابن العاص لابنه عمرو

ولعمرو بن سَعيد يقول أبوه سَعيد بن العاص بن أمية أبو أُحَيحة :

ألا ليتَ شِعْرى عنك يا عمرو سائلاً ... إذا شَبَّ واشتدّت يَداه وسُلِّحَا[2]
أتترك أمرَ القوم فيــه بَلابل ... تكشف غيظاً كان فى الصّدر مُوجَحا[3]

شعر أبان ابن العاص لأخويه خالد وسعيد ، ورد خالد

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سَعيد بن العاص ، حين أسلما ، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظُّرَيبة ، من ناحية الطائف ، هلك فى مال له بها :

ألا ليت مَيْتا بالظُّريبــةِ شاهدُ ... لما يَفْتَرِى[4] فى الدين عمرو وخالدُ
أطاعا بنا أمرَ النِّساء فأَصْــبَحا ... يُمينان من أعدائنا من نُكايد[5]

فأجابه خالد بن سعيد ، فقال :

أخى ما أخى لاشاتمٌ أنا عِرْضَــه ... ولا هو من سُوء المَقالة مُقْصِرُ
يقولُ إذا اشتدَّت[6] عليه أمورُه ... ألا لَيتَ مَيْتاً بالظرَيْبة ينشَر
فَدَعْ عنك ميتاً قد مَضَى لسبيلِه ... وأَقْبِل عَلَى الأدنى الذى هو أفقر

ومُعَيْقيب بن أبى فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المُسلمين ، وكان إلى آل سعيد بن العاص ؛ وأبو موسى الأَشْعرى عبد الله بن قيس ، حليف آل عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أربعة نفر

---

(١) مرج الصفر (بالضم وتشديد الفاء) : موضع بدمشق . وفيه يقول خالد بن سعيد :
هل فارس كره النزال يعيرنى ... رمحا إذا نزلوا بمرج الصفر
(٢) سلح : ألبس السلاح (بالبناء للمجهول فيهما) .
(٣) البلابل : التخليط والاضطراب . وموجحا : أى مستورا .
(٤) الافتراء : الكذب . قال أبو ذر : « ومن رواه يقترى (بالقاف) فمعناه : يتتبع » .
(٥) فى معجم البلدان : « كل كايد » .
(٦) فى شرح السيرة لأبى ذر : « اشتتت » أى تفرقت .

من بنى أسد — ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَى: الأسود بن نوفل بن خُويلد، رجل.

من بنى عبد الدار — ومن بنى عبد الدار بن قُصَى : جَهْم بن قيس بن عبد شُرَحبيل، معه ابناه عمرو بن جَهْم وخُزيمة بن جهم، وكانت معه امرأته أم حَرْملة بنت عَبْد الأسود، هلكت بأرض الحبشة، وابناه لها، رجل.

من بنى زهرة — ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : عامر بن أبي وقّاص، وعُتبة بن مسعود، حليف لهم من هُذيل، رجلان.

من بنى تيم — ومن بنى تَيْم بن مُرّة بن كعب : الحارث بن خالد بن صَخْر، وقد كانت معه امرأته رَيطة بنت الحارث بن جُبيلة، هلكت بأرض الحبشة، رجل.

من بنى جمح — ومن بنى جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عثمان بن رَبيعة بن أُهْبان، رجل.

من بنى سهم — ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب، مَحْمِيَّة بن الجَزْء،[1] حليف لهم من بنى زُبيد، كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، جعله على خُمُس المسلمين، رجل.

من بنى عدى — ومن بنى عَدِىّ بن كعب بن لؤى : مَعْمر بن عبد الله بن نَضْلة، رجل.

من بنى عامر — ومن بنى عامر بن لُؤىّ بن غالب : أبو حاطب بن عَمْرو بن عبد شمس؛ ومالك بن ربيعة بن قَيْس بن عبد شمس، معه امرأته عَمْرة بنت السعْدِى ابن وَقْدان بن عَبْد شمس، رجلان.

من بنى الحارث — ومن بنى الحارث بن فِهْر بن مالك : الحارث بن عبد قَيْس بن لَقيط، رجل. وقد كان حُمِل معهم فى السَّفِينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين.

عدة من حملهم أمية — فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أُميه الضَّمْرى فى السفينتين، فجميع من قَدِم فى السفينتين إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ستةَ عشر رجلا.

---

(١) يروى بتشديد الزاى غير مهموز، والصواب فيه الهمز. وكذا قيده الدارقطنى. (راجع شرح السيرة لأبى ذر).

سائر مهاجرة الحبشة

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ولم يقدَم إلا بعد بدر ، ولم يَحْمل النجاشى فى السفينتين إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومن قدم بعد ذلك ومن هلك بأرض الحبشة ، من مُهاجرة الحبشة :

من بنى أمية

من بنى أمية بن عبد شَمْس بن عبد مناف : عُبيد الله بن جَحْش بن رِئاب الأسْدى ، أسْد خزيمة ، حليف بَنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أمّ حَبيبة بنت أبى سُفيان ، وابنته حَبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تُكنى أم حَبيبة بنت أبى سفيان ، وكان اسمها رَمْلة .

تنصر ابن جحش بالحبشة وخلف الرسول على امرأته

خرج مع المُسلمين مُهاجراً ، فلما قَدِم أرضَ الحبشة تنصّر بها وفارق الإسلام ، ومات هُنالك نصْرانياً ، فخَلَف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على امرأته من بعده : أم حَبيبة بنت أبى سُفيان بن حرب

قال ابن إسحاق : حدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عُروة قال :

خرج عُبيد الله بن جَحْش مع المُسلمين مُسْلِما ، فلما قدم أرضَ الحبشة تنصّر ، قال : فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم قال : فقّحنا[1] وصأصأتم ، أى قد أبصرنا وأنتم تَلْتمسون البصر ولم تُبْصِروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عَينيه للنظر صَأصأ قبل ذلك ، فضرب ذلك له ولهم مثلا . أى أنّا قد فتّحنا أعيُننا فأبصرنا ولم تفتحوا أعينكم فتُبْصروا ، وأنتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق :

وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خُزَيمة ، وهو أبو أمية[2] بنت قَيْس التى كانت مع أم حَبيبة ؛ وامرأته بركة بنت يَسار ، مولاة أبى سُفيان بن حرب ، كانتا ظِئْرَى[3] عُبيد الله بن جحش ؛ وأمّ حَبيبة بنت أبى سُفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجر إلى أرض الحبشة ، رجلان[4] .

(١) فى ا : « فقحنا » ويقال : فقح الجرو : وذلك إذا فتح عينيه أول مايفتح وهو صغير .
(٢) كذا فى الأصول . ولم نعثر لها على ذكر فى المراجع التى بين أيدينا .
(٣) الظئر : المرأة التى ترضع ولد غيرها . ورواية هذه العبارة فى الاستيعاب فى ترجمة قيس هذا : « كانت ظئرا لعبيد الله بن جحش وأم حبيبة » .
(٤) فى م ، ر : « رجل » وهو تحريف .

من بنى أسد ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَى : يزيد بن زَمَعة بن الأسود ابن المُطّلب بن أسد ، قُتل يوم حُنين مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شهيدا ؛ وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، هلك بأرض الحبشة ، رجلان .

من بنى عبد الدار ومن بنى عَبْد الدار بن قُصى : أبو الرُّوم بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ؛ وفِراس بن النَّضر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة بن عَبْد مناف ابن عبد الدار ، رجلان .

من بنى زهرة ومن بنى زُهرة بن كِلاب بن مُرّة : المطّلب بن أزهر بن عبد عوف ابن عبد [بن[1]] الحارث بن زُهرة ، معه امرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن ضُبيرة ابن سُعيد بن سَعْد بن سهم ، هلك بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عبدَ الله ابن المطلب ، فكان يقال : إن كان لأوّلَ رجل وَرِث أباه فى الإسلام ، رجل .

من بنى تيم ومن بنى تيم بن مُرّة بن كعب بن لؤى : عمرو بن عُثمان بن عَمرو بن كعب بن سَعْد بن تيم ، قتل بالقادِسيّة مع سعد بن أبى وقّاص ، رجل .

من بنى مخزوم ومن بنى مخزوم بن يقَظة بن مُرة بن كعب : هَبّار بن سفيان بن عبد الاسد ، قتل بأجْنادِين من أرض الشام ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ؛ وأخوه عبد الله ابن سُفيان ، قتل عام اليَرْموك بالشام ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يشك فيه أقتل ثَمّ أم لا ؛ وهشام[2] بن أبى[3] حذيفة بن المُغيرة ، ثلاثة نفر .

من بنى جمح ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : حاطب بن الحارث ابن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المُجَلَّل[4] . هلك حاطب هنالك مُسلما ، فقَدِمت امرأته وابناه ، وهى أمهما ، فى إحدى السفينتين ؛ وأخوه حطّاب بن الحارث ، معه امرأته

---

(١) زيادة عن ا والاستيعاب .

(٢) قال ابن عبد البر بعد ماساق هذا الاسم نقلا عن ابن إسحاق : « إلا أن الواقدى كان يقول : هاشم بن أبى حذيفة ، ويقول « هشام » وهم ممن قاله . ولم يذكره موسى ابن عقبة ولا أبو معشر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة » .

(٣) فى ا : «ابن حذيفة» وهو تحريف . (راجع الاستيعاب) .

(٤) كذا فى أكثر الأصول والاستيعاب . وفى ا : « المحلل » بالحاء المهملة .

فُكَيهة بنت يسار، هلك هنالك مُسلما ، فقدمت امرأته فُكيهة فى إحدى السفينتين؛ وسُفيان بن مَعْمر بن حَبيب ، وابناه جُنادة وجابر ، وأمهما معه حَسنة[1] ، وأخوهما لأمهما شُرَحبيل بن حَسنة . وهلك سفيان وهلك ابناه جُنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ستة نفر .

من بنى سهم

ومن بَنى سهْم بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عبد الله بن الحارث ابن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم الشاعر ، هلك بأرض الحبشة ، وقيس ابن حُذافة بن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ؛ وأبو قَيْس بن الحارث ابن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، قتل يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ؛ وعبد الله بن حُذافة بن قَيس بن عدىّ بن سعد ابن سهم ، وهو رسولُ [رسول[3]] الله صلّى الله عليه وسلم إلى كسرى ؛ والحارث بن الحارث بن قيس بن عدىّ ؛ ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدى ؛ وبِشر بن الحارث بن قيس بن عدى ؛ وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له سعيد بن عمرو ، قتل بأجْنادين فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ؛ وسعيد بن الحارث بن قيس ، قتل عام اليَرْموك فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ؛ والسائب بن الحارث بن قيس ، جُرح بالطائف مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ، وقتل يوم فِحْل[4] فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، ويقال : قتل يوم خيْبر ، يُشك فيه ؛ وعُمير بن رئاب بن حُذَيفة بن مِهْشم بن سعد بن سهم ، قتل بعَيْن التمر مع خالد بن الوليد ، مُنْصَرَفه من اليمامة ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، أحد عشر رجلا .

---

(١) نص هذه العبارة فى الاستيعاب نقلا عن ابن إسحاق : « ومعه ابناه جابر بن سفيان وجنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حسنة ، وهى أمهما » .

(٢) فى الأصول هنا وفيما سيأتى : « سعيد» وهو تحريف . قال السهيلى : « وحيثما تكرر نسب بنى عدى بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إسحاق « سعيد » ، والناس على خلافه ، إنما هو سعد ، وإنما سعيد بن سهم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم . وفى سهم سعيد آخر ، وهو ابن سعيد المذكور » .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) فحل (بكسر أوله وسكون ثانيه) : موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم ، وكان يوم فحل بعد فتح دمشق بعام واحد ، (راجع معجم البلدان) .

من بني عدى

ومن بنى عدىّ بن كعب بن لؤى : عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان ابن عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عدىّ بن كعب ، هلك بأرض الحبشة ؛ وعدىّ ابنَ نضْلة بن عبد العُزّى بن حُرْثان ، هلك بأرض الحبشة ، رجلان .

تولية عمر النعمان على ميسان ثم عزله

وقد كان مع عدىّ ابنه النعمان بن عدّى ، فقدم النعمان مع من قَدِم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب فاستعمله على مَيْسان ، من أرض البَصْرة ، فقال أبياتاً من شعر ، وهى :

ألا هل أَتى الحَسْناء أنّ حَليلَها ... بمَيْسان يُسْقَى فى زُجَاجٍ وحَنْتَمَ[1]
إذا شئْتُ غَنَّتْنِى دَهاقِين[2] قَرْيةٍ ... ورَقَّاصَةٌ[3] تجذُو على كلِّ مَنْسِمِ[4]
فإنْ كنت نَدْمانِى فبالأَكْبر اسقِنِى ... ولا تَسْقِنِى بالأصغر المُتثلِّمِ
لعلّ أميرَ المؤمنين يَسُوءه ... تنادُمنا فى الجَوْسَقِ المُتهدِّمِ[5]

فلما بلغت أبياتُه عمر قال : نعم والله ، إن ذلك ليَسُوءنى ، فمن لقيه فليُخْبره أنّى قَد عَزلْته ، وعَزله . فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال : والله ياأمير المؤمنين ، ماصنعت شيئاً مما بلغك أنى قلتُه قط ، ولكنى كنت امرأ شاعراً ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء ؛ فقال له عمر : وايم الله ، لاتعملُ لى على عمل مابقيتُ وقد قلتَ ماقلت[6] .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فِهْر : سَلِيط بن عمرو بن عبد شمس ابن عبدّود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وهو كان رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوْذة بن على الحَنَفى باليمامة ، رجل .

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن عبد غَنْم بن زُهير

(١) الحليل : الزوج . والحنتم : جرار مدهنة بخضرة تضرب إلى الحمرة .
(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو العارف بأمور القرية ومنافعها ومضارها .
(٣) يروى : « وصناجة » . والصناجة : التى تضرب بالصنج ، وهو من آلات الغناء .
(٤) تجذو : تبرك على ركبتيها . ويريد بالمنسم : طرف قدمها . وأصل المنسم للبعير ، وهو طرف خفه ، فاستعاره هنا للإنسان . ورواية هذا الشطر الأخير فى معجم البلدان عند الكلام على « ميسان » :

وصناجة تجثو على حرف منسم

(٥) الجوسق : البنيان العالى ، ويقال هو الحصن . وهذه الأبيات كتبها النعمان إلى امرأته ، وكان قد أرادها على الخروج معه إلى ميسان فأبت عليه .
(٦) لم يول عمر من قومه بنى عدى ولاية قط غيره ، لما كان فى نفسه من صلاحه

ابن أبى شدّاد ؛ وسعد بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامر بن أمية بن ظَرِب بن الحارث ابن فهر ، وعِياض بن زُهير بن أبى شدّاد ، ثلاثة نفر .

فجميع من تخلّف عن بَدْر ، ولم يَقدم على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم مكة ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السَّفينتين ، أربعة وثلاثون رجلا .

الهالكون منهم

وهذه تسمية [جملة[1]] من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من عبد شمس

من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عُبيد الله بن جَحْش بن رئاب ، حليف بنى أمية ، مات بها نَصْرانيا .

من بنى أسد

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَى : عمرو بن أمية بن الحارث ابن أسد .

من بنى جمح

ومن بنى جُمح : حاطب بن الحارث ؛ وأخوه حطّاب بن الحارث .

من بنى سهم

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبد الله بن الحارث ابن قيس .

من بنى عدى

ومن بنى عدىّ بن كعب بن لؤى : عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان ابن عوف ، وعَدِىّ بن نضْلة ، سبعة نفر .

من الأبناء

ومن أبنائهم ، من بنى تَيْم بن مُرّة : موسى بن الحارث بن خالد ابن صَخْر بن عامر ، رجل .

مهاجرات الحبشة

وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قدم مِنْهن ومن هلك هنالك ، ستّ عشرةَ امرأة ، سوى بناتهن اللاتى ولدن هنالك ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ، ومن خرج به معهن حين خَرجن :

من قريش

من قريش ، من بنى هاشم : رُقية بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

من بنى أمية

ومن بنى أمية ، أمّ حبيبة بنت أبى سُفيان ، معها ابنتُها حَبِيبة ، خرجت بها من مكّة ، وَرجعت بها معها .

من بنى مخزوم

ومن بنى مخزوم : أم سَلمة بنْة أبى أمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سَلمة ، ولدتها هنالك .

---

(١) زيادة عن ا .

من بنى تيم

ومن بنى تيم بن مُرّة : رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيلة ، هلكت بالطريق ، و بنتان لها كانت ولدتهما هنالك : عائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث، هلكن جميعاً وأخوهن موسى بن الحارث ، من ماء شربوه فى الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرُها ، يقال لها فاطمة .

من بنى سهم

ومن بنى سهم بن عمرو : رَمْلة بنت أبى عَوْف بن ضُبيرة .

من بنى عدى

ومن بنى عدىّ بن كعب : ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لؤى : سودة بنت زَمَعة بن قيس ؛ وسهلة بنت سُهيل ابن عمرو ، وابنة المجلّل[1] ، وعمرة بنت السَّعْدى بن وقدان ؛ وأم كُلثوم بنت سُهيل ابن عمرو .

من غرائب العرب

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عُمَيس بن النعمان الخَثْعمية ؛ وفاطمة بنت صَفْوان بن أمية بن مُحرِّث الكِنانية ، وفُكَيهة بنت يسار ، و بركة بنت يسار ، وحَسنة ، أم شُرحبيل بن حسنة .

أبناؤهم بالحبشة

وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة .

من بنى هاشم

من بنى هاشم : عبدُ الله بنَ جعفر بن أبى طالب .

من عبد شمس

ومن بنى عبد شمس : محمد بن أبى حُذَيفة ، وسعيد بن خالد بن سَعِيد ، وأخته أمة بنت خالد .

من بنى مخزوم

ومن بنى مخزوم : زينت بنت أبى سَلمة بن الأسد .

من بنى زهرة

ومن بنى زهرة : عبد الله بن المطلب بن أزْهر .

من بنى تيم

ومن بنى تيم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث . وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

الذكور منهم

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جَعفر ، ومحمد بن أبى حُذَيفة ، وسعِيد ابن خالد ، وعبد الله بن المطّلب ، وموسى بن الحارث .

الإناث منهم

ومن النساء خمس :

---

(١) فى ا : « المحلل » .

أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبى سَلمة ، وعائشة وزينت وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر

عمرة القضاء

في ذى القعدة سنة سبع

خروج الرسول معتمرا فى ذى القعدة

قال ابن إسحاق :

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر أقام بها شهرى ربيع وجُمادَيَيْن ورجبا وشعبان ورمضان وشوالا ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم . ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً عُمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدّوه عنها .

قال ابن هشام :

ابن الأضبط على المدينة

واستعمل على المدينة عُويف بن الأضبط الدّيلى[1] .

سبب تسميتها بعمرة القصاص

ويقال لها عمرة القِصاص ، لأنهم صدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ستّ ، فاقتصّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة ، فى الشهر الحرام الذى صدّوه فيه ، من سنة سبع[2] .

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله فى ذلك : «وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ» .

خروج المسلمين الذين صدوا أولا معه

قال ابن إسحاق :

وخرج معه المسلمون ممن كان صُدّ معه فى عُمرته[3] تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهلُ مكة خرجوا عنه ، وتحدّثت قُريش بينها أن محمداً وأصحابَه فى عُسرة وجهد وشدّة .

سبب الهرولة بين الصفا والمروة

قال ابن إسحاق : فحدّثنى من لا أتهم عن ابن عبّاس قال :

صَفّوا له عند دار النّدوة ليَنْظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله

---

(١) وعند الواقدى أن الذى استعمل على المدينة هو أبو رهم .

(٢) كما تسمى أيضا : عمرة القضية وعمرة الصلح . (راجع شرح المواهب) .

(٣) كانت عدة المسلمين ألفين سوى النساء والصبيان .

صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع[1] بردائه، وأخرج عَضُدَه اليمنى، ثم قال: رحم الله امرأً أراهم اليومَ من نفسه قوةً، ثم استلم الرُّكن، وخرج يُهَرْوِل[2] ويهرول أصحابُه معه، حتى إذا واراهُ البيت منهم، واستلم الركنَ اليمانىّ، مشى حتى يستلم الركن الأَسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطوافٍ، ومشى سائرَها.

فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحَىّ من قريش للذى بلغه عنهم، حتى إذا حجّ حِجّة الوداع فلزمها، فمضت السّنة بها.

ارتجاز ابن رواحة وهو يقود ناقة الرسول

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بنُ أبى بَكر:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبد الله بنُ رواحة آخذ بخطام[3] ناقته يقول:

خَلُّوا بنى الكُفّار عن سبيلِهِ خلّوا فكلُّ الخير فى رسوله
يارَبِّ إنى مؤمنٌ بقيلِه[4] أعرف حقَّ الله فى قَبُوله
نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله[5]
ضربًا يُزيل الهام عن مَقيله ويُذهِل الخليل عن خليله

قال ابن هشام: «نحن قتلناكم على تأويله» إلى آخر الأبيات، لعمّار بن ياسر فى غير هذا اليوم[6]، والدليل على ذلك أن ابنَ رواحةَ إنما أراد المشركين، والمشركون لم يُقِرُّوا بالتنزيل، وإنما يُقْتَل على التأويل[7] من أقر بالتنزيل.

(1) اضطبع بردائه: أدخل بعضه تحت عضده اليمنى، وجعل طرفه على منكبه الأيسر.
(2) الهرولة: فوق المشى ودون الجرى.
(3) الخطام: الذى تقاد به الناقة.
(4) قيله: قوله.
(5) أى نحن نقاتلكم على إنكار تأويله، كما قتلناكم على إنكار تنزيله.
(6) أى يوم صفين، يوم قتل عمارُ بن ياسر.
(7) كذا فى م، ر. وفى ا: «على التنزيل».

زواج الرسول بميمونة

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبانُ بن صالح وعبد الله بن أبى نَجيح ، عن عطاء ابن أبى رباح ومجاهدٍ أبى الحجاج ، عن ابن عباس :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّج ميمونةَ بنتَ الحارث فى سفره ذلك وهو حَرَام ، وكان الذى زوّجه إياها العباسُ بنُ عبد المطلب .

قال ابن هشام :

وكانت جعلت أمرَها إلى أختِها أمّ الفَضْل ، وكانت أمُّ الفضل تحت العباس ، فجعلت أمُّ الفضل أمرَها إلى العباس ، فزوجها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة[1] ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم

إرسال قريش حويطبا إلى الرسول يطلب منه الخروج من مكة

قال ابن إسحاق .

فأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة ثلاثا، فأتاه حُوَيْطِب بنُ عبدالعزى ابن أبى قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ، فى نفر من قريش ، فى اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكّلته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ؛ فقالوا له : إنّه قد انقضى أجلُك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبى صلّى الله عليه وسلّم: وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ؟ قالوا: لاحاجة لنا فى طعامك ، فاخرج عنا . فخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وخلّف أبَا رافعٍ مولاه على ميمونة ،حتى أتاه بها بسَرِف[2] ، فبنى بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم هنالك ، ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة فى ذى الحجة .

ما نزل من القرآن فى عمرة القضاء

قال ابن هشام :

فأنزل الله عزّ وجلّ عليه ، فيما حدثنى أبو عبيدة : «لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَالَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً » . يعنى خيبر .

---

(١) هذه الكلمة : « بمكة » ساقطة فى ا .

(٢) سرف (ككتف) : موضع قرب التنعيم .

ذكر غزوة مؤتة[1]

في جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

قال ابن إسحاق :

فأقام بها بقية ذي الحجة ، ووَلِيَ تلك الحجّةَ المشركون ، والمحرم وصفرا وشهري ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثَه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

بعث الرسول إلى مؤتة واختياره الأمراء

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة ابن الزبير قال :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعْثَه إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيدَ بنَ حارثة وقال : إن أُصيب زيدٌ فجعفرُ بن أبي طالب على الناس ، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بنُ رواحة على الناس[2] .

بكاء ابن رواحة مخافة النار وشعره للرسول

فتجهز الناسُ ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجُهم ودّع الناسُ أمراءَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم وسلّموا عليهم . فلما ودع عبدُ الله ابنُ رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بكى ؛ فقالوا : مايُبكيك يابن رواحة ؟ فقال : أمَا والله مابي حبُّ الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آيةً من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا » فلستُ أدري كيف لي بالصَّدَر بعد الورود ؛ فقال المسلمون : صَحِبَكم الله ودفع عنكم ، وردّكم إلينا صالحين ؛ فقال عبد الله بن رواحة :

لكنني أسألُ الرحمنَ مغفرةً ... وضربةً ذات فَرْغٍ تقذفُ الزَّبَدا[3]

---

(١) مؤتة (مهموزة الواو . وحكى فيه غير الهمز) : قرية من أرض البلقاء من الشام . وتسمى أيضا غزوة جيش الأمراء ، وذلك لكثرة جيش المسلمين فيها وما لاقوه من الحرب الشديد مع الكفار . (راجع السهيلي ، والنهاية ، وشرح أبي ذر ، وشرح المواهب) .

(٢) وزاد الزرقاني : « فإن قتل فليتربص المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم » .

(٣) ذات فرغ : ذات سعة . والزبد هنا : رغوة الدم . (عن أبي ذر) .

أو طعنةً بيدَىْ حَرّانَ مُجهِزةً ... بحَرْبة تُنْفِذ الأحشاءَ والكَبِدا[1]

حتى يُقال إذا مرُّوا على جَدَثى ... أرشدَه[2] الله من غازٍ وقد رَشَدا[3]

قال ابن إسحاق :

ثم إن القوم تهيئوا للخروج ، فأتى عبدُ الله بن رواحة رسول الله صلّى الله عليه وسلم فودعه ، ثم قال :

فثبّتَ اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ ... تَثْبيتَ موسى ونصْرًا كالذى نُصروا[4]

إنى تفرستُ فيكَ الخيرَ نافلةً ... اللهُ يعلم أنى ثابتُ البَصَرِ[5]

أنت الرسولُ فمن يُحرَم نوافلَه ... والوجْهَ منه فقد أزرى به القَدَرُ[6]

قال ابن هشام :

أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات :

أنت الرســولُ فمن يحرم نوافلَه ... والوجْهَ منه فقد أزرى به القدرُ

فثبت الله ما آتاك من حَسَنٍ ... فى المرسلين ونصرا كالذى نُصروا

إنى تفرست فيك الخير نافلةً ... فراسةً خالفتْ فيكَ الذى نظروا

يعنى المشركين ؛ وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ثم خرج القومُ ، وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خلَفَ السلامُ على أمرىء ودّعته ... فى النَّخْلِ خيرَ مُشَيِّع وخليلِ

خوف الناس من لقاء هرقل وشعر ابن رواحة يشجعهم

ثم مضوا حتى نزلوا مَعَان ، من أرض الشام ، فبلغ الناسُ أن هرقلَ قد نزل مآب ، من أرض البلقاء ، فى مِئَةِ ألف من الروم ، وانضم إليهم من لخم وجُـذَام

(١) مجهزة : سريعة القتل . وتنفذ الأحشاء : تخترقها .

(٢) الجدث والجدف : القبر .

(٣) فى شرح المواهب : « يا أرشده الله » .

(٤) كذا فى م ، ر ، وفى ا : « نصرا » .

(٥) فى هذا البيت إقواء .

(٦) نافلة : هبة من الله وعطية منه . والنوافل : العطايا والمواهب . وأزرى به القدر : أى قصر به . (عن أبى ذر) .

والقَيْن وبَهْراء وبَلِيّ مئة ألف منهم، عليهم رجل من بَلِيّ ثم أحدُ إراشة، يقال له: مالك بن زافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعَان ليلتين يفكرون فى أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فنخبرُه بعدَدِ عدوّنا، فإما أن يُمدّنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضى له. قال: فشجّع الناسَ عبدُ الله ابنُ رواحة، وقال: ياقوم، والله إن التى تكرهون لَلّتى خرجتم تطلبون الشهادة، وماقاتل الناس بعدد ولاقوة ولا كثرة، ماقاتلهم إلابهذا الدين الذى أكرمنا الله به، فانطلِقوا فإنما هى إحْدَى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة. قال: فقال الناس: قد والله صدق ابنُ رواحة. فمضى الناس، فقال عبد الله بن رواحة فى مَحْبِسهم ذلك:

تشجيع ابن رواحة الناس على القتال

جَلَبنا الخيلَ من أجَإٍ وفَرْعٍ ... تُغَرُّ من الحشيش لها العُكُومُ (1)
حَذَوناها من الصَّوّان سِبْتاً ... أزلّ كأن صَفْحتَه أدِيمُ (2)
أقامت ليلتين على مَعَانٍ ... فأُعْقِبَ بعدَ فَتْرتها جُمُومُ (3)
فرُحْنا والجيادُ مُسَوّمات ... تنفّس فى مَناخرها السَّمُومُ (4)

---

(1) أجأ: أحد جبلى طيء، والآخر سلمى. وفرع (بالفتح): اسم موضع من وراء الفرك. وقال ياقوت: «الفرع: أطول جبل بأجأ وأوسطه». وظاهر أن هذا هو المراد هنا. وتغر (بالغين المعجمة): تطعم شيئا بعد شيء. يقال غر الفرخ غرا وغرارا: زقه. والعكوم: جمع عكم (بالفتح) وهو الجنب.

(2) قال أبو ذر: «حذوناها: جعلنا لها حذاء، وهو النعل: والصوان: حجارة ملس؛ واحدتها: صوانة. والسبت: النعال التى تصنع من الجلود المدبوغة. وأزل، أى أملس صفحته ظاهرة. والأديم: الجلد». وقال السهيلى: «أى حذوناها نعالا من حديد، جعله سبتا لها مجازا؛ وصوان: من الصون، يصون حوافرها، أو أخفافها، إن أراد الإبل، فقد كانوا يحذونها السريح، وهو جلد يصون أخفافها. وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوان: يبس الأرض، أى لاسبت لها إلا ذلك».

(3) معان (بفتح الميم): موضع بالشام. والفترة: الضعف والسكون. والجموم: اجتماع القوة والنشاط بعد الراحة.

(4) مسومات: مرسلات. والسموم: الريح الحارة.

فلاَ وأبى مآبَ لنَأْتينْهَا وإن كانت بها عَرَبٌ ورُوم[1]
فعبأْنَا أعنّتَها فجاءت عَوابسَ والغُبَارُ لها بَرِيمُ[2]
بذى لَجَبٍ كأنّ البَيْضَ فيه إذا بَرزتْ قوانسُها النُّجوم[3]
فراضـــيةُ المعيشة طلَّقتْها أسنَّتُها فتَنْـكِحُ أو تَئِيم[4]

قال ابن هشام : « ويروى : جلبنا الخيل من آجام قُرح[5] » ، وقوله : « فعبأنا أعنتها » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناسُ ، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم ، قال :

كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فى حجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مُرْدِفى على حَقيبة[6] رَحْله ، فوالله إنه ليسير ليلةً إذْ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

إذا أَدّيْتِنِى وحملتِ رَحْلى مسيرةَ أربعٍ بعـد الحِساءِ[7]
فشأنُكِ أنعُمٌ وخلاكِ ذمٌّ ولا أرجعْ إلى أهلى ورائى[8]

---

(١) مآب: اسم مدينة فى طرف الشام من نواحى البلقاء .قال السهيلى : «يجوز نصبه بفعل مقدر ، أو مرفوع على الابتداء » .

(٢) البريم فى الأصل: خيطان مختلطان أحمر وأبيض، تشدهما المرأة على وسطها أو عضدها . وكل ما فيه لونان مختلطان فهو بريم أيضا . يريد ماعلاها من الغبار، تخالط لونه لونها . والدمع المختلط بالإثمد. وهذا أقرب لمعنى البيت : أى أن دموع الخيل اختلطت بالتراب فصارت كالبريم.

(٣) ذى لجب : أى جيش . واللجب : اختـلاط الأصوات وكثرتها : والبيض : ما يوضع على الرأس من الحديد . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة .

(٤) قال أبو ذر : « تئيم : تبقى دون زوج ، يقال : آمت المرأة إذا لم تتزوج » .

(٥) قرح (بالضم) : سـوق وادى القرى ، وبهذه الرواية ورد هذا البيت فى ياقوت منسوبا إلى ابن رواحة .

(٦) (الحقيبة) فى الأصل : العجيزة ؛ ثم سمى مايحمل من القماش على الفرس خلف الراكب حقيبة ، مجازا ، لأنه محمول على العجز . (المصباح) .

(٧) الحسـاء : جمع حسى ، وهو ماء يغور فى الرمل حتى يجد صخرا ، فإذا بحث عنه وجد . يريد مكانا فيه الحسـاء .

(٨) فشأنك أنعم : يريد أنه لا يكلفها سفرا بعد ذلك ، وإنمـا تنعم مطلقة ، لعزمه على الموت فى سبيل الله . ولا أرجع : قال أبو ذر : « هو مجزوم على الدعاء ، دعا على نفسـه أن يستشهد ولا يرجع إلى أهله » .

وجاء المُسلمونَ وغادَرونى بأَرْض الشام مُشْتَهِىَ الثَّوَاء[1]
وردّكِ كلُّ ذى نَسب قَريب إلى الرحمن مُنْقطعَ الإخاء
هنالك لا أُبالى طَلْعَ بَعْلٍ ولا نَخْلٍ أسافلُها رِوَاء[2]

فلما سمعتُهنّ منه بكيت . قال : فخفقنى[3] بالدِّرة، وقال: ماعليك يالُكَع[4] أن يرزقنى الله شهادةً وترجعَ بين شُعْبتى[5] الرَّحْل !

قال : ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يا زيدُ زيدَ اليَعْمَلات الذُّبَّلِ تطاول الليلُ هُدِيتَ فانزلِ[6]

لقاء الروم

قال ابن إسحاق :

فمضى الناسُ ، حتى إذا كانوا بتُخوم[7] البلْقاء لقيتْهم جموعُ هِرقْل ، من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشارف ، ثم دنا العدوّ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناسُ عندها، فتعبَّأ لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عُذرة، يقال له : قُطْبة بنُ قَتَادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عُبَاية بن مالك .

قال ابن هشام : ويقال عُبادة بنُ مالك .

مقتل ابن حارثة

قال ابن إسحاق :

ثم التقى الناسُ واقتتلوا ، فقاتلَ زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط[8] فى رماح القوم .

---

(١) الثواء : الإقامة فى المكان . وفعله : ثوى يثوى (من باب ضرب) .
(٢) البعل : الذى يشرب بعروقه من الأرض . ورواء (بكسر الهمزة) : صفة لنخل .
(٣) خفقنى بالدرة ، أى ضربنى بها . والدرة : السوط .
(٤) اللكع (كصرد) : اللئيم .
(٥) شعبتى الرحل : طرفاه المقدم والمؤخر (عن أبى ذر) .
(٦) اليعملات : جمع يعملة ، وهى الناقة السريعة . والذبل : التى أضعفها السير، فقل لحمها . (عن أبى ذر) .
(٧) التخوم : الحدود الفاصلة بين أرض وأرض ، وهى جمع : تخم . (انظر اللسان) .
(٨) يقال شاط الرجل : إذا سال دمه فهلك . (عن أبى ذر)

إمارة جعفر ومقتله

ثم أخذها جعفر فقاتل بها، حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له[1] شقراء، فعقرها[2]، ثم قاتل القوم حتى قُتل. فكان جعفرُ أولَ رجل من المسلمين عقرَ في الإسلام[3].

وحدّثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد، قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مُرّة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مُؤتة، قال:

والله لكأنّي أنظر إلى جعفر حين اقتحَمَ عن فَرس له شقراء ثم عَقرها، ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

يا حَبّذا الجنّــةُ واقترابُها ... طَيّبةً وبارداً شرابُها
والرومُ رومٌ قد دَنا عذابُها ... كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عليّ إذ لاقيتُها ضِرابُها

قال ابن هشام: وحدّثني من أثِق به من أهل العلم:

أن جعفرَ بنَ أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطِعت، فأخذه بشماله فقُطِعت، فاحتضنه بعَضُدَيه حتى قُتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء. ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة، فقطعه[4] بنصفين.

إمارة ابن رواحة ومقتله

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبّاد قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مرة بن عوف، قال:

---

(١) ألحمه القتال: نشب فيه فلم يجد مخلصا. واقتحم عن فرس له: رمى بنفسه عنها.

(٢) عقرها: ضرب قوائمها وهي قائمة بالسيف. وفي رواية لابن عقبة والواقدي وابن إسحاق أيضاً: «فعرقبها» أي قطع عرقوبها، وهو الوتر الذي بين مفصل الساق والقدم.

(٣) قال السهيلي: «لم يعب ذلك عليه أحد، فدل على جوازه إذا خيف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين، فلم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم وقتلها عبثا، غير أن أبا داود قال: ليس هذا الحديث بالقوى، وقد جاء فيه نهي كثير عن الصحابة ...

وقال الزرقاني مستدركا: «وكأنه يريد: ليس بصحيح، وإلا فهو حسن، كما جزم به الحافظ، وتبعه المصنف».

(٤) في رواية أبي ذر: «فنطه» وهي بمعنى قطعه.

فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رَوَاحة الراية، ثم تقدّم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بعض التردد، ثم قال:

أقسمتُ يانفسُ لَتَنْزِلِنَّهْ لَتنْزِلِنَّ أو لَتُكْرَهِنَّهْ
إن أجْلَبَ الناسُ وشدّوا الرَّنَّهْ مالى أراكِ تكرهين الجَنَّهْ[1]
قد طال ما قد كنتِ مطمئنهْ هل أنتِ إلا نُطْفة فى شَنَّهْ![2]

وقال أيضا:

يانفس إلا تُقْتَلى تموتى هذا حِمَامُ الموت قد صَليتِ
وما تمنّيتِ فقد أُعطيتِ إنْ تفعلى فِعْلهما هُديتِ

يريد صاحبيه: زيدا وجعفرا؛ ثم نزل. فلما نزل أتاه ابن عم له بعَرْق[3] من لحم فقال: شُدّ بهذا صلبَك، فإنك قد لقيتَ فى أيامك هذه مالقيت، فأخذه من يده ثم انْتَهَس[4] منه نَهْسةً ثم سمع الحَطْمَة[5] فى ناحية الناس، فقال: وأنت فى الدنيا! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم، فقاتل حتى قتل.

ابن الوليد وانصرافه بالناس

ثم أخذ الراية ثابتُ بن أَقْرم[6] أخو بنى العَجْلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد[7]؛ فلما أخذ الراية دافع القومَ، وحاشى[8] بهم، ثم انحاز وانحِيز

---

(١) أجلب القوم: صاحوا واجتمعوا. والرنة: صوت فيه ترجيع شبه البكاء. (عن أبى ذر).

(٢) النطفة: الماء القليل الصافى. والشنة: السقاء البالى، أى فيوشك أن تهراق النطفة أو ينخرق السقاء، ضرب ذلك مثلا لنفسه فى جسده.

(٣) العرق: العظم الذى عليه بعض لحم. (عن أبى ذر).

(٤) انتهس: أخذ منه بفمه يسيرا. (عن أبى ذر).

(٥) الحطمة: زحام الناس وحطم بعضهم بعضا.

(٦) كذا فى المواهب اللدنية والاستيعاب. وهو ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى ابن العجلان البلوى ثم الأنصارى. وكان مقتله سنة إحدى عشرة فى الردة وقيل سنة اثنتى عشرة. وفى سائر الأصول: «أرقم» وهو تحريف.

(٧) وروى الطبرانى عن أبى اليسر قال: أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لما أصيب ابن رواحة فدفعها إلى خالد وقال: أنت أعلم بالقتال منى. (راجع شرح المواهب).

(٨) كذا فى ا: وحاشى بهم (بالحاء المهملة): انحاز بهم، وهو من الحشى، وهى الناحية. وفى م، ر: «خاشى» (بالخاء المعجمة). والمخاشاة: المحاجزة، وهى مفاعلة من الخشية، لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم.

عنه ، حتى انصرف بالناس .

تنبؤ الرسول بما حدث للمسلمين مع الروم

قال ابن اسحاق :

ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ؛ ثم أخذها جعفرٌ فقاتل بها حتى قتل شهيداً؛ قال: ثم صمت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى تغيّرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض مايكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ؛ ثم قال : لقد رفعوا إلىّ فى الجنّة ، فيما يَرى النائمُ ، على سُرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا[1] عن سريرى صاحبَيْه ، فقلت : عمّ هذا ؟ فقيل لى : مَضيا وتردّد عبد الله بعض التردّد ، ثم مضى .

حزن الرسول على جعفر ووصاته بآله

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن أمّ عيسى الخُزاعية ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدّتها أسماء بنة عُميس، قالت :

لما أُصيب جعفر وأصحابه دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دبَغْتُ أربعين مَناً[2] ــ قال ابن هشام : ويروى أربعين منيئة ــ وعجنت عجينى، وغسلت بنىّ وَدهنتهم ونظَّفتهم . قالت : فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتينى ببنى جعفر ؛ قالت : فأتيته بهم ، فتشمّمهم وذَرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله : بأبى أنت وأمى، مايُبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء ؟ قال : نعم، أُصيبوا هذا اليوم . قالت : فقُمت أصيح ،واجتمعتْ إلىّ النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : لاتُغْفِلوا آل جعفرمن أن تصنعوا لهم طعامًا ، فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم .

---

(١) ازورارا : ميلا وعوجا .

(٢) فى الأصول : « منثا » . والتصويب عن أبى ذر ؛ وهذا نص عبارته : « المنا (بالقصر) : الذى يوزن به . وهو الرطل . وتعنى أربعين رطلا من دباغ . ومن روى : « منيئة » فمناه : الجلد مادام فى الدباغ . وبهذه الرواية الثانية روى الحديث صاحب اللسان (مادة منأ) .

وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم بن محمد، عن أبيه، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم، قالت :

لما أتى نَعْى[1] جعفر عَرَفنا فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن. قالت : فدخل عليه رجل فقال : يارسول الله، إن النساء عنَّيْننا وفَتَنَّنا ؛ قال : فارجع إليهن فأسْكِتْهُن. قالت : فذهب ثم رجع، فقال له مثل ذلك ـ قال : تقول وربما ضر التكلفُ أهلَه ـ قالت : قال : فاذهب فأسكِتْهن، فإن أبَيْنَ فاحثُ فى أفواههن التراب[2]، قالت : وقلت فى نفسى : أبعدكَ الله ! فوالله ما تركتَ نفسك وما أنت بمُطيعٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت : وعرفت أنه لا يقدر على أن يَحْثِيَ فى أفواههن التراب.

قال ابن إسحاق :

وقد كان قُطْبة بن قَتادة العُذْرىّ، الذى كان على مَيْمنة المسلمين، قد حمل على مالك بن زافلة[3] فقتله، فقال قَطبة بن قتادة :

طعنتُ ابنَ زافلةَ بنِ الإرا ش برُمْح مضى فيه ثم انْحطَمْ[4]
ضربتُ على جِيـده ضربةً فمال كما مال غصنُ السَّلَمْ[5]
وسُـقْنا نساء بنى عمِّه غداةَ رقُوقَيْن سوْقَ النَّعَم[6]

قال ابن هشام : قوله «ابن الإراش» عن غير ابن إسحاق. والبيت الثالث عن خَلَّاد[7] بن قُرة ؛ ويقال : مالك بن رافلة[8] :

---

(١) النعى (بسكون العين) : خبر الميت الذى يأتى. والنعى (بكسر العين وتشديد الياء): هو الشخص الذى يأتى بخبر موته.

(٢) يقال : حثا الرجل التراب يحثوه حثوا ويحثيه حثيا، إذا قبضه بيده ثم رماه.

(٣) كذا فى ا : وفى م، ر، هنا وفيما يأتى : «رافلة» (بالراء المهملة).

(٤) انحطم : انكسر.

(٥) السلم : شجر العضاه ؛ الواحدة : سلمة.

(٦) رقوقين : اسم موضع. ويروى : «رقوفين» (بالفاء فى الثانى)، (عن أبى ذر).

(٧) كذا فى م، ر، وفى ا : «خالد».

(٨) كذا فى ا. وفى م، ر : «راقلة» (بالقاف).

كاهنة حدس وإنذارها قومها

قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنةٌ من حَدَس[1] حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قد قالت لقومها مِن حَدَس ، وقومُها بطن يقال لهم بنو غَنْم ــ أُنذركم قومًا خُزْرا[2] ، ينظرون شَزْرا[3] ، ويقودون الخيل تَتْرى[4] ، ويُهَرِيقون دمًا عَكِرْا[5] . فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لخم ؛ فلم تزل بعدَ أثرى[6] حدَس . وكان الذين صَلُوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدَس ، فلم يزالوا قليلا بعدُ . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا .

رجوع الجيش وتلقي الرسول له وغضب المسلمين

قال ابن إسحاق :

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال :

لما دنوا من حول المدينة تلقّاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال : ولقيهم الصبيانُ يشتدُّون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، وأَعطونى ابنَ جعفر . فأُتِى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثُون على الجيش التراب ، ويقولون يافُرّار ، فررتم فى سبيل الله ! قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بالفُرّار ، ولكنهم الكُرّار إنْ شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عامر بن عبد الله ابن الزبير ، عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله ، عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم، قال :

قالت أم سلمة لامرأةِ سلمةَ بن هشام بن العاص بن المغيرة : مالى لاأرى سَلَمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت والله

(١) حدس : قبيلة من لخم ، ولخم : قبيلة من اليمن . (عن أبى ذر) .
(٢) الخزر : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر . (عن أبى ذر) .
(٣) الشزر : نظر العداوة .
(٤) تترى : متتابعة شيئا بعد شىء . قال تعالى : « ثم أرسلنا رسلنا تترى » . ومن رواه : « نترا » ، فهو مصدر ، من قولك: نتر الشىء، إذا جذبه . (عن أبى ذر) .
(٥) العكر : المتعكر ، يريد دما مختلطا .
(٦) « أثرى » : أكثر مالا وعددا ، من الثروة ، وهى الكثرة .

مايستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يافرّار ، فررتم فى سبيل الله ! حتى قعد فى بيته فما يخرج .

قال ابنُ إسحاق :

شـعر قيس فى الاعتذار عن تقهقر خالد

وقد قال : فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومُخاشاته بالناس وانصرافه بهم ، قيسُ بن المُسَحَّر اليَعْمَرى ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فوالله لاتَنفكُّ نفسى تلومنى على مَوْقفى والخيل قابعةٌ قُبْلُ[1]
وقفت بها لامُسْتجيرا[2] فنافذاً ولا مانِعا مَنْ كان حُمّ له القَتْل
على أننى آسيتُ نَفْسى بخالدٍ ألاَخالدٌ فى القوم ليس له مِثْل[3]
وجاشت إلىَّ النفسُ من نحوجَعْفر بمُؤْتةَ إذ لايَنْفع النابلَ النَّبْل[4]
وضمَّ إلينا حَجْزَتَيْهم كليهما مهاجِرةٌ لامشركون ولا عُزْل[5]

فبيّن قيس مااختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقّق انحياز خالد بمن معه .

قال ابن هشام : فأما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه :

أمَّر المسلمون عليهم خالدَ بن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى قفل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق :

شعر حسان فى بكاء قتلى مؤتة

وكان مما بُكِىَ به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قول حسان بن ثابت :

---

(١) قال أبو ذر : « قائعة » من رواه بالهمز فمعناه واثبة ، يقال : قأع الفحل على الناقة إذا وثب عليها . ومن رواه : « نائعة » بالنون ، فمعناه رافعة رءوسها . ومن رواه : « قابعة » بالباء ، فمعناه منقبضة . وقبل : جمع أقبل وقبلاء ، وهو الذى يميل عينه فى النظر إلى جهة العين الأخرى » .

(٢) كذا فى (ا) . وفى م ، ر : « مستحيزا » ، ومعناه : منحازا إلى ناحية .

(٣) آسيت نفسى بخالد : اقتديت به ، من الأسوة ، وهى القدوة

(٤) جاشت : ارتفعت . والنابل : صاحب النبل .

(٥) حجزتيهم : ناحيتيهم ؛ يقال : قعد حجزة ، أى ناحية . وعزل : جمع أعزل ، وهو الذى لاسلاح له .

تَأَوّبنى ليــلٌ بيثربَ أعسرُ ... وَهَمٌّ إذا مانَوّم الناسُ مُسْهِرُ [1]
لذِكرَى حبيبٍ هيّجتْ لِىَ [2] عَبرَةً ... سَفُوحا وأسبابُ البكاءِ التذكُّرُ [3]
بَلَى ، إن فِقدانَ [4] الحبيبِ بليّةٌ ... وكَمْ من كريمٍ يُبْتَلَى ثمّ يَصْبِر
رأيتُ خيارَ المؤمنينَ تواردُوا ... شَعُوبَ وخَلْفا بعدَهُمْ يتأخّرُ [5]
فلا يُبْعِدنَّ اللهُ قتلى تَتَابَعُوا ... بمُؤتةَ منهم ذو الجناحين جعفر
وزيدٌ وعبد الله حين تتابعوا ... جميعا وأســـبابُ المنيةِ تَخْطِرُ [6]
غداةَ مضَوا بالمؤمنين يقودُهم ... إلى الموت ميمونُ النَّقيبة أزهَرُ [7]
أغرُّ كضوءِ البدر من آل هاشم ... أَبِىٌّ إذا سِيمَ الظُّلامةَ مِجْسَرُ [8]
فطاعن حتى مال غير مُوَسَّــد ... بمُعترَكٍ [9] فيه قَنًا مُتَكَسِّرُ [10]
فصار مع المستشهدين ثَوابُهُ ... جِنانٌ وملتفُّ الحدائقِ أخضَرُ
وكنا نرى فى جعفر من محمّد ... وفاءً وأمراً حازما حين يَأْمُرُ
فما زال فى الإسلام من آل هاشم ... دعائمُ عزٍّ لايَزُلْنَ ومَفْخَرُ
همُ جَبَلُ الإسلامِ والناسُ حولهمْ [11] ... رِضامٌ إلى طَوْدٍ [12] يَرُوق ويقهر [13]

---

(١) تأوبنى : عاودنى ورجع إلىّ . وأعسر : عسير . ومسهر : مانع من النوم .

(٢) فى ديوان حسان : « ثم » .

(٣) سفوح : سائلة غزيرة .

(٤) فى ديوان حسان : « بلاء وفقدان » .

(٥) قال أبوذر : من رواه بضم الشين ، فهوجمع شعب ، وهى القبيلة ؛ وقيل : هو أكثر من القبيلة ؛ ومن رواه بفتح الشين ، فهو اسم للمنية ، من قولك : شعبت الشىء ، إذا فرقته ، ويجوز فيه الصرف وتركه . وخلفا : أى من يأتى بعد ورواية هذا الشطر الأخير فى ديوانه :

شعوب وقد خلفت فيمن يؤخر

(٦) تخطر : تختال وتهتز .

(٧) ميمون النقيبة : مسعود الجد ، وأزهر : أبيض .

(٨) أبى : عزيز الجانب . وسيم : كلف وحمل (بالبناء للمجهول فيهما) . والمجسر : المقدام الجسور

(٩) المعترك : موضع الحرب .

(١٠) فى الديوان . « فيه القنا يتكسر » .

(١١) فى الديوان : « حوله » .

(١٢) الرضام : جمع رضم ، وهى الحجارة يتراكم بعضها فوق بعض . والطود : الجبل .

(١٣) فى (ا) يقهر .

بها ليلُ منهم جعفر وابن أمه   عليٌّ ومنهم أحمدُ المتخيَّرُ[1]
وحمزة والعبّاس منهم ومنهمُ   عَقِيلٌ وماءُ العود من حيثُ يُعْصَر
بهم تُفْرَج اللأْواءُ فى كل مَأْزِقٍ   عَماسٍ إذا ما ضاق بالناس مَصدَر[2]
هُمُ أولياءُ الله أنزَل حُكمَه   عليهم ، وفيهم ذا الكتاب المطهَّر

شعر كعب فى بكاء قتلى مؤتة

وقال كعب بن مالك :

نام العيونُ ودمعُ عينك يَهْمُلُ   سَحًّا كما وكَفَ[3] الطِّبَابُ المُخضلُ[4]
فى ليلة وردتْ علىَّ هُمومُها   طورا أحِنُّ[5] وتارة أتململ[6]
واعتادنى حُزْنٌ فبتّ كأننى   ببنَات نَعْشٍ والسِّماكِ موكَّل[7]
وكأنّما بين الجَوانح والحَشَى   مما تأوّبنى شِهاب مُدْخَل[8]
وجْدا على النَّفَر الذين تتَابعُوا   يوما بمؤتة أُسْندوا لم يُنْقَلوا
صلّى الإلٰهُ عليهمُ من فتيةٍ   وسقى عظامهمُ الغمام المسبِل[9]
صَبَروا بمؤتةَ للإله نفوسَهُمْ   حذَرَ الرّدى ومخافةً أن ينْكُلُوا[10]
فمضوا أمام المسلمين كأنهمْ   فُنُقٌ عليهنّ الحديد المُرْفَل[11]

(١) البهاليل : جمع ، البهلول : وهو السيد الوضىء الوجه .
(٢) اللأواء : الشدة . والعماس : المظلم . يريد ظلامه من كثرة النقع المثار وقت الحرب .
(٣) همل الدمع : سال ، وسحا : صبا . ووكف : قطر .
(٤) كذا فى أكثر الأصول وشرح أبى ذر والروض . والطباب : جمع طبابة ، وهى سير بين خرزتين فى المزادة ، فإذا كان غير محكم وكف منه الماء . وفى ا الضباب . والمخضل : السائل الندى .
(٥) كذا فى (ا) وأحن (بالحاء المهملة) : من الحنين ، وفى سائر الأصول : «أخن» (بالخاء المعجمة) . والخنين : صوت يخرج من الأنف عند البكاء .
(٦) أتململ : أتقلب متبرما بمضجعى .
(٧) يريد أنه بات يرعى النجوم طول ليله من طول السهاد .
(٨) المدخل : النافذ إلى الداخل .
(٩) المسبل : المطر .
(١٠) صبروا نفوسهم : حبسوها على ما يريدون . وينكلوا : يرجعوا هائبين لعدوهم .
(١١) الفنق : الفحول من الإبل ، الواحد: فنيق ، المرفل : الذى تنجر أطرافه على الأرض ، يريد أن دروعهم سابغة .

إذ يهتدون بجعفر ولوائِه   قُدَّامَ أوَّلِهِمْ فنعم الأوّل

حتى تفرّجتِ الصفوفُ وجعفرٌ   حيثُ الْتَقَى وعْثُ الصفوف مجدَّل(1)

فتغيَّرَ القمرَ المُنــــيرِ لفقده   والشمسُ قد كَسَفَتْ وكادتْ تأفِل(2)

قَرْمٌ(3) عَلا بنيانُه من هاشمٍ   فَرْعا أَشَمَّ وسؤْدَدًا مايُنْقَل(4)

قومٌ بهم عصَمَ الإله عباده   وعليهمُ نزل الكتابُ المُنْزَل

فضَلُوا المعاشَر عِزّة وتكرُّما   وتَغَمَّدَتْ أحلامُهُمْ من يَجْهَل(5)

لايُطْلِقون إلى السَّفاهِ حُبَاهُمُ   ويُرَى خَطيبُهُمُ بحقٍّ يَفْصِل(6)

بيضُ الوجوهِ تُرَى بُطونُ أكفِّهِمْ   تندَى إذا اعتذرَ الزمانُ المُمْحِل(7)

وبهَدْيِهِمْ رضِيَ الإلهُ لخلْقِهِ   وبجَدِّهِمْ نصِرَ النبيُّ المُرْسَــل(8)

شعر حسان في بكاء جعفر ابن أبي طالب

وقال حسان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه :

ولقد بكيتُ وعَزَّ مُهْلَكُ جَعْفرٍ   حِبِّ النبيّ على البريّةِ كُلِّهَا

ولقد جزِعْتُ وقلتُ حين نُعِيتَ لى   مَنْ للجِلادِ لدى العُقابِ وظلِّها(9)

بالبِيضِ حين تُسَلُّ من أغمادها   ضَرْبا وإنهالِ الرماحِ وعَلِّها(10)

---

(1) وعث الصفوف : التحامها حتى يصعب الخلاص من بينها ، تشبيها بالوعث ، وهو الرمل الذى تغيب فيه الأرجل ، ويصعب فيه السير . ومجدل : مطروح على الجدالة ، وهى الأرض .

(2) تأفل : تغيب .

(3) القرم السيد .

(4) كذا فى الأصول . وفى شرح أبى ذر : « ما ينفل : من رواه بالفاء فمعناه لايحجر ، ومن رواه بالقاف فهو معلوم » .

(5) تغمدت من يجهل : سترت جهل الجاهلين .

(6) إطلاق الحبوة : كناية عن النهضة للنجدة . والحبوة (فى الأصل) : أن يشبك الإنسان أصابع يديه بعضها فى بعض . ويجعلها على ركبتيه إذا جلس . وقديحتبى بحمائل السيف وغيرها .

(7) المحل : وهو الشديد القحط .

(8) كذا فى (ا) وفى سائر الأصول : « بحدهم » بالحاء المهملة . قال أبو ذر : « من رواه بالحاء المهملة فمعناه بشجاعتهم وإقدامهم ؛ ومن رواه « بجدهم » ، بالجيم المكسورة ، فهو معلوم » .

(9) العقاب : اسم لراية الرسول .

(10) الإنهال : الشرب الأول ، والعلل الشرب الثانى ، يريد الطعن بعد الطعن .

بعد ابن فاطمةَ المُبارك جَعْفرٍ ... خَـــيْرِ البريّة كلِّها وأجلِّها[1]

رُزْءا وأكرمِها جميعا مَحْتِدًا ... وأعزِّها مُتظلَّمًا وأذلِّها[2]

للحق حين ينوبُ غيرَ تَنَحُّلٍ[3] ... كَذِبًا، وأَنْداها يدًا[4]، وأقلِّها

فحشا، وأكثرِها إذا ما يُجْتَدَى[5] ... فَضْلا، وأبْذلِها نَدًى، وأبلِّها[6]

بالعُرف غــــيرَ محمّدٍ لامثلُه ... حيٌّ مِنَ أحياء البرية كلِّها[7]

شعر حسان في بكاء ابن حارثة وابن رواحة

وقال حسّان بن ثابت في يوم مُؤْتة يبكى زيدَ بن حارثة وعبد الله ابن رواحة:

عينِ جُودى بدَمْعك المَنْزورِ ... واذكُرى في الرَّخاء أهل القبورِ[8]

واذكرى مُؤْتةَ وما كان فيها ... يوم راحُوا في وقْعة التَّغوير[9]

حين راحوا وغادروا ثَمّ زيداً ... نِعْم مأوى الضَّريكِ والمأسور[10]

حِبَّ خَـــيرِ الأنام طُرًّا جميعاً ... سيِّدَ الناس حُبُّـــه في الصدور

ذاكُمُ أحمدُ الذى لاسِـــواهُ ... ذاك حُزنى له معاً وسرورى

إن زيدا قد كان منا بأمر ... ليس أمر المكذَّب المغرور[11]

---

(1) فاطمة: هى أم جعفر وعلى بن أبى طالب، وهى فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهى أول هاشمية ولدت لهاشمى. (عن أبى ذر).

(2) المحتد: الأصل.

(3) التنحل: الكذب.

(4) فى ديوانه: «وأنمرها ندى».

(5) الاجتداء: طلب الجدوى، وهى العطية.

(6) كذا فى ديوانه. وفى الأصول: «وأنداها يدا».

(7) رأينا هذا البيت فى ديوانه:

عَلَّ خَيْرِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ لاَشِبْهُهُ ... بَشَرٌ يُعَدّ مِنَ الْبَرِيَّةِ جُلُّهَا

(8) المنزور: القليل، يريد أنه بكى حتى قل دمعه: فهو يأمر عينه أن تجود بذلك القليل على ماهو عليه.

(9) التغوير: الاسراع إلى الفرار.

(10) الضريك: الفقير.

(11) الخزرجى: هو عبدالله بن رواحة. والنزور: القليل العطاء. وهذا البيت غير مذكور فى الديوان.

ثم جُودى للخزرجىّ بِدَمْع سيِّدًا كان ثَمّ غير نَزُور
قد أتانا من قتلهم ما كفانا فبحُزْن نَبِيت غير سُرور

وقال شاعر من المسلمين ممن رجَع من غزوة مؤتة :

كَفَى حزنا أنّى رَجَعْتُ وَجعفر وزَيد وعبدُ الله فى رَمْس أقْبُرِ
قَضَوا نحبَهمْ لمـا مَضَوا لسَبِيلهم وخُلِّفْتُ للبلْوى مع المتغبِّر[1]
ثلاثة رَهْط قُدِّمُوا فتقدموا إلى وِرد مَكْروه من الموت أحمر

شهداء مؤتة

وهذه تسمية من استُشهد يوم مُؤتة .

من بنى هاشم

من قريش ، ثم من بنى هاشم : جعفرُ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وزيدُ بن حارثة رضى الله عنه .

من بنى عدى

ومن بنى عدى بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة .

من بنى مالك

ومن بنى مالك بن حِسْل : وَهْب بن سعد بن أبى سَرْح .

من الأنصار

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة ، وعبّاد ابن قيس .

ومن بنى غَنم بن مالك بن النجار : الحارث بن النعمان بن أساف بن نَضْلة ابن عبد بن عوف بن غَنم .

ومن بنى مازن بن النّجار : سُراقة بن عمرو بن عطيّة بن خنساء .

من ذكرهم ابن هاشم

قال ابن هشام : وممن استُشْهد يوم مؤتة ، فيما ذكر ابن شهاب .

من بنى مازن بن النجار : أبو كُلَيب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف ابن مَبذول وهما لأب وأم .

ومن بنى مالك بن أفْصى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عبّاد ابن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى .

قال ابن هشام : ويقال أبو كلاب وجابر ، ابنا عمرو[2] .

(١) كذا فى الأصول . والمتغبر : الباقى . قال أبو ذر : ومن رواه « المتعذر » فهو معلوم

(٢) إلى هنا ينتهى الجزء السادس عشر من أجزاء السيرة .

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة

في شهر رمضان سنة ثمان

القتال بين بكر وخزاعة

قال ابن إسحاق :

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثه إلى مُؤتة جمادى الآخرة ورجبا .

ثم إن بنى بكر بن عبد مَناة بن كِنانة عَدَت على خُزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوَتِير ، وكان الذى هاج مابين بنى بكر وخُزاعة أنّ رجلا من بنى الحَضْرمى ، واسمه مالك بن عبّاد ـ وَحِلْف الحَضْرمى يومئذ إلى الأسود ابن رَزْن[1] ـ خرج تاجرا ، فلما توسّط أرض خزاعة عَدَوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه ، فعَدَت خزاعةُ قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رَزن الدِّيلى ـ وهم مَنْخَرُ[2] بنى كنانة وأشرافهم ـ سَلْمى وكُلثوم وذؤيب ـ فقتلوهم بعرَفة عند أنصاب الحرم[3] .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من بنى الديل قال :

كان بنوالأسود بن رزن يُوْدَون فى الجاهلية ديتين ديتين، ونُودَى دِيةً دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق :

---

(١) رزن : يروى بكسر الراء وفتحها ، وإسكان الزاى وفتحها ؛ وقيده الدارقطنى بفتح الراء وإسكان الزاء لا غير . (راجع شرح السيرة)

(٢) كذا فى ا . ويريد بالمنخر : المتقدمين ، لأن الأنف هو المقدم من الوجه . وفى سائر الأصول : « مفخر » بالفاء .

(٣) أنصاب الحرم : حجارة تجعل علامات بين الحل والحرم .

فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حَجَز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلحُ الحديبية بين رسول الله صلّى الله عليه وسلم و بين قريش ، كان فيما شرَطوا الرسول صلّى الله عليه وسلّم وشرَط لهم ، كما حدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن المِسْور بن مَخْرمة ومروان بن الحكم وغيرهم من علمائنا :

أنه من أحبّ أن يدخل فى عَقْد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعهده[1] .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهُدْنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأرًا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود ابن رَزْن ، فخرج نوفل بن معاوية الدّيلى فى بنى الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنى بكر تابعه[2] حتى بيّت خزاعة وهم على الوتير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت بنى بكر قريشٌ بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا ، حتى حازوا[3] خُزَاعةَ إلى الحَرَم ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : يانَوْفل ، إنّا قد دخلنا الحرم ، إلهكَ إلهكَ ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتَسْرِقون[4] فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؛ وقد أصابوا منهم ليلة بيّتوهم بالوتير رجلا يقال له مُنَبِّه ، وكان منبه رجلا مَفْئودا[5] خرج هو ورجل من قومه ، يقال له تميم بن أسد ، فقال له مُنَبِّه : ياتميم ، انج بنفسك ، فأما أنا فوالله إنى لميّت ، قتلونى أو تركونى ، لقد انبَتّ[6]

---

(١) هذه الكلمه ساقطة فى (ا) .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بايعه » .

(٣) كذا فى ا . وحازوهم : ساقوهم . وفى سائر الأصول : « حاوزوهم » .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « لتسرفون » .

(٥) مفئودا : ضعيف الفؤاد .

(٦) انبت : انقطع .

فؤادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا مُنَبِّهًا فقتلوه ، فلما دخلت خُزاعة مكة لجئوا إلى دار بُدَيْل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع ؛ فقال تَميم بن أَسَد يعتذر من فراره عن مُنَبِّه :

شعر تميم فى الاعتذار من فراره عن منبه

لَمَّا رأيتُ بنى نُفَاثَةَ أقبلُوا ... يَغشَوْن كلَّ وَتِيرَةٍ[1] وَحِجابِ[2]
صَخْرًا وَرَزْنًا لاعَرِيبَ سِوَاهُمُ ... يُزْجُون كلَّ مُقَلِّص خَنَّابِ[3]
وذكرتُ ذَحْلًا[4] عندنا مُتقادِمًا ... فيما مَضَى مِن سالِفِ الأَحْقَابِ[5]
ونَشِيْتُ ريحَ الموتِ من تِلقائِهم ... ورهِبْتُ وَقْعَ مُهَنَّدٍ قَضَّابِ[6]
وعرفتُ أنْ مَنْ يَثْقَفُوهُ يَترُكوا ... لَحْما لِمُجْرِيَة وشِلْوَ غُرَابِ[7]
قَوَّمتُ رِجْلًا لا أخافُ عِثارَها ... وطرحت بالمَتْن العَراء ثِيابى[8]
ونَجَوْتُ لاينجو نجائى أَحْقَبُ ... عِلْجٌ أَقَبُّ مشمَّرُ الأَقْرَابِ[9]
تَلْحَى ولو شَهِدَتْ لكان نَكيرُها ... بَوْلًا يَبُلُّ مَشافِرَ القَبْقَابِ[10]
القومُ أعلم ما تركت مُنَبِّهًا ... عن طِيب نَفْس فاسألى أصحابى

---

(1) كذا فى الأصول . وفى شرح السيرة : « وثيرة » بالثاء المثلثة . قال أبو ذر : «من رواه بالثاء المثلثة فهى الأرض اللينة الرطبة . ومنه يقال : فراش وثير : إذا كان رطبا . ومن رواه بالتاء باثنتين ، يعنى الأرض الممتدة» .

(2) الحجاب : ما اطمأن من الأرض وخفى .

(3) لا عريب : أى لا أحد ، يقال : مابالدار عريب ولا كنيع ولا ذبيح ، فى أسماء غيرها ، وكلها بمعنى : مابها أحد . ويزجون : يسوقون . والمقلص : الفرس المشمر . والخناب : الفرس الواسع المنخرين . ويروى : خباب ، أى مسرع ، من الخبب ، وهو السرعة فى السير .

(4) كذا فى أكثر الأصول . والذحل : طلب الثأر . وفى ا : « دخلا » .

(5) الأحقاب : السنون .

(6) نشى : شم . والمهند القضاب : السيف القاطع .

(7) المجرية : اللبؤة التى لها جراء ، أى أولاد . والشلو : بقية الجسد .

(8) المتن : ماظهر من الأرض وارتفع . والعراء : الخالى لايخفى فيه شىء .

(9) نجوت : أسرعت . وأحقب : أى حمار وحش أبيض المؤخر ، وهو موضع الحقيبة . وعلج : غليظ . وأقب : ضامر البطن . ومشمر الأقراب : منقبض الخواصر وما يليها . ويروى : « مقلص الأقراب » ، وهو بمعناه .

(10) تلحى : تلوم . والمشافر : النواحى والجوانب . والقبقاب : من أسماء الفرج .

قال ابن هشام :

وتروى لحبيب بن عبد الله [الأعلم[1]] الهُذلى . وبيته : « وذكرت ذحلاً عندنامتقادما » عن أبى عُبيدة ، وقوله « خناب » و « علج أقب مشمر الأقراب » عنه أيضا .

شعر الأخزر فى الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن إسحاق :

وقال الأخْزَر بن لُعْط الدِّيلى ، فيما كان بين كِنانة وخُزاعة فى تلك الحرب :

أَلاَ هَلْ أَتى قُصْوَى الأَحابِيشِ أَنّنَا ... رَدَدْنَا بَنِى كَعْب بأفْوَق نَاصِلِ[2]
حَبَسْنَاهُمُ فى دَارَةِ العبد رافعٍ ... وعنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبِسًا غيْر طَائِل[3]
بِدَار الذَّليلِ الآخِذِ الضَّيْم بَعْدَ مَا ... شَفَيْنا النّفوسَ منهمُ بالمَنَاصِلِ[4]
حبسناهُمُ حتى إذا طال يومُهم ... نفحْنَا لهُمْ مِن كلِّ شِعْب بِوَابل[5]
نُذَبِّحُهُمْ ذبْحَ التُّيوس كأننا ... أسودٌ تَبارَى فيهمُ بالقَواصِلِ[6]
هُمُ ظلمونا واعتدَوْا فى مَسيرهم ... وكانوا لَدى الأنصاب أولَ قاتل
كأنّهُمُ بالجِزْع[7] إذ يطردونهم ... بفاثور[8] حُفّانُ النّعام الجوافل[9]

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) قصوى : أبعد . والأحابيش : كل من حالف قريشا ، ودخل فى عهدها من القبائل . ويريد بقوله « بأفوق ناصل » : أنها ردت خائبة ، والأفوق (فى الأصل) : السهم الذى انكسر فوقه ، وهو طرفه الذى يلى الوتر . والناصل : الذى زال نصله ، أى حديدته التى تكون فيه .

(٣) الدارة : الدار .

(٤) الضيم : الذل . والمناصل : جمع منصل ، وهو السيف .

(٥) نفحنا : وسعنا . والشعب . المطمئن بين جبلين . والوابل : المطر الشديد ؛ وأراد به هنا دفعة الخيل .

(٦) يريد « بالقواصل » : الأنياب .

(٧) الجزع : ما انعطف من الوادى .

(٨) كذا فى أكثر الأصول . وفاثور : موضع بنجد ، قال أبو ذر : « ظاهره أنه اسم موضع . ومن رواه : قفا ثور ، فثور : اسم جبل بمكة ، ومنعه هذا الشاعر الصرف ، لأنه قصد به قصد البقعة . وقفاه : وراؤه » . وفى ا : « فعاثور » .

(٩) حفان النعام : صغارها . والجوافل : المولية المسرعة .

شعر بديل في الرد على الأخزر

فأجابه بُدَيْل بن عبد مَناة بن سَلَمة بن عمرو بن الأجب[1]، وكان يقال له: بُديل بن أم أَصرم، فقال:

تَفَاقَدَ قومٌ يفخرون ولم نَدَعْ … لهم سـيِّدا يَنْدُوهُمُ غيرَ نافلِ[2]

أمِنْ خِيفَة القوم الأُلَى تَزْدَرِيهمُ … تُجيز الوَتِير خائفا غـيرَ آئِلِ[3]

وَفِى كلِّ يوم نحنُ نَحْبُو حِباءَنا … لِعَقْل ولا يُحْبَى لنا فى المَعَاقِل[4]

ونحن صَبَحنا بالتَّلاعة دارَكُمْ … بأسـيافنا يَسْبِقن لوم العواذل[5]

ونحنُ مَنَعْنا بين بَيْض وعِتْوَدٍ … إلى خَيْف رَضْوَى[6] من مَجَرِّ القَنَابِل[7]

ويومَ الغَمِيم قد تَـكَفَّتَ ساعياً … عُبَيْسٌ فجَعْناه بجَلْدٍ حُلاحِل[8]

أأَن أَجْمَرت فى بيتها أُمُّ بعضكم … بجُعْمُوسِها تَنْزُونَ أنْ لم نُقاتِلِ[9]

كَذَبْتُمْ وبيتِ الله ما إن قَتَلْتُمُ … ولـكنْ تَرَكْنا أمْرَكم فى بَلابِل[10]

قال ابن هشام: قوله «غير نافل» وقوله «إلى خَيْف رَضوى» عن غير ابن إسحاق.

---

(1) فى ا: «الأحب، بالحاء المهملة». وفى الاستيعاب لابن عبد البر: «الأخنس». وقد ساق ابن عبد البر نسبه فقال: «هو أحد المنسوبين إلى أمهاتهم، وهو بديل بن سلمة ابن خلف بن عمرو بن الأخنس بن مقياس بن حبتر بن عدى بن سلول بن كعب الخزاعى.

(2) يندوهم: يجمعهم فى الندى، وهو المجلس.

(3) الوتير: اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة، وغير آئل: غير راجع.

(4) نحبو: نعطى. والعقل: الدية.

(5) التلاعة (بالفتح والتخفيف): ماء لبنى كنانة بالحجاز. ويسبقن لوم العواذل: يشير إلى المثل المعروف: «سبق السيف العذل».

(6) بيض (بالفتح): من منازل بنى كنانة بالحجاز: وعتود (بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح الواو. وروى بفتح أوله): ماء لكنانة أيضاً. والخيف: ما انحدر من الجبل. ورضوى: جبل بالمدينة.

(7) كذا فى ا. والقنابل: جمع قنبلة، وهى القطعة من الخيل.

(8) الغميم: موضع بين مكة والمدينة. وتكفت: حاد عن طريقه. وعبيس: رجل. والجلد: القوى. والحلاحل: السيد.

(9) الجعموس: العذرة. و «أجمرت ... الخ»: أى رمت به بسرعة، وهو كناية عن ضرب من الحدث يسمج وصفه؛ يريد الفزع وعدم الاطمئنان.

(10) البلابل: اختلاط الهم ووساوسه.

شعر حسان فى الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن هشام :

وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لَحَا اللهُ قومًا لم ندَعْ من سَرَاتِهم ... لهم أحَـدًا يَنْدُوهُمُ غيْرَ ناقبِ[1]

أخُصْيَىْ حِمارٍ ماتَ بالأمس نوفلاً ... متى كنتَ مِفْلاَحًا عدوّ الحقائبِ[2]

شعر عمرو الخزاعى للرسول يستنصره ورده عليه

قال ابن إسحاق :

فلما تظاهرت بنو بكر وقُرَيش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونَقَضوا ما كان بينهم و بين رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من العهد والميثاق ، بما استحلّوا من خُزاعة ، وكان فى عَقْده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخُزاعِىُّ ، ثم أحد بنى كعب ، حتى قَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مَكّة ، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظَهْرانى الناس ، فقال :

يارَبّ إنّى ناشِـدٌ محمّدَا ... حِلْفَ أبينا وأبيـه الأَتْلَدَا[3]

قد كنتمُ وُلْدًا وكنَّا وَالِدَا ... ثُمّتَ أسْلَمنا فلم نَنْزِعْ يدَا[4]

فانصُرْ هَدَاكَ اللهُ نصرًا أعتَدا ... وادعُ عبادَ اللهِ يأتوا مدَدا[5]

فيهم رسولُ اللهِ قد تجرّدَا ... إن سِيمَ خَسْفًا وجهُه تَرَبَّدَا[6]

فى فَيْلَقٍ كالبَحْرِ يَجْرِى مُزْبِدا ... إن قريشًا أخلفوكَ المَوْعِدا[7]

---

(١) سراة القوم : أشرافهم وخيارهم . ويندوهم : يجمعهم فى النادى ، وناقب : رجل . (عن أبى ذر واللسان) .

(٢) المفلاح : من الفلاح ، وهو بقاء الخير ، والحقائب : جمع حقيبة ، وهو ما يجعله الراكب وراءه إذا ركب . (عن أبى ذر) .

(٣) ناشد : طالب ومذكر . والأتلد : القديم .

(٤) يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك قصى أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية . والولد (بالضم) : بمعنى الولد (بالتحريك) . وأسلمنا : من السلم . قال السهيلى : «لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أنه قال : « ركعا وسجدا » فدل على أنه كان فيهم من صلى لله فقتل : (راجع الروض) .

(٥) أعتد : حاضر ، من الشىء العتيد ، وهو الحاضر ، والمدد : العون .

(٦) تجرد : من رواه بالحاء المهملة ، فمعناه : غضب : ومن رواه بالجيم ، فمعناه : شمر وتهيأ للحرب . وسيم : طلب منه وكلف . والخسف : الذل ، وتربد : تغير إلى السواد .

(٧) الفيلق : العسكر الكثير .

ونَقَضُــوا ميثاقَكَ المُؤَكَّدَا   وجَعَلوا لى فِى كَدَاء رُصَّــدا[1]
وزَعموا أنْ لستُ أدعُو أحَدَا   وهُمْ أذلّ وأقَلّ عَـــــدَدا
هُمْ بَيَّتونا بالوَتِير هُجَّدا   وقَتَلونا رُكَّعا وسُجَّدا[2]
[يقول : قُتِلنا وقد أسْلمنا[3]]

قال ابن هشام : ويروى [أيضا[3]] :

فانصر هداك الله نصرا أيِّدا[4]

قال ابن هشام : ويروى أيضا :

[نحن ولدناك فكنت ولدا[3]]

قال ابن إسحاق :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتَ ياعمرو بن سالم[5] . ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَنان[6] من السّماء ، فقال : إن هذه السَّحابة لتستهلّ بنصر بنى كعب .

ذهاب ابن ورقاء إلى الرسول بالمدينة شاكيا وتعرف أبي سفيان أمره

ثم خرج بُدَيل بن ورقاء فى نفر من خُزاعة حتى قَدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينَة ، فأَخبروه بما أُصيب منهم ، و بمُظاهرة[7] قُريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشُد العَقْد ، ويَزيد فى المُدة . ومضى بُدَيل ابن ورقاء وأصحابه حتى لقُوا أبا سُفيان بن حرب بعُسفان[8] ، قد بعثته قُريش إلى

---

(1) كداء بوزن سحاب : موضع بأعلى مكة ، ورصد كركع جمع راصد ، وهو الطالب للشيء الذى يرقبه ، ويجوز أن يكون رصدا كسبب ، وهو بمعنى الأول .

(2) الوتير : اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة . والهجد : النيام ، وقد يكون «الهجد» أيضا : المستيقظين ، وهو من الأضداد . ورواية هذا الشعر فى الاستيعاب تخالف روايته هنا تقديما وتأخيرا وزيادة وحذفا .

(3) مابين القوسين ساقط فى ا .

(4) أيدا : قويا ، وهو من الأيد ، وهو القوة .

(5) فى الاستيعاب : « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لانصرنى الله إن لم أنصر بنى كعب » .

(6) عنان : سحاب .

(7) المظاهرة : المعاونة .

(8) عسفان : على مرحلتين من مكة ، على طريق المدينة . (راجع معجم البلدان) .

رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ليشُد العقد ويَزيد فى المُدة . وقد رَهِبوا الذى صنعوا . فلما لقى أبو سُفيان بُديل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يا بُديل ؟ وظن أنه قد أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ قال : تَسَيرت فى خزاعة فى هذا الساحل ، وفى بطن هذا الوادى ؛ قال : أو ماجئت محمدا ؟ قال : لا ؛ فلما راح بُديل إلى مكة ، قال أبو سُفيان : لئن جاء بُديل المدينة لقد عَلَف بها النوى ، فأتى مَبْرك راحلته ، فأخذ من بعَرها فَفَتّه ، فرأى فيه النّوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدَيل محمدا .

خروج أبى سفيان إلى المدينة للصلح وإخفاقه

ثم خرج أبو سُفيان حتى قدم على رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فلما ذهب ليَجْلس على فِراش رسولِ الله صلى الله عليه وسلم طَوته عنه ؛ فقال : يابُنَيّة ، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفِراش أم رغبت به عنّى ؟ قالت : بل هوفراش رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنت رجل مُشرك نجس ، ولم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ قال : والله لقد أصابك يابُنَية بعدى شرّ . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكلّمه ، فلم يردّ عليه شيئا ، ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلّمه أن يُكلّم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر ابن الخطاب فكلّمه ؛ فقال : أأنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذَّر لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب رضوانُ الله عليه ، وعنده فاطمة بنتُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، وعندها حسنُ بن علىّ ، غلام يَدِبّ بين يديها ، فقال : ياعلىّ ، إنك أمسّ القوم بى رحمًا ، وإنى قد جئت فى حاجة فلا أرجعنّ كما جئتُ خائبا ، فاشفع لى إلى رسول الله ؛ فقال : ويحك يا أبا سُفيان ! والله لقد عزَم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر مانَسْتطيع أن نكلّمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يابنة محمد ، هل لك أن تأمرى بُنَيّك هذا فيُجيرَ بين الناس ، فيكون سيدَ العرب إلى آخر الدهر ؟

قالت : والله مابلغ بُنَيّ ذاك أن يُجير بين الناس ، وما يُجير أحدٌ على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ؛ قال : يا أبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدّت علىّ ، فانصحنى ؛ قال : والله ما أعلم لك شيئا يغنى عنك شيئا ، ولكنك سيّد بنى كِنانة ، فقُم فأجِرْ بين الناس ، ثم الحق بأرضك ؛ قال : أوترى ذلك مُغْنيا عنى شيئا ؟ قال : لاوالله ، ما أظنّه ، ولكنى لاأجد لك غيرذلك . فقام أبوسُفيان فى المسجد، فقال : أيهاالناس ، إنى قد أجرتُ بين الناس . ثم ركب بعيرَه فانطلق ، فلما قدم على قُريش قالوا : ماوراءك ؟ قال : جِئتُ محمدا فكلّمته ، فوالله ماردَّ على شيئا ، ثم جئت ابن أبى قُحافة ، فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت ابن الخطّاب ، فوجدته أدنى العدو .

قال ابن هشام : أعدى العدو .

قال ابن إسحاق :

ثم جئت عليًّا فوجدته ألينَ القوم ، وقد أشار علىّ بشىء صنعتُه ، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئا أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ، ففعلت ؛ قالوا : فهل أجازذلك محمد ؟ قال : لا ؛ قالوا : ويلك ! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يُغنى عنك ماقلت . قال : لا والله ، ماوجدت غيرَ ذلك .

تجهيز الرسول لفتح مكة

وأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بالجَهاز ، وأمر أهلَه أن يجهّزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها ، وهى تحرّك بعض جَهاز رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقال : أى بُنَية : أأمركم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن تجهّزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهزّ ؛ قال : فأين تَرَيْنه يُريد ؟ قالت : [لا] والله ما أدرى . ثم إن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجِدّ والتهيّؤ ، وقال : اللهم خذ العُيون والأخبار عن قُريش حتى نَبغتَها(١)

(١) نبغتها : هو من البغتة ، وهو الفجأة ، يقال : بغته الأمر وفجأه : إذا جاءه ولم يعلم به .

شعر حسان في تحريض الناس

في بلادها. فتجهّز الناس، فقال حسان بن ثابت يحرّض الناس، ويذكر مصاب رجال خُزاعة:

عَنانِي ولم أشْهد ببَطْحاء مكةٍ ... رِجالُ بنى كَعْب تُحَزّ رِقابُها[1]
بأيدِى رجالٍ لم يَسلُّوا سيوفَهم ... وقَتْلَى كثيرٌ لم تُجَنَّ ثِيابُها[2]
ألا ليتَ شِعْرى هل تنالنَّ نُصْرتِى ... سُهيلَ بن عمرو وخزُها وعِقابُها[3]
وصَفْوانُ عَوْدٌ حَنَّ من شُفْرِ استه[4] ... فهذا أوانُ الحَرْب شُدَّ عِصَابُها
فلا تَأْمَنَنَّا يابن أُمّ مُجالد ... إذا احتُلِبت صِرْفا وأعْصَل نابُها[5]
ولا تَجْزَعوا منها فإن سيوفَنا ... لَها وقعةٌ بالموت يُفْتَحُ بابُها

قال ابن هشام:

قول حسّان: «بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم» يعنى قريشاً؛ «وابن أم مجالد» يعنى عِكرمة بن أبى جهل.

قال ابن إسحاق: وحدّثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُروة بن الزبير وغيره من عُلمائنا، قالوا:

كتاب حاطب إلى قريش وعلم الرسول بأمره

لما أجمع رسول الله صلّى الله عليه وسلم المسيرَ إلى مكة كتب حاطبُ ابن أبى بَلْتعة كتاباً إلى قريش يُخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الأمر فى السير إليهم، ثم أعطاه امرأةً، زعم محمدُ بن جعفر أنها من مُزينة، وزعم لى غيرُه أنها سارَة، مولاةٌ لبعض بنى عبد المطلب، وجعل لها

(١) عنانى: أهمنى. وفى الديوان: «غبنا فلم نشهد ببطحاء مكة رعاة .... الخ».
(٢) لم تجن ثيابها: لم تستر. يريد أنهم قتلوا ولم يدفنوا. وموضع هذا البيت متأخر فى الديوان.
(٣) كذا فى الديوان.
(٤) العود: المسن من الإبل.
(٤) كذا فى الديوان. وفى م: «شعر استه».
(٥) الصرف: اللبن الخالص هنا. وأعصل: اعوج، والعصل: اعوجاج الأسنان. ورواية الديوان للشطر الثانى: «إذا لقحت حرب وأعصل نابها» وابن أم مجالد: هو عكرمة ابن أبى جهل.

جُعلا على أن تبلّغه قريشاً ، فجعلته فى رَأْسها ، ثم فَتلتْ عليه قُرونها، ثم خرجت به ؛ وأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم الخبرُ من السماء بما صَنع حاطب ، فبعث علىّ ابنَ أبى طالب والزبيرَ بن العوام رضى الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطبُ بن أبى بَلْتعة بكتاب إلى قريش ، يحذّرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم .

فخرجا حتى أدركاها بالخليقة(1) ، خليقة بنى أبى أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمسا فى رَحْلها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها على بن أبى طالب : إنى أحلف بالله ما كُذِب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولا كُذِبنا ، ولتُخرِجِن لنا هذا الكتابَ أو لنكشفنَّك . فلما رأت الجِدّ منه ، قالت : أعرِض ؛ فأعرض ، فحلّت قُرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم . فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلم حاطباً ، فقال : ياحاطب ، ما حَمَلك على هذا ؟ فقال : يارسول الله ، أما والله إنى لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ما غيّرت ولا بدّلت ، ولكنى كنت امرأً ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهُرهم ولد وأهلٌ ، فصانَعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب ، يارسول الله ، دَعْنى فلأضرب عُنقه ، فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وما يُدْريك ياعمر ، لعل الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم . فأنزل الله تعالى فى حاطب : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ » ، إلى قوله : « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ » إلى آخر القصة .

---

(1) الخليقة : كذا وقع هنا بضم الخاء المعجمة فيهما . ورواه الخشنى : « بالخليقة » الحاء المعجمة فيهما . وفى كتاب ابن إسحاق : بذى الحليفة ، خليفة بنى أبى أحمد ، بضم المعجمة فيهما ، وبالفاء ، وهو اسم موضع . (عن أبى ذر) .

خروج الرسول في رمضان واستخلافه أبا رهم

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مُسلم بن شهاب الزهرى ، عن عُبيد الله ابن عبد الله بن عُتبة بن مَسْعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال :

ثم مضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رُهم ، كُلثوم بن حُصَين بن عُتبة بن خَلف الغِفاريّ ، وخرج لعشر مَضَيْن من رمضان ، فصام رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكُدَيد ، بين عُسْفان وأمَج أفطر .

نزولهم مر الظهران وتجسس قريش أخبار الرسول

قال ابن إسحاق :

ثم مضى حتى نزل مَرّ الظهران فى عشرة آلاف من المُسلمين ، فسبّعت سُليم ، و بعضهم يقول ألّفت[1] سليم ، وألّفت مزينة .. وفى كل القبائل عدد و إسلام ، وأوعب مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم المُهاجرون والأنصار ، فلم يتخلّف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَرّ الظهران ، وقد عُمِّيت الأخبار عن قريش ، فلم يأتهم خبرٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يَدْرون ماهوفاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبوسُفيان بن حَرْب ، وحكيم بن حِزام ، وبُديل ابن ورقاء ، يتحسّسون الأخبار ، و ينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به ، وقد كان العبّاس بن عبد المطّلب لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق .

هجرة العباس

قال ابن هشام :

لقيه بالجُحفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مُقيماً بمكة على سِقَايته . ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راضٍ ، فيما ذكر ابنُ شهاب الزهرى .

إسلام أبى سفيان ابن الحارث وعبد الله ابن أمية

قال ابن إسحاق :

وقد كان أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية ابن المغيرة قد لقيا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أيضاً بنيقِ العُقاب ، فيما بين مكة

---

(١) سبعت سليم : أى كانت سبع مئة . وألفت : أى كانت ألفا .

والمدينة ، فالتمسا الدّخول عليه ، فكلّمته أم سلمة فيهما ، فقالت : يارسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصِهْرك ؛ قال : لاحاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عِرضى ، وأما ابن عمتى وصِهْرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال . قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبى سُفيان بُنَىٌّ له . فقال : والله ليأذنَنّ لى أولآخذن بيدى بُنَىّ هذا ، ثم لنذهَبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجُوعا ، فلما بلغ ذلك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم رقّ لهما ، ثم أذِن لهما، فدخلا عليه ، فأسلما ، وأنشد أبو سفيان ابن الحارث قولَه فى إسلامه ، واعتذر إليه مما كان مضَى منه ، فقال :

شعر أبى سفيان فى الاعتذار عما كان فيه قبل إسلامه

لعمرك إنى يومَ أحمِــل رايةً … لتَغْلِبَ خيلُ اللات خيلَ محمدِ (١)
لكالمُدلج الحيرانِ أظلَم ليــلُه … فهذا أوانى حين أُهْدَى وأهتدى (٢)
هدانى هادٍ غــيرُ نفسِى ونالنِى … مع (٣) الله من طرّدتُ كل مُطرَّد
أصــدّ وأنأى جاهداً عن محمد … وأدعى وإن لم أنتسب من محمّد (٤)
هُمُ ماهُم من لم يقُلْ بهوَاهُمُ … وإن كان ذا رأيٍ يُلَمْ ويُفَنَّد (٥)
أريد لأرضِيهم ولستُ بلائطٍ … مع القوم مالم أُهْدَ فى كل مَقْعد (٦)
فقل لِثَقيف لا أُريد قِتالهَا … وقل لثقيفٍ تلك: غَيرىَ (٧) أوعِدى (٨)
فما كنت فى الجَيْش الذى نال عامراً … وما كان عن جرّا لسانى ولايدى (٩)

---

(١) أحمل راية : يريد : أقود الناس للحرب . واللات : صنم من أصنام العرب . وخيل اللات : جيوش الكفر .
(٢) المدلج : الذى يسير بالليل .
(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ودلنى على الله » وقد آثرنا ما فى (ا) لإجماع الأصول عليها بعد .
(٤) أنأى : أبعد .
(٥) يفند : يلام ويكذب .
(٦) لائط : ملصق . يقال: لاط حبه بقلبي ، أى لصق به .
(٧) كذا فى ا ، وفى م ، ر « عيرى » .
(٨) أوعدى : هددى .
(٩) عن جرا : من جراء .

قبائلُ جاءتْ من بلاد بَعيدة   نزائعُ جاءت من سَهام وسُرْدَد[1]

قال ابن هشام : ويروى « ودلّنى على الحق من طردت كل مطرد » .

قال ابن إسحاق :

فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قولَه « ونالنى مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى صَدْره ، وقال : أنت طرّدتنى كل مطرد !

صفة إسلام أبى سفيان على يد العباس

فلما نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مَرَّ الظَّهْران ، قال العباس ابن عبد المطلب : فقلت : واصباح قريش ! والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عَنْوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر . قال : فجلست على بغلة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم البيضاء ، فخرجتُ عليها . قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلىّ أجد بعضَ الحطّابة أو صاحبَ لبن أو ذا حاجة يأتى مكة ، فيُخبرهم بمكان رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ليَخْرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يَدْخلها عليهم عنوة . قال : فوالله إنى لأسير عليها ، والتمس ماخرجت له ، إذ سمعت كلام أبى سُفيان وبُديل بن ورقاء ، وهما يتراجعان ، وأبو سُفيان يقول : مارأيت كالليلة نيرانا قط ولاعسكرا ! قال : يقول بديل : هذه والله خزاعة حَمَشتها[2] الحرب قال : يقول أبو سُفيان : خزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ؛ قال : فعرفت صوته ؛ فقلت : ياأباحنظلة ، فعرف صوتى ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : مالك ؟ فداك أبى وامى ؛ قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الناس ، واصباحَ قريش والله ! قال : فما الحيلة ؟ فداك أبى وأمى ؛ قال : قلت : والله لئن

---

(١) سهام (بوزن سحاب) ، وسردد (بوزن جؤذر) : موضعان من أرض عك . (انظر الروض) .

(٢) حمشتها الحرب : أحرقتها . ومن قال : حمستها (بالسين المهملة) فمعناه : اشتدت عليها ، وهو مأخوذ من الحماسة ، وهى الشدة والشجاعة .

ظفر بك ليضربنّ عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى ، بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك ؛ قال : فركب خلفى ورجَع صاحباه ؛ قال : فجئت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها ، قالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إلىّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضْت البغلة ، فسبقتهُ بما تسبق الدابةُ البطيئة الرجلَ البطىء . قال : فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمرُ ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عَقد ولا عهد ، فدَعْنى فلأضرب عنقه ؛ قال : قلت : يارسول الله ، إنى قد أجرتُه ، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لايُناجيه الليلةَ دونى رجل ، فلما أكثر عمر فى شأنه ، قال : قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من بنى عدى بن كعب ماقلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ؛ فقال : مهلا ياعبّاس ، فوالله لَإسلامُك يوم أسلمت كان أحبّ إلى من إسلام الخطّاب لو أسلم ، ومابى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطّاب لو أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به ياعبَّاس إلى رَحْلك ، فإذا أصبحتَ فأتِنى به ؛ قال : فذهبت به إلى رحلى ، فبات عندى ، فلما أصبح غَدَوتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأْنِ[1] لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك !

---

(١) ألم يأن : ألم يحن ؛ يقال : آن الشىء يئين ، وأنى يأنى (كرمى يرمى) ، وأنى يأنى (من باب فرح) ، كله بمعنى .

والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ؛ قال العباس : قلت : يارسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فاجعل له شيئا ، قال : نعم ، من دخل دار أبى سُفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرفَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعباس ، احبسه بمَضِيق الوادى عند خَطْم الجبل[1]، حتى تمرّ به جنود الله فيراها . قال : فخرجتُ حتى حبستُه بمضيق الوادى ، حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحْبسه .

عرض جيوش الرسول أمام أبى سفيان

قال : ومرّت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : ياعباس ، مَن هذه ؟ فأقول : سُليم ، فيقول : مالى ولسُليم ، ثم تمر القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مُزينة ، فيقول : مالى ولمُزينة ، حتى نفذت القبائل ، ماتمر به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالى ولبنى فلان ، حتى مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام :

وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها

قال الحارث بن حِلِّزة اليشكرى :

ثم حُجْرا أعنى ابنَ أمّ قَطَامٍ ... وله فارسيّة خضراء

---

(1) حطم الجبل الحطم : أنفه الجبل وهو شىء يخرج منه ، يضيق به الطريق . ووقع فى البخارى فيه رواية أخرى لبعض الرواة ، وهى : « عند حطم الخيل » (بالحاء المهملة) ، وهو موضع ضيق تتزاحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضها .

يعنى الـكتيبة ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال حسان بن ثابت الأنصارى :

لمـارأى بدراً تَسِيل جِلاهُهُ بكتيبةخضراءمِن بَلْخَزْرَجِ

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر .

قال ابن إسحاق :

فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لايرى منهم إلا الحَدَق من الحديد ، فقال : سبحان الله : ياعباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ؛ قال : مالاحد بهؤلاء قِبَلٌ ولاطاقة ؛ والله يا أبا الفضل ، لقدأصبح مُلك بن أخيك الغداة عظيما ، قال : قلت:يا أباسفيان، إنها النبوّة . قال : فنعم إذن .

رجوع أبى سفيان إلى أهل مكة يحذرهم

قال : قلت : النجاء[1] إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لاقِبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عُتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتَلوا الحَمِيتَ الدّسِمَ الأحْمَس[2] ، قُبُّحَ من طليعة[3] قوم ! قال : ويلكم لاتغرّنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ؛ قالوا : قاتلك الله ، وما تُغنى عنا دارُك ؛ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرّق الناس إلى دورهم و إلى المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر .

وصول النبى إلى ذى طوى

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طُوى وقف على راحلته مُعْتَجِراً بِشُقَّة بُرْدِ حِبَرَة[4] حمراء ، وأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) النجاء : السرعة . تقول : نجا ينجو نجاء : إذا أسرع .

(٢) الحميت : زق السمن ، والدسم : الـكثير الودك ، والأحمس هنا : الشديد اللحم . والمعنى على تشبيه الرجل بالزق لعبالته وسمنه .

(٣) الطليعة : الذى يحرس القوم

(٤) معتجر الاعتجار : التعمم بغير ذؤابة ، والشقة : النصف . والحبرة : ضرب من ثياب اليمن .

ليَضع رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثنونه ليكاد يمسّ واسطة الرَّحْل .

إسلام أبي قحافة

قال ابن إسحاق : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت :

لما وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذى طُوًى قال أبو قُحافة لابنة من أصغر ولده : أى بنية ، اظْهَرِى بى على أبى قبيس[1] ؛ قالت : وقد كُفَّ بصره ؛ قالت : فأشرفت به عليه ، فقال: أى بنية ؛ ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ؛ قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مقبلاً ومدبراً ، قال : أى بنية ، ذلك الوازع[2] ، يعنى الذى يأمر الخيل ويتقدّم إليها ؛ ثم قالت : قد والله انتشر السواد ؛ قالت : فقال ، قد والله إذن دُفِعت الخيل ، فأسرعى بى إلى بيتى ، فانحطت به ، وتلقاه الخيلُ قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طَوْقٌ من وَرِق[3] ، فتلقاها رجل ، فيقتطعه من عنقها ؛ قالت : فلما دخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر ، يارسول الله ، هو أحقّ أن يَمشى إليك من أن تمشى إليه أنت ؛ قال . [قالت] : فأجلسه بين يديه ، ثم مَسح صدره ثم قال له . أسلم ، فأسلم ؛ قالت : فدخل به أبو بكر وكأنّ رأسه ثَغامة[4] ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : غيروا هذا من شعره ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختى . فلم يُجبه أحد ؛ قالت فقال : أى أُخَيَّة ، احتسبى طوقَك ، فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل .

دخول جيوش المسلمين مكة

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح أن رسول الله صلى الله

---

(١) اظهرى بى : اصعدى وارتفعى . وأبو قبيس : جبل بمكة .
(٢) الوازع : الذى يرتب الجيش ويسويه ويصفه ، فكأنه يكفه عن التفرق والانتشار .
(٣) الطوق هنا : القلادة . والورق : الفضة .
(٤) الثغامة : واحدة الثغام ، وهو من نبات الجبال ، وأشد ما يكون بياضا إذا أمحل ، يشبهون به الشيب .

عليه وسلّم حين فرّق جيشه من ذى طُوًى ، أمَرَ الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كُدًى ، وكان الزبير على الُمجَنّبَة اليسرى ، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء[1].

تخوف المهاجرين على قريش من سعد وما أمر به الرسول

قال ابن إسحاق :

فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وُجه داخلاً قال : اليومُ يوم المَلْحمة ، اليوم تُسْتَحَلّ الحُرمة ؛ فسمعها رجلٌ من المهاجرين ـ قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب ـ فقال : يا رسول الله : اسمعْ ما قال سعد ابن عُبادة ، ما نأمن أن يكون له فى قريش صَوْلة ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم لعلىّ بن أبى طالب : أدركه ، فخذ الراية منه ، فكن أنت الذى تدخل بها .

طريق المسلمين فى دخول مكة

قال ابن إسحاق : وقد حدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح فى حديثه :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللِّيط ، أسفلَ مكة ، فى بعض الناس ، وكان خالد على المُجَنِّبة اليمنى ، وفيها أسلم وسُليم وغِفار ومُزينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عُبيدة بن الجراح بالصفّ من المسلمين يَنصبّ لمكة بين يدى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أذاخِر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضُربت له هنالك قُبّته .

تعرض صفوان فى نفر معه للمسلمين

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح وعبد الله بن أبى بكر : أن صَفْوان بن أمية وعِكرمة بن أبى جهل وسُهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخَندمة ليُقاتلوا ، وقد كان حِمَاس بن قيس بن خالد ، أخو بنى بكر ، يُعِدّ

---

(١) كداء (كسماء) : جبل بأعلى مكة وهي الثنية التى عند المقبرة وتسمى تلك الناحية المعلاة . ودخل النبىّ صلى الله عليه وسلم مكة منها . و (كقرى) : جبل بأسفل مكة ، وخرج منه النبى صلى الله عليه وسلم . وقيل غير ذلك . (راجع معجم البلدان والقاموس وشرحه) .

سلاحا قبل دُخول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويُصلح منه ؛ فقالت له امرأتُه : لماذا تُعِدّ ماأرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ؛ قالت : والله ما أراه[1] يقوم لمحمد وأصحابه شيء ؛ قال : والله إني لأرجو أن أُخْدِمَكِ بعضَهم ، ثم قال :

إن يُقْبِلوا اليوم فمالِي عِلّه ... هذا سِلاحٌ كامل وأَلّه[2]

وذو غِرارين سريع السَّله[3]

ثم شهد الخَندمة مع صَفوان وسُهيل وعِكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من قتال ، فقتل كُرز بن جابر ، أحد بني محارب ابن فهر ، وخُنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بني مُنقذ ، وكانا في خيل خالد بن الوليد ، فشذّا عنه ، فسلكا طريقا غير طريقه ، فقتلا جميعاً ، قُتل خُنيس ابن خالد قبل كُرز بن جابر ، فجعله كُرز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قُتل ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمتْ صَفْراء من بني فِهرْ ... نَقِية الوَجْه نقية الصَّدرْ

لأضرِبنّ اليومَ عن أبي صَخرْ[4]

قال ابن هشام : وكان خُنيس يكنى أبا صخر ؛ قال ابن هشام : خنيس بن خالد ، من خزاعة .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نَجيح وعبد الله بن بكر قالا : وأُصيب من جُهينةَ سَلَمة بن الميلاء ، من خيل خالد بن الوليد ؛ وأُصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلا ، أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا ، فخرج حِمَاسٌ منهزما حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقي عليّ بابي ؛ قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

---

(١) كذا في ا . وفي بعض النسخ : ما أرى أنه .

(٢) الألّة : الحربة لها سنان طويل .

(٣) ذو غرارين : سيف ذو حدين .

(٤) يروى هذا الرجز بكسر الهاء في (فهر) والدال في (الصدر) والخاء في (صخر) على مذهب العرب في الوقف على ما أوسطه ساكن فإن منهم من ينقل حركة لام الكلمة إلى عينها في الوقف إذا كان الاسم مرفوعا أو مخفوضاً ، ولا يفعلون ذلك في النصب (راجع الروض).

إنَّكِ لوشهدتِ يومَ الخَنْدَمَهْ إذ فر صفوان وفرّ عِكْرِمَهْ
وابو يزيدَ قائم كالمُوتَمَهْ واستقبلتهُمْ بالسُّيوف المُسْلِمَهْ (١)
يقطعنَ كل ساعد وجُمجُمَهْ ضَرْباً فلا يُسْمَع إلاّ غمغمهْ (٢)
لهمْ نَهيتٌ خلْفَنَا وهَمْهَمَهْ لم تنطِقِى فى اللوم أدنى كلمهْ (٣)

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله « كالموتمه » ، وتروى للرعاش (٤) الهُذلى .

شعار المسلمين يوم الفتح وحنين والطائف

وكان شِعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحُنين والطائف ، شعارُ المهاجرين : يابنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يابنى عبد الله ، وشعار الأوس : يابنى عُبيدِ الله .

عهد الرسول إلى أمرائه وأمره بقتل نفر سماهم

قال ابن إسحاق :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عَهِدَ إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لايقاتلوا إلامن قاتلهم ، إلاأنه قد عَهِدَ فى نفر سمّاهم أمر بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بنى عامر ابن لؤى .

---

(١) وابو يزيد : قلب الهمزة ألفا ساكنة تخفيفا فى ضرورة الشعر . والمراد بأبى يزيد : سهيل بن عمرو خطيب قريش . والموتّمة والموتم بلا همز ، وتجمع على مياتم ، وهى المرأة مات زوجها وترك لها أيتاما . وقال ابن إسحاق فى غير هذه الرواية : « المؤتّمة » الأسطوانة ، وهو تفسير غريب ، وهو أصح من التفسير الأول ، لأنه تفسير راوى الحديث . وعلى قوله هذا يكون لفظ المؤتّمة من قولهم : وتم ، وأتم : إذاثبت ، لأن الأسطوانة تثبت ماعليها . ويقال فيها على هذا : مؤتّمة بالهمز ، وتجمع على مآتم ، وموتمة بلا همز ، وتجمع على : مواتم . (انظر الروض الأنف) .

(٢) الغمغمة : أصوات غير مفهومة لاختلاطها .

(٣) النهيت : صوت الصدر ، وأكثر مايوصف به الأسد . والهمهمة : صوت فى الصدر أيضا .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : «الرعاس» قال أبو ذر : «الرعاش : يروى ههنا بالسين والشين ، وصوابه بالشين المعجمة لاغير » .

سبب أمر الرسول بقتل سعد وشفاعة عثمان فيه

وإنما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى ، فارتد مشركاً راجعاً إلى قريش ، ففرّ إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيَّبه حتى أتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأنّ الناس وأهل مكة ، فاستأمن له ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ، ثم قال : نعم ، فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمتُّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلىّ يا رسول الله ؟ قال : إن النبى لا يقتل بالإشارة .

قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر

قال ابن إسحاق وعبد الله بن خَطَل ، رجل من بنىّ تيم بن غالب :

إنما أمر بقتله أنه كان مسلما، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدِّقا[1] ، وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلما ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تَيْسا ، فيصنع له طعاما ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئا ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركا .

أسماء من أمر الرسول بقتلهم وسبب ذلك

وكانت له قينتان : فَرْتَنَى وصاحبتها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

والحويرث ابن نُقَيذ بن وهب بن عبد بن قصىّ ؛ وكان ممن يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام : وكان العبّاس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم ، ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فنخَس بهما الحُوَيرث ابن نُقَيذ ، فرمى بهما إلى الأرض .

قال ابن إسحاق ومِقْيس بن حُبابة[2] . وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش

---

(١) مصدقا ، بتشديد الدال : جامعا للصدقات ، وهى الزكاة .

(٢) كذا فى القاموس وشرحه . وفى ا : «ضبابة» ، وفى م ، ر : «صبابة» .

مشركا . وسارَة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب . وعِكرمة بن أبى جهل . وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عِكْرمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمّنه ، فخرجت فى طلبه إلى اليمن(١)، حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم .

• وأما عبد الله بن خَطَل فقتله سعيد بن حُرَيْث المخزومى وأبو بَرْزة الأسلمى ، اشتركا فى دمه ؛ وأما مِقْيس بن حُبابة(٢) فقتله نُمَيْلة بن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مِقْيس فى قتله :

لعمرى لقد أخزى نُمَيلَةُ رهطَه وفَجّع أضيافَ الشتاء بمِقْيَسِ
فلله عيناً من رأى مثلَ مِقْيَسٍ إذا النُّفَساء أصبحت لم تُخَرَّس(٣)

وأما قينتا ابن خَطَل فقُتلت إحداها ، وهربت الأخرى ، حتى استُؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمنها وأما سَارَة فاستؤمن لها فأمنها ، ثم بَقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرساً فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحويرث بن نُقيذ فقتله على بن أبى طالب .

حديث الرجلين اللذين أمنتهما أم هانئ

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هِنْد عن أبى مُرّة ، مولى عَقيل ابن أبى طالب ، أن أم هانئ بنة أبى طالب قالت :

لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر إلىّ رجلان من أحْمائى، من بنى مخزوم ، وكانت عند هُبَيْرة بن أبى وَهْب المخزومى ، قالت : فدخل علىّ علىُّ بن أبى طالب أخى ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما بابَ بيتى ، ثم جئْت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جَفْنةٍ إنّ فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه ، فتوشح به ، ثم صلى ثمانىَ ركَعات من الضُّحى، ثم انصرف إلىّ ، فقال : مرحبا وأهلا

---

(١) هذه الكلمة (إلى اليمن) ساقطة فى ا .

(٢) راجع الحاشية (رقم ٢ ص ٥٢) .

(٣) لم تخرس : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، واسم ذلك الطعام خرس وخرسة (بضم الخاء) ، وإنما أرادت به زمن الشدة .

يا أم هانئ ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبرَ الرجلين وخبر عليّ ؛ فقال : قد أجرنا من أجرتِ ، وأمّنا من أمّنت ، فلا يقتلهما .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام ، وزُهيرُ بن أبي أميَّة بن المُغيرة .

طواف الرسول بالبيت وكلمته فيه

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُبيد الله بن عبدالله ابن أبي ثَوْر ، عن صَفِيّة بنت شَيْبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيتَ ، فطاف به سَبْعًا على راحلته ، يستلم الركن بِمِحْجَن[1] في يده ، فلما قضى طوافَه دعا عثمانَ بن طلحة ، فأخذ منه مِفتاح الكعبة، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حَمامة من عِيدَانٍ ، فكسَرَهابيده ، ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفّ له الناسُ[2] في المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزَم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثُرة[3] أو دم أو مال يُدَّعى فهو تحت قدَمَيَّ هاتين إلاَّ سَدَانةَ[4] البيت وسِقايةَ الحاج ، ألاوقتيلُ الخطأ شبهِ العمْد بالسَّوْط والعصا ، ففيه الدِّيةُ مغلظة ، مِئة من الإبلِ ، أربعون منها في بطونها أولادها . يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوةَ الجاهلية ، وتعظُّمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ

---

(١) المحجن : عود معوج الطرف ، يمسكه الراكب للبعير في يده .

(٢) استكف له الناس : استجمع ، من الكافة ، وهي الجماعة . وقد يجوز أن يكون « استكف » هنا بمعنى نظروا إليه ، وحدقوا أبصارهم فيه ، كالذي ينظر في الشمس ، من قولهم : استكففت الشيء : إذا وضعت كفك على حاجبيك ، ونظرت إليه وقد يجوز أن يكون «استكف» هنا أيضاً بمعنى استدار ، ومنه قول النابغة : «إذا استكف قليلا تربه انهدما» . (عن أبي ذر) . والذي في اللسان : « استكفوه : صاروا حواليه ؛ واستكف به الناس : إذا أحدقوا به » .

(٣) المأثرة : الخصلة المحمودة التي تتوارث ويتحدث بها الناس .

(٤) سدانة البيت : خدمته .

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) . الآية كلها . ثم قال : يامعشر قريش ، ماتُرَون أَنى فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء» .

إقرار الرسول ابن طلحة على السدانة

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فقام إليه على ابن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال : يارسول الله ، اجمع لنا الحِجابة مع السقاية صلى الله عليك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان ابن طَلحة ؟ فدُعِى له ، فقال : هاكَ مِفتاحَك ياعثمان ، اليومُ يومُ برٍّ ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى : إنما أعطيكم ماتُرْزَءون لا ماتَرْزَءون[1] .

أمر الرسول بطمس ما بالبيت من صور

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً فى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ! جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام[2] ! ما شأن إبراهيم والأزلام ! « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » . ثم أمر بتلك الصور كلها فطُمِست[3] .

صلاة الرسول بالبيت وتوخى ابن عمر مكانه

قال ابن هشام وحدثنى :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلّف بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى ؛ فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قِبَل وجهه ، وجعلَ الباب قِبَل

---

(1) ماترزءون لا ماترزءون : قال أبو على : «إنما معناه : إنما أعطيتكم ماتمنون كالسقاية التى تحتاج إلى مؤن ، وأما السدانة فيرزأ لها الناس بالبعث إليها ، يعنى كسوة البيت» .

(2) الأزلام : واحدها زلم ، بضم الزاء وفتحها ، وهى السهام . ويستقسم بها : يضرب بها .

(1) طمست : غيرت .

ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قَدْر ثلاث أذرع ، ثم يصلّى ، يتوخّى[1] بذلك الموضع الذى قال له بلال .

سبب إسلام عتاب والحارث بن هشام

قال ابن هشام ، وحدثنى :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذّن ، وأبو سفيان بن حرب وعتّاب بن أَسِيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ؛ فقال عتّاب بن أسيد : لقد أكرم الله أسيدا ألاّ يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه مُحِق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلّمت لأخبَرَتْ عنى هذه الحصَى . فخرج عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد علمتُ الذى قلتم ، ثم ذكر ذلك لهم ؛ فقال الحارث وعتّاب : نشهد أنك رسول الله ، والله ما اطّلع على هذا أحد كان معنا ، فنقول أَخْبرك .

سبب تسمية الرسول لخراش بالقتال

قال ابن إسحاق : حدثنى سعيد ابن أبى سَنَدَر الأسلمى ، عن رجل من قومه ، قال :

كان معنا رجل يقال له أحمر بأساً[2] ، وكان رجلا شجاعا ، وكان إذا نام غَطّ[3] غطيطا مُنكَرا لا يخفى مكانه ، فكان إذا بات فى حيه بات مُعْتَنِزاً[4] ، فإذا بُيّت الحى[5] صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لا يقوم لسبيله شىء . فأقبل غَزِىٌّ[6] من هُذَيل يريدون حاضره ، حتى إذا دنوا من الحاضر[7] ، قال ابنُ الأثوع الهذلى : لا تعجلوا علىّ حتى أنظر ، فإن كان فى الحاضر أحمر فلا سَبيل إليهم ، فإن له غطيطا لا يخفى ، قال فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف فى صَدْره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصَرخوا يا أحمر ،

(١) يتوخى : يقصد .

(٢) علق أبو ذر على هذا الاسم بأنه جملة مركبة ، ولعله يريد أنه « احمر » بتشديد الراء ، فيكون منقولا من جملة فعلية مثل : « تأبط شرا » .

(٣) الغطيط : مايسمع من صوت الآدميين إذا ناموا .

(٤) معتنزا : أى ناحية من الحى . يقال : هذا بيت معتنز : إذا كان خارجا عن بيوت الحى.

(٥) بيت الحى : غزوا ليلا .

(٦) الغزى : جماعة القوم يغزون .

(٧) الحاضر : الذين ينزلون على الماء .

ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ، وكان الغدُ من يوم الفتح ، أتى ابن الأثوع الهذلى حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شِرْكه ، فرأته خُزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جُدُر مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحمر ؟ قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فَمَه[(١)] ؟ قال : إذْ أقبلَ خِراش ابن أمية مشتملا على السيف ، فقال : هكذا عن الرجُل[(٢)] ، ووالله ما نَظن إلا أنه يريد أن يُفَرج الناس عنه . فلما انفرجنا عنه حمل عليه ، فطعنه بالسيف فى بطنه ، فوالله لكأنى أنظر إليه وحِشْوَته[(٣)] تَسيل من بطنه ، وإن عينيه لَتُرَنِّقَانِ[(٤)] فى رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يا مَعشرَ خُزاعة ؟ حتى انْجَعَفَ[(٥)] فوقع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا مَعشر خُزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلاً لأَدِيَنَّهُ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حَرْملة الأسْلمى ، عن سعيد ابن المسيِّب ، قال :

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خِراش بن أُمية ، قال : إن خِراشا لقَتَّال ؛ يعيبه بذلك .

ما كان بين أبى شريح وابن سعيد حين ذكره بحرمة مكة

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المَقْبُرىُّ عن أبى شُرَيح الخُزاعى ، قال :

---

(١) فه : هى ما الاستفهامية ، حذفت ألفها واجتلبت هاء السكت فى الوقف . ومعناه : فما الذى تريدون أن تصنعوه ؟

(٢) قال أبو ذر : « هكذا : اسم سمى به الفعل ، ومعناه تنحوا عن الرجل . وعن : متعلقة بما فى هكذا من معنى الفعل » . ويفهم من قول خراش « هكذا » أشارته بيديه إلى الناس ليتنجوا عن ابن الأثوع ، وليس يريد أنه من أسماء الأفعال .

(٣) الحشوة (بالكسر) : ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء وغيرها .

(٤) لترنقان : يريد أنهما قريبان أن تنفلقا . يقال : رنقت الشمس ، إذا دنت للغروب ، ورنقه النعاس ، إذا ابتدأه قبل أن تنغلق عينه . قال الشاعر :

وسنان أقصده النعاس فرنقت ... فى عينه سنة وليس بنائم

(٥) انجعف : سقط سقوطا ثقيلا . يقال : انجعفت الثمرة ، إذا انقلعت أصولها فسقطت .

لما قدم عَمْرو بن الزبير[1] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزُّبير ، جِئته ، فقلت له : ياهذا ، إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عَدَتْ خُزاعة على رجل من هُذَيْل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فقال : يأيها الناس ، إن الله حَرَّم مكّة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلا يَحِل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْفِك فيه دما ، ولا يَعْضِدَ[2] فيها شجرا ، لم تَحْلِل لأحد كان قبلى ، ولا تَحِلّ لأحد يكون بعدى ، ولم تُحلَلْ لى إلا هذه الساعة ، غضبا على أهلها . ألا ، ثم قد رَجَعَتْ كحُرمتها بالأمس ، فليبلغِ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله [قد][3] قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يُحْلِلْها لكم ، يا معشر خُزاعة ، ارفعوا أيديَكم عن القتل ، فلقد كثُر القتل إنْ نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأَدِيَنَّهُ ، فمن قُتِل بعد مَقامى هذا فأهله بخير النَّظَرَين : إن شاءوا فدَم قاتله ؛ وإن شاءوا فعَقْلُهُ . ثم وَدَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خُزاعة ؛ فقال عمرو لأبى شُريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحُرْمتها منك ، إنها لا تمنع سافكَ دم ، ولا خالعَ طاعة ، ولا مانع جزْية ؛ فقال أبو شُريح : إنى كنتُ شاهدا وكنتَ غائبا ، ولقد أمَرَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبَلِّغ شاهدُنا غائبَنا ، وقد أبلغتُكَ ، فأنت وشأنك .

أول قتيل وداه الرسول يوم الفتح

قال ابن هشام : وبلغنى أن أول قتيل وَدَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جُنَيْدِب بن الأكوع ، قتلته بنو كعب ، فوَداه بمئة ناقة .

---

(١) قال السهيلى : هذا وهم من ابن هشام . وصوابه : وهو عمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية ، وهو الأشدق . . . وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائى فى روايته ، من أجل أن عمرو بن الزبير كان معاديا لأخيه عبد الله ومعينا لبنى أمية . هذا ماذهب إليه السهيلى . وقد نقل ابن أبى الحديد عن المسعودى فى شرح نهج البلاغة (ج ٤ ص ٤٩٥) ما يثبت أن قتالا كان بين عمرو بن الزبير وأخيه عبد الله ، قال : « كان يزيد بن معاوية قد ولىّ الوليد بن عتبة بن أبى سفيان المدينة ، فسرح منها جيشا إلى مكة لحرب عبد الله ابن الزبير ، عليه عمرو بن الزبير أخوه ، وكان منحرفا عن عبد الله ، فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه ، فظفر به عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد مجرداً ، ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات » .

(٢) لا يعضد : لا يقطع .

(٣) زيادة عن ا .

تخوف الأنصار من بقاء الرسول فى مكة وطمأنة الرسول لهم

قال ابن هشام : وبلغنى عن يحيى بن سعيد :

أن النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو [الله][1] وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أتُرَون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فَرَغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله ؛ فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : مَعاذَ الله ! المَحْيا محيا كم ، والمَمات مماتكم .

سقوط أصنام الكعبة بإشارة من الرسول

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل الرواية فى إسناد له ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال :

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرّصاص ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول : (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع ؛ فقال تميم بن أسَد الخزاعىّ فى ذلك :

وفى الأصنام مُعتَبَر وعِلْم ... لمن يَرْجو الثوابَ أو العقابا

كيف أسلم فضالة

قال ابن هشام ، وحدثنى :

أن فَضالة بن عُمَير بن المُلَوِّح الليثىّ أراد قتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عامَ الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أفَضالة قال : نعم ، فضالة يا رسول الله ؛ قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله ؛ قال : فضحك النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استَغْفِرِ الله ، ثم وضع يده على صدْره ، فسكن قلبه ؛ فكان فَضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما مِنْ خَلْقِ الله شيء أحبُّ إلى منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلى ، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هَلُمَّ إلى الحديث ، فقلت : لا ، وانبعث فَضالة يقول :

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لا ... يَأبَى عليكِ اللهُ والإسلامُ
لَوْ مَا رأيتِ محمداً وقَبِيلَه ... بالفتح يومَ تَكسَّرُ الأصنامُ
لرأيتِ دينَ الله أضحى بيِّنا ... والشركُ يغشَى وجهَه الإظلامُ

أمان الرسول لصفوان بن أمية

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير قال :

خرج صفوان بن أمية يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عُمَير بن وَهْب : يانبيّ الله إن صفوان بن أمية سيّد قومه ، وقد خرج هارباً منك ، ليقذف نفسه في البحر، فأَمِّنْه ، صلّى اللهُ عليكَ ؛ قال : هو آمن ؛ قال : يا رسول الله ، فأعطني آية يعرف بها أمانك ؛ فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عِمامَته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عُمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : يا صفوان ، فِدَاكَ أبي وأمي ، اللهَ اللهَ في نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به ؛ قال : ويحك ! اغرُبْ عنّي فلا تكلمْني ؛ قال : أي صفوان ، فَدَاكَ أبي وأمي ، أفضلُ الناس ، وأبرُّ الناس ، وأحلم الناس وخير الناس ، ابن عمك ، عزّه عزُّك ، وشرفه شرفك ، ومُلْكه ملكك ؛ قال : إني أخافه على نفسي ؛ قال : هو أحلم من ذاك وأكرم . فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمَّنْتَني ؛ قال : صدق ؛ قال : فاجعلني فيه بالخِيار شهرين ؛ قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثني رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لعُمير : وَيْحَكَ ! اغرُبْ عني ، فلا تكلمْني ، فإنك كذاب ، لِما كان صنع به ، وقد ذكرناه في آخر حديث يوم بدر .

إسلام عكرمة وصفوان

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري :

أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وفاختة بنت الوليد ـ وكانت فاختة عند صَفْوان بن أمية ، وأمّ حكيم عند عِكْرِمة بن أبي جهل ـ أسلَمَتا ، فأما أم حكيم فاستأْمَنَت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعِكْرمة ، فأمَّنه ، فلحقتْ به

باليمن ، فجاءت به ، فلما أسلم عِكْرمة وصفوان أقرّهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الأول .

إسلام ابن الزبعرى وشعره فى ذلك

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : قال رَمى حسانُ ابنَ الزِّبَعْرَىٰ وهو بنجرانَ ببيت واحد ما زاده عليه :

لا تَعْدَمَنْ رجُلا أحَلَّكَ بُغْضُهُ نجرانَ فى عَيْشٍ أَحَذَّ لئيم (١)

فلما بلغ ذلك ابنَ الزِّبَعْرَى خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال حين أسلم :

يا رسولَ المليكِ إنّ لِسانى راتقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ (٢)
إذْ أبارى الشيطان فى سَنَنِ الْغَىِّ ومَنْ مالَ ميلَه مَثْبور (٣)
آمَنَ اللحْمُ والعظامُ لربِّى ثم قلبى الشهيدُ أنتَ النَّذير
إنَّنى عنك زاجرٌ ثَمَّ حَيًّا من لُؤَىٍّ وكلُّهُمْ مَغْرُور

قال ابن إسحاق :

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى أيضاً حين أسلم :

منع الرقادَ بلابلٌ وهمومُ والليلُ مُعْتَلِجُ الرِّواقِ بَهِيمُ (٤)
مِمّا أتانى أن أحمدَ لامَنِى فيهِ فبتُّ كأنَّنى محموم
ياخيرَ مَنْ حمَلَتْ على أَوْصالِها عَيْرَانَةٌ سُرُحُ الْيَدَيْنِ غَشُوم (٥)

---

(١) أحذ (بالحاء المهملة والذال المعجمة) : هو القليل المنقطع . ومن رواه : أجد ، (بالجيم والدال المهملة) : فمعناه منقطع أيضا . وقد يجوز أن يكون معناه : فى عيش لئيم جدا . (عن شرح أبى ذر) .

(٢) الراتق : الساد ، تقول : رتقت الشىء ، إذا سددته . قال الله تعالى : « كانتا رتقا ففتقناهما » وفتقت : يعنى فى الدين ، فكل إثم فتق وتمزيق ، وكل توبة رتق . ومن أجل ذلك قيل للتوبة نصوح ، من نصحت الثوب إذا خطته ، والنصاح : الخيط . وبور : هالك . يقال : رجل بور وبائر ، وقوم بور .

(٣) أبارى : أجارى وأعارض . والسنن بالتحريك : وسط الطريق . ومثبور : هالك

(٤) البلابل : الوساوس المختلطة والأحزان . معتلج : مضطرب يركب بعضه بعضا . والبهيم : الذى لاضياء فيه .

(٥) عيرانة : ناقة تشبه العير فى شدته ونشاطه . والعير هنا : حمار الوحش . وسرح اليدين : خفيفة اليدين . وغشوم : لاترد عن وجهها . ويروى : (سعوم) وهى القوية على السير . ويروى أيضا (رسوم) ومعناه أنها ترسم الأرض وتؤثر فيها ، من شدة وطئها .

إنى لمعتذرٌ إليك مِنَ الّذى   أسديتُ إذْ أنا فى الضلال أهِيم(١)
أيّامَ تَأمُرُنِى بأغوى خُطَّةٍ   سَهْمٌ وتأمُرُنى بها مَخْزُوم
وأمُدُّ أسباب الرَّدَى ويقودُنى   أمْرُ الغُواةِ وأمرهم مَشْئُوم(٢)
فاليومَ آمنَ بالنبىّ محمــــدٍ   قلْبِى ومُخطِئُ هٰــــذِهِ مَحْروم
مَضَتِ العداوةُ وانقضتْ أسْبابُها   ودَعَتْ أواصرُ بيننا وحُلُوم(٣)
فاغفر فِدًى لك والداى كلاهما   زَلَلِى ، فإنك راحم مرحوم
وعليك من عِلْم المليك علامة   نور أغَــرُّ وخاتم مختوم
أعطاكَ بعــــد محبةٍ برهانَه   شرَفًا وبُرْهان الإله عظيم
ولقد شَهِدت بأن دينَكَ صادقٌ   حقٌّ وأنك فى العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مُصْطَفًى   مُسْتقبل فى الصالحين كريم(٤)
قَرْم علا بُنيانه من هاشم   فَرْع تمكن فى الذُّرا وأُرُوم(٥)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له .

قال ابن إسحاق :

بقاء هبيرة على كفره وشعره فى إسلام زوجه أم هانئ

وأما هُبيرة بن أبى وَهْب المخزومىّ فأقام بها حتى مات كافرا ، وكانت عنده أم هانئ بنة أبى طالب ، واسمها هِنْد ، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانئ :

أشاقتكَ هندٌ أم أتاك سؤالُها(٦)   كذاكَ النّوى أسبابُها وانفتالُها(٧)
وقد أرّقَتْ فى رأس حِصْن ممنَّع   بنجرانَ يسرى بعدَ لَيلٍ خيالُها(٨)

---

(١) أسديت : صنعت وحكيت ، يعنى ما قال من الشعر قبل إسلامه . وأهيم : أذهب على وجهى متحيرا .

(٢) الردى : الهلاك .

(٣) الأواصر : جمع آصرة ، وهى قرابة الرحم بين الناس .

(٤) مستقبل : منظور إليه ملحوظ .

(٥) قرم : سيد ، وأصله الفحل من الإبل . والذرا : الأعالى ، جمع ذروة . والأروم : الأصول ، جمع أرومة (بفتح أوله وضمه) .

(٦) كذا فى م ، ر . وفى ا : « نآك » . قال أبو ذر فى شرحه : « نآك : أى بعد عنك ، والنأى : البعد » .

(٧) وانفتالها : أى تقلبها من حال إلى حال . ويروى : « وانتقالها » .

(٨) أرقت : أزالت النوم . ونجران : بلد من اليمن .

وعاذلةٍ هَبّتْ بليلٍ تَلُومُنِي ... وتَعْذِلُنِى بالليـــلِ ضَلّ ضلالُهـا[1]
وتَزْعُمُ أنى إن أطَعْتُ عَشيرتِى ... سأُرْدَى وهل يُرْدينِ إلا زِيالُهـا[2]
فإنى لِمَنْ قوم إذا جدَّ جِدُّهم ... على أىّ حالٍ أصبح اليوم حالُهـا
وإنى لحامٍ من وراءِ عشيرتى ... إذا كان من تحت العوالى مجالُهَا[3]
وصارت بأيديها السيوف كأنها ... مخاريقُ وِلْدانٍ ومنها ظِلالُهـا[4]
وإنى لَأقلَى الحاسدينَ وفعلَهُمْ ... على الله رزقى نفسُها وعيالُهـا[5]
وإن كلام المرء فى غير كُنهِهِ ... لكالنَّبْل تهوِى ليس فيها نِصالُهـا[6]
فإنْ كنتِ قد تابعت دِينَ محمدٍ ... وعَطَّفَتِ الأرحامَ منك حبالُهـا
فكونى على أعلى سَحيقٍ بهَضْبَةٍ ... مُلَمْلَمَةٍ غَـــبراء يَبْسٍ بِلالُهـا[7]

قال ابن إسحاق : ويروى : «وقطعت الأرحامَ منك حبالُهـا» .

عـدة من شهد فتح مكة من المسلمين

قال ابن إسحاق :

وكان جميع من شهد فتح مكةَ من المسلمين عشرةَ آلاف . من بنى سُلَيم سبع مئة . ويقول بعضهم : ألف ؛ ومن بنى غِفار أربع مئة ، ومن أسْلَمَ أربع مئة ؛ ومن مُزَيْنة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قُرَيش والأنصار وحلفائهم ، وطوائف العرب من تَميم وقيس وأسد .

شعر حسان فى فتح مكة

وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصارى[8] :

---

(١) هبت : استيقظت . وضل ضلالهـا : دعاء عليها بالضلال .

(٢) سأردى : سأهلك . وزيالهـا : ذهابها .

(٣) العوالى : أعالى الرماح .

(٤) المخاريق : جمع مخراق ، وهى مناديل تلف ويمسكها الصبيان بأيديهم ، يضرب بها بعضهم بعضا ، شبه السيوف بها .

(٥) قلاه : (كرماه ورضيه ، قلى وقلاء ومقلية) : أبغضه وكرهه غاية الكراهة ، فتركه . ونفسها وعيالهـا : يريد نفسه وعياله .

(٦) كنهه : حقيقته . والنصال : حديد السهام .

(٧) السحيق : البعيد . والهضبة : الكدية العالية . والململمة : المستديرة . والغبراء التى علاها الغبار . ويبس : يابسة .

(٨) وردت هذه القصيدة فى ديوان حسان المطبوع بأوربا بزيادة بعض الأبيات واختلاف فى ترتيب بعض .

عَفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجواءُ إلى عَذْراء منزلها خَلاَءُ(١)
دِيارٌ من بنى الحَسْحَاس قَفْرٌ تُعَفِّيها الروامسُ والسَّماءُ(٢)
وكانتْ لا يزالُ بها أنيس خِلال مُرُوجِها نَعَمٌ وشاءُ(٣)
فدَعْ هذا ، ولـكِنْ مَنْ لِطَيْفٍ يُؤَرِّقُنِى إذا ذهب العِشاَءُ(٤)
لِشَعْثاَء التى قد تَيَّمَتْهُ فليسَ لقلبه منها شِفاءُ(٥)
كأن خبيئة من بيت رأس يكون مِزاجَها عسلٌ وماءُ(٦)
إذا ما الأشْرِباتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا فهنّ لطيِّب الراحِ الفداءُ(٧)
نولِّيها الملامة إنْ أَلَمْنَا إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحَاءُ(٨)
ونشربها فتتركُنا ملوكا وأُسْداً ما يُنَهْنِهُنا اللقاءُ(٩)
عَدِمْنا خيلَنا إن لم تروها تثير النقعَ موعدُها كَدَاءُ(١٠)

---

(١) عفت : تغيرت ودرست . ذات الأصابع والجواء : موضعان بالشام ، وبالجواء كان منزل الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان حسان كثيرا مايرد على ملوك غسان بالشام يمدحهم ، فلذلك يذكر هذه المنازل . وعذراء : قرية على بريد من دمشق .

(٢) بنو الحسحاس : حي من بني أسد . وأصل الحسحاس الرجل الجواد ، ولعله مراد هنا . والروامس : الرياح التى ترمس الآثار أى تغطيها . والسماء : المطر . (عن السهيلى) .

(٣) النعم : المال الراعى ، وهو جمع لا واحد له من لفظه ، وأكثر ما يقع على الإبل ، والشاة من الغنم ، يقع على الذكر والأنثى ، والجمع شاء وشياه .

(٤) الطيف : خيال المحبوبة يلم فى النوم . ويؤرقنى : يسهرنى . يريد أن الطيف إذا زال عنه وجد له لوعة تؤرقه .

(٥) شعثاء : اسم امرأة ، قيل هى بنت سلام بن مشكم اليهودى ، كما فى السهيلى ، وقيل هى امرأة من خزاعة ، كما فى نوادر ابن الأعرابى ، وقيل غير ذلك .

(٦) الخبيئة : الخمر المخبوءة المصونة المضنون بها . وبيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر الجيدة . وبعد هذا البيت فى الديوان المطبوع بأوربا :

على أنيابها أو طعم غض من التفاح هصره اجتناء

وعلق عليه السهيلى فقال : البيت موضوع ، لايشبه شعر حسان ولا لفظه .

(٧) الأشربات : جمع الأشربة ، والأشربة : جمع شراب . يريد أن الأشربة غير راح بيت رأس لاتدانيها فى اللذة .

(٨) نوليها الملامة : نصرف اللوم إليها . إن ألمنا : إن فعلنا مانستحق عليه اللوم . يقال : ألام الرجل فهو مليم . والمغث : الضرب باليد . واللحاء : السباب .

(٩) ينهنهنا : يزجرنا ويردنا .

(١٠) النقع : الغبار . وكداء (بوزن سحاب) : ثنية بأعلى مكة (راجع الحاشية الأولى ص ٤٩) .

يُنازعن الاعنَّــةَ مُصْغِيات على أكتافها الأَسَــلُ الظِّماءُ[1]
تظلُّ جِيادنا مُتمَطِّراتٍ يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّسَاءُ[2]
فإمَّا تُعْرِضُوا عنّا اعْتَمَرْنا وكان الفتحُ وانكشف الغِطاءُ[3]
وإلا فاصــبِرُوا لِجلاد يَوْمٍ يُعِينُ اللهُ فيــه من يشاءُ[4]
وجــبريلٌ رسولُ الله فينا ورُوحُ القُدُسِ ليس له كِفاءُ[5]
وقال الله قد أرْسَلْتُ عَبْدًا يقولُ الحقَّ إنْ نفعَ البَلاءُ[6]
شَهِدتُ به فَقُومُوا[7] صَدِّقوهُ فقلتم لانقوم ولا نَشاء
وقَالَ اللهُ قد سـيَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الأنصارُ عُرْضَتُها اللِّقاءُ[8]
لنا فى كل يوم من مَعَــدٍّ سِــباب أو قِتال أو هِجاء
فنُحْــكِمُ بالقوافى من هَجانا ونَضْرِب حين تختلِطُ الدماءُ[9]

---

(١) الأعنة : جمع عنان وهو اللجام . والمصغيات : الموائل المنحرفات للطعن . والأسل : الرماح . والظماء : العطاش ويروى : (يبارين الأسنة) بدل : (ينازعن الأعنة) ، و (مصعدات) بدل مصغيات .

(٢) المتمطرات : قيل معناه المصوبات بالمطر . ويقال : المتمطرات : التى يسبق بعضها بعضا . ويلطمهن : تضرب النساء وجوههن لتردهن . والخمر : جمع خمار ، وهو ماتغطى به المرأة رأسها ووجهها . أى أن النساء كن يضربن وجوه الخيل بخمرهن يوم الفتح . قال السهيلى : وقال ابن دريد فى الجمهرة : كان الخليل رحمه الله يروى بيت حسان : (يطلمهن بالخمر) وينكر : (يلطمهن) ويجعله بمعنى ينفض النساء بخمرهن ما عليهن من غبار أو نحو ذلك .

(٣) اعتمرنا : أدينا مناسك العمرة ، وهى زيارة بيت الله الحرام .

(٤) الجلاد : القتال بالسيوف . ويروى : (يعز الله) بدل (يعين الله) .

(٥) كفاء : مثل .

(٦) البلاء : الاختبار .

(٧) رواية الديوان : (وقوى) .

(٨) عرضتها اللقاء : عادتها أن تتعرض للقاء ، فهى قوية عليه .

(٩) نحكمه : نمنعه ونكفه ، ومنه سمى القاضى حاكما ، لأنه يمنع الناس من الظلم .

ألا أبلغْ أبا سـفيانَ(١) عَنِّى مُغَلْغَلَةً(٢) فقد بَرِحَ الخفاء
بأنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْداً وعَبْد الدَّارِ سادَتُها الإِمَاء(٣)
هَجَوْتَ محمدا وأجبتُ عنـهُ وعنــــدَ الله فى ذاكَ الجزاء
أتهجوه ولستَ له بكفءٍ فشرُّكما لخــــيركما الفِداء
هجوتَ مباركا بَرًّا حَنيفاً أمينَ اللهِ شِيمتُه الوفاء(٤)
أَمَن يهجو رسولَ اللهِ منكمْ ويمدحه وينصرهُ سَــواء ؟
فإن أبى ووالده وعِرضى لعرض محمــــد منكم وقاء
لسانى صارم لاعيبَ فيــه وبحرى لا تكدره الدِّلاء

قال ابن هشام : قالها حسان يوم الفتح . ويروى «لسانى صارم لاعتب فيه».

وبلغنى عن الزهرى أنه قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يَلْطِمْن الخيلَ بالخُمُر تبسم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

شعر أنس ابن زنيم فى الاعتذار إلى الرسول مما قال ابن سالم

قال ابن إسحاق :

وقال أنس بن زُنَيْم الدِّيلى يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان قال فيهم عَمرو بن سالم الخزاعى :

أأنت الذى تُهْدَى مَعَدٌّ بأمرهِ بَلِ اللهُ يَهْدِيهمْ وقالَ لكَ اشْهَدِ
ومَاحملتْ من ناقةٍ فوق رَحْلِها أبرَّ وأوفَى ذمــــةً من محمد
أحَثَّ على خيرٍ وأسبغَ نائلا إذا راحَ كالسيفِ الصقيلِ المهنَّد

(١) أبو سفيان : هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبى ، وكان هجا النبى قبل أن يسلم .

(٢) مغلغلة : رسالة ترسل من بلد إلى بلد . ورواية هذا البيت فى الديوان :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوف نخب هواء

والمجوف : الخالى الجوف ، يريد به الجبان . وكذلك النخب والهواء .

(٣) يريد أن سيوف الأنصار جعلت أبا سفيان كالعبد الذليل يوم فتح مكة ، وأن سادة بنى عبد الدار صاروا كالإماء فى المذلة والهوان .

(٤) الحنيف : المسلم ، وسمى حنيفا ، لأنه مال عن الباطل إلى الحق . وشيمته : طبيعته .

وأَكْسَى لبُرْدِ الخَالِ قبل ابتذاله   وأعطى لرأسِ السابقِ المتجرّدِ (١)

تعــلَّمْ رسولَ اللهِ أنكَ مُدْرِكِى   وأنَّ وَعيداً مِنكَ كالأخذِ باليدِ (٢)

تَعَــلَّمْ رسولَ اللهِ أنكَ قادر   على كل صِرْمٍ مُتْهِمين ومُنجد (٣)

تَعَــلَّمْ بأن الركبَ ركْبُ عُوَيْمِرٍ   هُمُ الكاذبونَ المُخْلِفُو كلّ مَوْعِدِ

وَنَبَّوْا رسولَ اللهِ أَنِّى هجوتُه   فلا حملَتْ سوطِى إلىّ إذَنْ يَدِى

سِوى أننى قد قلتُ ويلُ اُمِّ فِتْيةٍ   أُصِيبُوا بنحْسٍ لا بطلْق وأسْعُدِ (٤)

أصابَهُمُ مَنْ لَمْ يكُنْ لدِمائهِمْ   كِفاء فعزتْ عَـبْرَتِى وتَبَـلُّدِى (٥)

فإنكَ قد أخفرتَ إنْ كنتَ ساعياً   بعبد بن عبــد الله وابنة مَهْوِدِ (٦)

ذُؤَيب وكُلْثوم وسَلْمى تتابعوا   جميعاً فإلاَّ تدمَع العــين أكْمَدِ (٧)

وسَلْمى وسَلْمى ليس حَىٌّ كمثله   وإخوتِهِ وهل ملوكٌ كأَعْبُدِ ؟

فإنى لا دِيناً فَتَقْتُ ولا دَمًا   هَرَقْتُ تبينْ عالِمَ الحق واقْصِدِ

شعر بديل في الرد على ابن زنيم

فأجابه بُدَيْل بن عبد مناف بن أم أَصْرَم ، فقال :

بكى أَنَسٌ رَزْنًا فأعولَهُ البُكا   فَألاَّ عَدِيًّا إذْ تُطَلُّ وتُبْعَدُ (٨)

بكيتَ أبا عَبْسٍ لقُرْبِ دمائها   فتُعذِرَ إذْ لا يُوقدُ الحربَ مُوقد

---

(١) الخال : ضرب من برود اليمن ، وهو من رفيع الثياب . والسابق (هنا) : الفرس . والمتجرد : الذى يتجرد من الخيل فيسبقها .

(٢) تعلم : اعلم . والوعيد : التهديد .

(٣) صرم: بيوت مجتمعة . ومتهمين : ساكنين فى التهام ، وهى المنخفض من الأرض . والمنجد : من يسكن النجد ، وهو المرتفع .

(٤) الطلق : الأيام السعيدة ، ويقال : يوم طلق إذا لم يكن فيه حر ولا برد ولا شىء يؤذى ، وكذلك ليلة طلق وطلقة (بسكون اللام فيهما) .

(٥) تبلدى : تحيرى . ويروى : تجلدى ، أى تصبرى .

(٦) أخفرت : نقضت العهد .

(٧) أكمد : من الكمد ، وهو الحزن .

(٨) العويل : رفع الصوت بالبكاء . وتطل : يبطل دمها ولا يؤخذ بثأرها .

أصابهمُ يومَ الخنادِمِ فِتيةٌ كِرامٌ فسَلْ، منهم نفيلٌ ومَعبَدُ[1]
هنالكَ إن تسفَحْ[2] دموعُكَ لا تُلَمْ عليهم وإنْ لم تدمعِ العينُ فا كمَدُوا[3]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له.

شعر بجير فى يوم الفتح

قال ابن إسحاق: وقال بُجير بن زُهَير بن أبي سُلْمى فى يوم الفتح:

نَفَى أهلَ الحَبَلَّقِ كُلَّ فَجٍّ مزينةُ غدْوةً وبنُو خُفاف[4]
ضربناهمْ بمكةَ يومَ فتحِ النَّبيِّ الخيْرِ بالبِيضِ الخِفاف[5]
صَبَحْناهم بسبعٍ من سُلَيْمٍ وألفٍ من بنى عُثمان وافِ[6]
نَطَا أكتافَهُمْ ضرباً وطَعناً[7] ورَشْقاً بالمرَيَّشَةِ اللِّطاف[8]
تَرى بين الصفوف لها حفيفا كما انصاع الفُواق من الرِّصاف[9]
فَرُحْنا والجيادُ تجول فيهمْ بأرماحٍ مُقوَّمَةِ الثقاف
فأُبْنَا غانِمين بما اشتهينا وآبوا نادمينَ على الخلاف
وأعطينا رسولَ اللهِ منَّا مَواثِقنا على حُسْنِ التصافى
وقد سمعوا مقالتنا فهمُّوا غداةَ الروعِ منا بانصراف

---

(١) يوم الخنادم: أراد يوم الخندمة، فجمعها مع ما حولها، وهى جبل بمكة.
(٢) تسفح: تسيل.
(٣) فى ا: فاكمد (بكسر الدال) على أنه أمر للواحد، وبهذه الرواية يكون فى البيت إقواء.
(٤) قال السهيلى: «الحبلق» أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس. والحبلق: الغنم الصغار. ولعله أراد بقوله: «أهل الحبلق» أصحاب الغنم. وبنو خفاف: بطن من سليم.
(٥) الخير: أى ذو الخير، ويجوز أن يريد الخيِّر، بتشديد الياء، فخفف، كما يقال هين وهيِّن (بالتشديد والتخفيف).
(٦) بسبع: أى بسبع مئة. وبنو عثمان: هم مزينة.
(٧) كذا فى م، ر. وفى ا: «أكنافهم» بالنون. والأكناف: الجوانب.
(٨) نطا: أراد نطأ، فخفف الهمزة. والرشق: الرمى السريع. والمريشة: يعنى السهام ذوات الريش.
(٩) الحفيف: الصوت. وانصاع: انشق. والفواق هنا: الفوق، وهو طرف السهم الذى يلى الوتر. والرصاف: جمع رصفة، وهى عصبة تلوى على فوق السهم.

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السُّلمى فى فتح مكة :

شعر ابن مرداس فى فتح مكة

مِنَّا بمكة يومَ فتحِ محمدٍ ... أَلْفٌ تسيل به البِطاحُ مُسَوَّمُ (١)
نصرُوا الرسولَ وشاهدوا أيامَه ... وشِعارُهُمْ يوم اللقاءِ مُقَدَّمُ (٢)
فى مَنْزِلٍ ثبتت به أقدامُهُمْ ... ضَنْكٍ كأن الهامَ فيه الحَنتَمُ (٣)
جَرَّت سنابكَها بنجد قبلَها ... حتى استَقاد لها الحجاز الأدمُ
الله مكَّنــه له وأذلّه ... حَكمُ السيوف لنا وجَدٌّ مِزْحَمُ (٤)
عَودُ الرياسة شامخٌ عِرنينُهُ ... متطلعٌ ثُغَرَ المكارم خِضْرِمُ (٥)

إسلام عباس بن مرداس

سبب إسلام ابن مرداس

قال ابن هشام : وكان إسلام عباس بن مِرْداس ، فيما حدثنى بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه أنه كان لأبيه مِرْداس وَثَنٌ يعبده ، وهو حجر كان يقال له ضَمارِ (٦) ، فلما حضر مِرْداس قال لعباس : أى بنى ، أعْبُدْ ضَمارِ فإنه ينفعك ويضرك ، فبينا عباس يوما عند ضَمار إذ سمع من جوف ضَمارِ مناديا يقول :

قُلْ للقبائل من سُلَيْمٍ كُلِّها ... أودى ضَمارِ وعاشَ أهلُ المَسْجدِ (٧)
إنّ الذى وَرِثَ النبوةَ والهُدَى ... بعد ابن مريمَ من قريشٍ مُهْتَدِى
أودَى ضَمارِ وكان يُعْبَدُ مرةً ... قبل الكتاب إلى النبى محمَّدِ

فَحَرّق عباس ضَمارِ ، ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فأسلم .

(١) البطاح : جمع بطحاء ، وهى الأرض السهلة المتسعة . ومسوم : أى مرسل ، أو هو المعلم بعلامة .
(٢) شعارهم : علامتهم فى الحرب .
(٣) ضنك : ضيق . والهام : الرءوس : والحنتم . الحنظل .
(٤) مزحم : كثير المزاحمة ، يريد أن جدهم غالب .
(٥) العود (لنا) : الرجل المسن . وشامخ : مرتفع . والعرنين : طرف الأنف . والخضرم : الجواد الكثير العطاء .
(٦) ضمار : هو بالبناء على الكسر كحذام ورقاش .
(٧) أودى : هلك . والمسجد (هنا) : مسجد مكة ، أو مسجد النبى صلى الله عليه وسلم .

شعر جعدة في يوم الفتح

قال ابن هشام : وقال جَعدة بن عبد الله الخُزاعيّ يوم فتح مكة :

أكعبَ بن عمرو دعوةً غير باطل ... لِحَيْنٍ له يوم الحديد مُتَاحِ[1]
أُتِيحَتْ له من أرضه وسمائه ... لتقتله لَيْلاً بغير سلاح
ونحن الأُلَى سَدَّتْ غَزالَ خيولُنا ... ولِفْتاً سددناه وفَجَّ طِلاح[2]
خَطَرْنا وراء المسلمين بجَحْفَل ... ذَوِى عَضُد من خيلنا ورِماح[3]

وهذه الأبيات في أبيات له .

شعر بجيد في يوم الفتح

وقال بُجَيْد[4] بن عِمْران الخُزاعيّ :

وقد أنشأ اللهُ السحاب بنصرنا ... رُكامَ سَحابِ الْهَيْدَبِ المتراكِبِ[5]
وهِجْرتنا في أرضنا عندنا بِها ... كتابٌ أتى من خير مُمْلٍ وكاتب
ومِنْ أجْلِنا حَلَّتْ بمكة حُرْمة ... لِندرِكَ ثأرا بالسيوفِ القواضب[6]

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة[7] من كنانة ومسير عليّ لتلافى خطأ خالد

وصاة الرسول له ما كان منه

قال ابن إسحاق :

وقد بَعَث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما حول مكةَ السَّرايا ، تدعو

(١) الحين : الهلاك . ومتاح : مقدر .

(٢) الألى : الذين . وغزال : اسم موضع (يصرف ولا يصرف) . ولفت : موضع أيضا . وفج طلاح : موضع . ويحتمل أن يكون طلاح جمع طلح ، الذى هو الشجر ، وأضيف الفج إليه .

(٣) خطرنا : اهتززنا . ويروى حظرنا « بالحاء المهملة والظاء المعجمة » ومعناه : منعنا . والجحفل : الجيش الكثير .

(٤) كذا في (ا) وفي م ، ر : «نجيد» بالنون في أوله . وبالنون قيده الدارقطنى . (عن أبي ذر) .

(٥) المتراكب : الذى يركب بعضه بعضا . والهيدب : المتدانى من الأرض . وفي م و ر : «الهيدم» بالميم في آخره .

(٦) القواضب : القواطع .

(٧) تعرف هذه السرية بغزوة الغميصاء ، وهو اسم ماء لبنى جذيمة .

إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالدُ ابن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفلِ تهامة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطِئَ بنى جَذِيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عباس بن مِرْداس السُّلَمى فى ذلك :

فإن تَكُ قد أَمَّرت فى القومِ خالِدًا   وقَدَّمته فإنه قد تقدَّما
بجند هداهُ الله أنتَ أميرُه   نُصيب به فى الحق من كان أظلما

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حَكيم بن حَكيم بنِ عباد بن حُنيف ، عن أبى جعفر محمد بن علىّ قال :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سُلَيْم بن منصور ، ومُدْلج بن مُرَّة ، فوطِئوا بنى جَذِيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جَذِيمة قال :

لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم : ويلكم يابنى جذيمة ! إنه خالد والله ! مابعد وضع السلاح إلا الإسار ، ومابعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أتريد أن تَسْفِك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح[1] ، ووُضِعَتِ الحَرْب ، وأَمِن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد ابن على ، قال :

(١) هذه الجملة : « ووضعو السلاح » ساقطة فى ا

فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكُتِفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقَتل من قتَل منهم ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إنى أبْرَأ إليك مما صنع خالد ابن الوليد

غضب الرسول مما فعل خالد وإرساله عليا

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم ، انه حُدِّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودى ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : رأيتُ كَأَنِى لَقِمْت لقمةً من حَيْس[1] فالتذذتُ طَعْمَها ، فاعترض فى حلقى منها شىء حين ابتلعتها ، فأدخل علىٌّ يده فنزعه ؛ فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا رسول الله ، هذه سَرِيَّة من سراياك تبعثها ، فيأتيك منها بعض ما تحب ، ويكون فى بعضها اعتراض ، فتبعث عليا فيسهِّله .

قال ابن هشام : وحدثنى أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أَنْكَرَ عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض رَبْعَة[2] ، فنَهَمَهُ[3] خالد ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب[4] ، فراجعه ، فاشتدت مراجعتهما ؛ فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يارسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالِم ، مولى أبى حُذيفة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : يا على ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر فى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية

---

(١) الحيس : أن يخلط السمن والتمر والأقط فيؤكل . والأقط : شىء يعقد من اللبن ويجفف .

(٢) الربعة من الرجال : الذى بين الطويل والقصير .

(٣) نهمه : زجره .

(٤) مضطرب : ليس مستوى الخلق.

تحت قدميك . فخرج علىّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فودَى لهمُ الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه ليَدِى لهم مِيلَغَةَ الكلب[1] ، حتى إذا لم يبق شىء من دم ولا مال إلا وَدَاه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم علىّ رضوان الله عليه حين فرَغ منهم : هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يُودَ لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أُعطيكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطا لرسُولِ الله صلى الله عليه وسلم مما لا يَعلم ولا تعلمون ، ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال : أصبت وأحسنت . قال : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه ، حتى إنه لَيُرى ما تحت مَنْكِبيه ، يقول : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثلاث مرات .

معذرة خالد فى قتال القوم

قال ابن إسحاق :

وقد قال بعض من يعذر خالدا إنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبدُ الله بن حُذافة السَّهْمِىّ ، وقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنىّ : لما أتاهم خالد قالوا : صَبَأْنا صَبَأْنا[2] .

ما كان بين خالد وبين عبد الرحمن وزجر الرسول لخالد

قال ابن إسحاق :

وقد كان جَحْدَمٌ قال لهم حين وضعوا السلاح[3] ورأى ما يصنع خالد ببنى جَذِيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه . وقد كان بين خالد و بين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغنى ، كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام .

---

(١) الميلغة : شىء يحفر من خشب ، ويجعل ليلغ فيه الكلب ، يكون عند أصحاب الغنم ، وعند أهل البادية .

(٢) صبأنا : يعنون دخلنا فى دين محمد ، وكانوا يسمون النبى صلى الله عليه وسلم الصابئ ، لأنه خرج من دينهم . يقال : صبأ الرجل، إذا خرج من دين إلى دين ، ومنه الصابئون ، لأن دينهم بين اليهودية والنصرانية ، فيما ذكر بعض أهل التفسير .

(٣) كذا فى ا . وفى م و ر : « سلاحه » .

فقال : إنما ثأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلتُ قاتل أبى ، ولكنك ثأرتَ بعمك الفاكِه بن المُغيرة ، حتى كان بينهما شر . فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فقال : مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غَدوَةَ رجل من أصحابى ولا روحته .

ما كان بين قريش وبنى جذيمة من استعداد للحرب ثم صلح

وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد عوف ابن عبد الحارث بن زُهرة ، وعَفَّانُ بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تِجَارا إلى اليمن ، ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جَذِيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته ، فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولَقِيهم بأرض بنى جَذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه[1] ، وقاتلوه ، فقُتِل عوفُ بن عبد عوف ، والفاكه بن المغيرة ، ونجا عفَّان بن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهمّت قريش بغزو بنى جَذِيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن مَلَإٍ منا ، إنما عدا عليهم قوم بجهالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نَعْقِل لكم ما كان لكم قِبَلَنا من دم أو مال ، فقَبِلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

شعر سلمى فيما بين جذيمة وقريش

وقال قائل من بنى جَذِيمة ، وبعضهم يقول امرأة يقال لها سَلْمَى :

ولو لا مقالُ القومِ للقوم أسلِمُوا ... للاقت سُلَيمٌ يوم ذلك ناطِحا
لماصَعَهُمْ بُسْرٌ وأصحابُ جَحْدَمٍ[2] ... ومُرّةُ حتى يتركوا البَرْكَ ضابحا[3]

---

(١) كذا فى م ، ر . وفى ا : « ليأخذه » .
(٢) المماصعة والمصاع : المضاربة بالسيوف . والبرك : الإبل الباركة .
(٣) كذا فى م ، ر . وضابحا ، أى صائحا . وأصل « الضبح » نفس الخيل والإبل إذا أعيت . وفي (ا) صابحا .

فَكَائِنْ تَرَى يومَ الغُمَيصاء من فتًى ... أصيب ولم يُجْرَح وقد كان جارحا[(١)]

أَلَظَّتْ بخُطَّابِ الأيامَى وطَلَّقت ... غداتئذٍ منهن من كان ناكحا[(٢)]

قال ابن هشام: قوله : «بُسْر» ، «وألظت بخُطَّاب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق :

شعر ابن مرداس في الرد على سلمى

فأجابه عباس بن مِرْداس ، ويقال بل الجَحَّاف بن حَكيم السُّلمى :

دعى عنك تَقْوال الضلالِ كَفى بنا ... لكبش الوغى فى اليوم والأمس ناطحا[(٣)]

فخالد أولى بالتعذّر منكمُ ... غداة علا نَهْجا من الأمر واضحا

مُعانًا بأمر اللهِ يُزْجِى إليكمُ ... سَوانحَ لا تكبُو له وبوارِحا[(٤)]

نَعَوْا مالكا بالسهل لَمَّا هبطْنه ... عوابسَ فى كابى الغُبار كوالِحا[(٥)]

فإن نَكُ أثكلناكِ سَلْمى فمالكٌ ... تركتُم عليه نائحاتٍ ونائحا[(٦)]

شعر الجحاف في الرد على سلمى

وقال الجَحَّاف بنُ حَكِيم السُّلمى .

شَهِدْنَ مَعَ النَّبِىِّ مُسَوَّماتٍ ... حُنَيْنًا وهْىَ دامِيةُ الْكِلامِ[(٧)]

وغزوةَ خالد شهدت وجَرَّت ... سنابكَهُنَّ[(٨)] بالبلَدِ الحَرَامِ[(٩)]

نعرِّض للطِّعان إذا الْتَقَيْنا ... وجُوها لا تُعَرَّضُ لِلطَّامِ

---

(١) الغميصاء : موضع .

(٢) ألظت : لزمت وألحت . والأيامى : جمع أيم ، وهى التى لا زوج لها .

(٣) الكبش : الرجل السيد .

(٤) قال أبو عمرو الشيبانى : «ماجاء عن يمينك إلى يسارك ، وولاك جانبه الأيسر ، وهو إنسيه ، فهو سانح . وما جاء عن يسارك إلى يمينك وولاك جانبه الأيمن ، وهو وحشيه ، فهو بارح . قال : والسانح أحسن حالا عندهم فى التيمن من البارح» . لاتكبو أى لا تسقط .

(٥) كابى الغبار : مرتفعه . والكوالح : العوابس ، التى انقبضت شفاهها ، فظهرت أسنانها .

(٦) أثكلناك : أفقدناك .

(٧) مسومات : يعنى الخيل مسومات ، أى مرسلات أو معلمات . والكلام : الجراح ، جمع كلم .

(٨) سنابكهن : مقدم أطراف حوافرهن .

(٩) كذا فى م ، ر . وفى ا : «التهام» ، يعنى مكة .

ولستُ بخالعٍ عنّى ثيابى إذَا هَزَّ الكُماة ولا أُرامِى
ولكنى يَجُولُ المُهْرُ تحتى إلى الفَلواتِ بالعضب الحسام[1]

حديث ابن أبى حدرد الفتى الجذمى يوم الفتح

قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوبُ بن عُتبةَ بن المُغيرة بن الأخنس، عن الزُّهرى، عن ابن أبى حَدْرَدٍ الأسلمىّ قال:

كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد، فقال لى فتى من بنى جَذِيمة، وهو فى سنّى، وقد جُمعتْ يداه إلى عُنُقه بِرُمّة[2]، ونسوة مجتمعات غيرَ بعيد منه: يافتى؟ فقلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرُّمّة، فقائدى إلى هؤلاء النسوة، حتى أقضِى إليهن حاجة، ثم ترد بى بعد، فتصنعوا بى مابدا لكم؟ قال. قلت: والله ليَسيرٌ ما طلبت. فأخذت برُمَّته فقُدته بها، حتى وقف عليهن، فقال: اسْلَمى حُبَيْش[3]، على نَفَدٍ مِنَ العيش[4]:

أَرَيْتُكِ إذْ طالبتُكمْ فوجدتُكمْ بحَلْيَةَ أو ألفيتُكمْ بالخَوانِقِ[5]
أَلَمْ يكُ أهْلاً أن يُنوَّلَ عاشقٌ تَكلَّفَ إدْلاجَ السُّرَى والوَدَائقِ[6]
فلاذنبَ لى قد قلت إذ أهلُنا معا أثيبى بوُد قبل إحدى الصَّفائقِ[7]
أثيبى بوُد قبل أن تَشْحَطَ النَّوَى وينأى الأميرُ بالحبيبِ المفارقِ[8]
فإنِّىَ لاضيعتُ سِرَّ أمانةٍ ولاراق عينى عنكِ بعدَك رائقُ[9]
سوى أن مانال العشيرة شاغلٌ عن الوُدِّ إلا أن يكونَ التوامُقُ[10]

(١) هذا البيت والذى قبله ساقطان فى م، ر.
(٢) الرمة: الحبل البالى.
(٣) حبيش: مرخم من حبيشة.
(٤) كذافى ا وفى م، ر: «على نفدالعيش». يريدعلى تمامه، من قولك نفد الشىء إذاتم وفنى.
(٥) حلية والخوانق: موضعان.
(٦) الإدلاج: السير بالليل. والودائق: جمع وديقة، وهى شدة الحر فى الظهيرة.
(٧) الصفائق: صوارف الخطوب وحوادثها؛ الواحدة: صفيقة.
(٨) تشحط: تبعد. والنوى: البعد.
(٩) ولا راق: ما أعجب.
(١٠) التوامق: الحب، وفى هذا البيت والذى قبله إقواء.

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الآخِرَيْنِ منها له .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخنس ، عن الزّهرىّ ، عن ابن أبى حَدْرَدٍ الأسْلمى

[قال][١] قالت : وأنت فحُيِّيت سبعاً وعشراً ، وِتْرًا وثمانياً تَتْرَى[٢] .

قال : ثم انصرفتُ به . فضُربت عُنُقه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبو فراس بن أبى سُنبلة الأسلمى ، عن أشياخ منهم ، عمن كان حضرها منهم ، قالوا :

فقامت إليه حين ضُربت عنقه ، فأكبت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده[٣] .

شعر رجل من بنى جذيمة فى يوم الفتح

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بنى جَذِيمة :

جزى الله عنا مُدْلجا حيث أصبحت ... جزاءة بُؤْسَى حيث سارتْ وحلّت
أقاموا على أقضاضنا يَقسِمونها ... وقد نَهِلتْ فينا الرماح وعَلّت[٤]
فوالله لولا دين آل محمـــد ... لقد هربت منهم خيول فشلّت[٥]
وما ضرهم أن لا يُعينوا كتيبة ... كرِجْل جَرادٍ أرسلت فاشْمَعلّتِ[٦]
فإما يَنيبوا أو يثوبوا لأمرهم ... فلا نحن نجزيهم بما قد أضلّتِ[٧]

شعر وهب فى الرد عليه

فأجابه وهب ، رجل من بنى ليث ، فقال :

دَعَوْنا إلى الإسلام والحقّ عامراً ... فما ذنبنا فى عامرٍ إذ تَوَلّتِ
وما ذَنبنا فى عامر لا أبالَهُمْ ... لِأَنْ سَفِهَت أحلامُهُم ثم ضَلّتِ

وقال رجل من بنى جَذِيمة :

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .
(٢) تترى : متتابعة ، وأصله وترى ، أبدلت التاء من الواو .
(٣) كذا فى م ، ر . وفى ا : « ماتت عليه » .
(٤) الأقضاض : جمع قض ، وأراد به هنا الأموال المجتمعة . يقال : جاء القوم قضهم بقضيضهم : إذا جاءوا بأجمعهم . ونهلت ، من النهل ، وهو الشرب الأول . وعلت ، من العلل ، وهو الشرب الثانى .
(٥) شلت : أى طردت .
(٦) رجل جراد : جماعة منه . واشمعلت : تفرقت .
(٧) يثوبوا : يرجعوا .

ليهنى بنى كعب مُقَدَّم خالد وأصحابِه إذ صَبَّحتنا الـكتائبُ[1]
فلاتِرةٌ يسعى بها ابن خُوَيْلد وقد كنتَ مكفيا لَوَ أنك غائبُ[2]
فلا قومُنا يَنْهَوْن عنا غُواتَهُمْ ولاالداء من يوم الغُميصاء ذاهبُ[3]

شـعر غلام جذمى هارب أمام خالد

وقال غلام من بنى جَذِيمة، وهو يسوق بأمه وأختين له وهوهارب بهن من جيش خالد :

رَخِّينَ أذيالَ المُروط وأرْبَعْنْ مَشْىَ حَيِيَّاتٍ كأَنْ لم يُفزَعْنْ[4]
إن تُمْنَـعِ اليومَ نِساء تُمْنَعْنْ

ارتجاز غلمة من بنى خزيمة حين سمعوا بخالد

وقال غِلْمة من بنى جَذِيمة، يقال لهم بنو مُساحِق، يرتجزون حين سمعوا بخالد، فقال أحدهم :

قد عَلِمَتْ صفراء بيضاء الإِطِلْ يَحُوزُهَا ذُو ثَلَّةٍ وذُو إبِلْ[5]
لَأُغْنِيَنَّ اليومَ ما أغنَى رَجُلْ

وقال الآخر :

قد علمتْ صفراء تُلهِى العِرْسا لا تملأُ الحيزومَ منها نَهْسَا[6]
لأضرِبَنَّ اليومَ ضَرْبا وَعْساَ ضَرْبَ المُحِلِّين مَخاضا قُعْسَا[7]

---

(١) مقدم، بتشديد الدال، أى قدوم.

(٢) الترة : المداوة وطلب الثأر.

(٣) غواتهم : سفهاؤهم.

(٤) المروط. جمع مرط، وهو كساء من خز أو غيره. واربعن، قال : ربعت عليه إذا أقمت عليه.

(٥) الإطل : الخاصرة. والثلة، بفتح الثاء : القطيع من الغنم.

(٦) الحيزوم : أسفل عظام الصدر، وهو مايقع عليه الحزام. والنهس : أكل اللحم بمقدم الأسنان. يريد أنها قليلة الأكل.

(٧) وعسا : سريعاً. والمحلون : الذين خرجوا من الحرم إلى الحل. والمخاض : الإبل الحوامل. والقعس : التى تتأخر وتأبى أن تمشى.

وقال الآخر :

أَقْسَمْتُ ما إن خادِرٌ ذُو لِبدَةْ شَثْنُ البَنانِ فى غَدَاةِ بَرْدَهْ[1]
جَهْمُ المُحَيَّا[2] ذو سِبال[3] وَرْدَهْ يُرْزِمُ بين أيكةٍ وجَحْدَهْ[4]
ضارٍ بتأكالِ الرجالِ وحْدَهْ بأصـــدقَ الغداةَ منى نَجْدَهْ[5]

مسير خالد بن الوليد لهدم العزى

خالد وهدمه للعزى

ثم بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزّى، وكانت بنَخْلة[6] ، وكانت بيتاً يعظّمه هذا الحىّ من قريش وكنانة ومُضَر كلها، وكانت سَدَنَتها وحُجّابها بنى شيبان من بنى سُلَيْم حلفاءِ بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السُّلَمِىّ بمسير خالد إليها عَلّق عليها سيفه ، وأسْنَد فى الجبل[7] الذى هى فيه وهو يقول :

أَيَا عُزَّ شُدِّى شدَّة لاشَوَى لهــا[8] على خالدٍ أَلْقِى القناعَ وشَمِّرِى
يا عُزَّ إنْ لم تقتــلى المرءَ خالدا فبُوئى بإثمٍ عاجــلٍ أو تَنَصَّرِى[9]

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

---

(١) الخادر : الأسد الداخل فى الخدر ، والخدر : الأجمة ، وهى موضع الأسد . واللبدة : الشعر الذى فوق كتفيه . وشثن : غليظ . والبنان : الأصابع . وبرده : أى باردة .

(٢) جهم : عابس . والمحيا : الوجه .

(٣) كذا فى م ، ر . والسبال : الشعر الذى حول فه . وفى (ا) الشبال ، وهو جمع شبل .

(٤) يرزم : يصوت . والأيكة : الشجرة الكثيرة الأغصان . والجحدة : القليلة الورق والأغصان .

(٥) ضار : متعود . والتأكال : الأكل . والنجدة : الشجاعة .

(٦) نخلة : اسم موضع .

(٧) أسند فى الجبل : ارتفع فيه .

(٨) كذا فى ا . ومعنى لاشوى لهـا : أنها لاتبق على شىء . وفى ا « لاثوى لها » .

(٩) بوئى : ارجعى ، وفى البيت خرم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزّهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة بن مسعود ، قال :

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصُر الصلاة .

قال ابن إسحاق :

وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

غزوة حنين فى سنة ثمان بعد الفتح

اجتماع هوازن

قال ابن إسحاق :

ولما سمعتْ هوازنُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة[١] ، جمعها مالك بن عوف النَّصْرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلّها ، واجتمعت نَصْر وجُشَم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هِلال ، وهم قليل ، ولم يشهدْها من قيس عَيْلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جُشَمَ دُرَيْد بن الصّمة شيخ كبير ، ليس فيه شىء إلا التيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مُجَرَّبا ، وفى ثقيف سيدان لهم ، [و[٢]] فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن مُعَتِّب ، وفى بنى مالك ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث ابن مالك، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجِماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْرى . فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطَاس[٣] اجتمع إليه الناس ، وفيهم دريد بن الصّمة فى شجار[٤] له

---

(١) كذا فى م ، ر . وفى ا « من فتح مكة » .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) أوطاس : واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين ، وفيها قال النبى صلى الله عليه وسلم : الآن حمى الوطيس ، وذلك حين استعرت الحرب ، وهى من الكلم التى لم يسبق النبى إليها . (راجع معجم ياقوت والسهيلى) .

(٤) الشجار : شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى . (عن أبى ذر) .

يُقادبه ، فلما نزل قال : بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأَوْطَاس ، قال : نِعمَ مَجَالُ الخيل ! لا حَزْنٌ ضِرْسٌ [1] ، ولا سَهْلٌ دَهْس [2] ، مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء [3] ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالَهُمْ ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل هذا مالك ، ودُعى له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائنٌ له ما بعدَه من الأيام . مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحميرِ ، وبُكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قال : سُقْت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولِمَ ذاك ؟ قال أردت أن أجعل خلفَ كلِّ رجل منهم أهلَه ومالَه ، ليقاتل عنهم ، قال : فَأَنْقَضَ به [4] ، ثم قال : راعِيَ ضأنٍ [5] والله ! وهل يَرُدُّ المنهزمَ شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحْت فى أهلك ومالك ، ثم قال: ما فعلتْ كعبٌ وكِلاب ؟ قالوا : لم يشهدْها منهم أحد ، قال : غاب الحَدُّ [6] والجِد ، ولو كان يومَ عَلاء ورِفعة لم تغب عنه كعب ولا كِلاب ، وَلَوَدِدْتُ أنكمْ فعلتم ما فعلتْ كعبٌ وكِلاب ، فمن شهِدَها منكم ؟ قالوا : عمرُو ابن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذانك الجَذَعان [7] من عامر ، لا ينفعان ولا يضران ؛ يامالك ، إنك لم تصنع بتقديم البَيْضَةِ بيضة هوازن [8] إلى نحور الخيل شيئاً ، ارْفَعْهُم إلى مُتَمنَّع بلادهم .وعُلْيا قومهم ، ثم الْقَ الصُّبَّاء [9] على

(١) الحزن : المرتفع من الأرض . والضرس : الذى فيه حجارة محددة .
(٢) الدهس : اللين الكثير التراب .
(٣) يعار الشاء : صوتها .
(٤) أنقض به ، أى زجره . من الإنقاض ، وهو أن تلصق لسانك بالحنك الأعلى ، ثم تصوت فى حافتيه من غير أن ترفع طرفه عن موضعه . أو هو التصويت بالوسطى والإبهام كأنك تدفع بهما شيئاً ، وذلك حين تنكر على غيرك قولا أو عملا .
(٥) قوله «راعى ضأن» : يجهله بذلك ، كما قال الشاعر :

أصبحت هزءا لراعى الضأن أعجبه ماذا يريبك منى راعى الضان ؟

(٦) غاب الحد : يريد الشجاعة والحدة .
(٧) الجذعان : يريد أنهما ضعيفان فى الحرب ، بمنزلة الجذع فى سنه .
(٨) بيضة هوازن : جماعتهم .
(٩) الصباء : جمع صابئ ، وهم المسلمون عندهم ، كانوا يسمونهم بهذا لأنهم صبئوا من دينهم ، أى خرجوا من دين الجاهلية إلى الإسلام .

مُتُون الخيلِ ، فإن كانت لك لَحِقَ بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزْت أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كَبِرْت وكَبِرَ عَقْلك . والله لتطيعُنَّنى يامعشر هَوازِن أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السيف حتى يَخْرج من ظهرى . وكَرِه أن يكون لدُريدِ بن الصِّمة فيها ذِكر أو رأى ؛ فقالوا : أطعناك ؛ فقال دُريد بن الصِّمة : هذا يوم لم أشهدْه ولم يفُتْنى :

يا ليتنى فيها جَـذَعْ . أَخُبّ فيها وأَضَـعْ[1]
أَقودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ . كأنَّها شاة صَـدَعْ[2]

قال ابن هشام : أنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله :

« ياليتنى فيها جذعْ »

الملائكة وعيون مالك ابن عوف

قال ابن إسحاق :

ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكْسِروا جُفُون سيوفكم ، ثم شُدّوا شَدَّة رجل واحد .

قال : وحدثنى أميةُ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حُدِّث :

أنَّ مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله ، فأتوْه وقد تفرقت أوصالُهم ، فقال : ويلَكُمْ ! ماشأنُكُمْ ؟ فقالوا : رأينا رجالا بِيضاً على خيل بُلْق ، فوالله ما تماسكنا أنْ أصابَنا ماترى ، فوالله ماردَّه ذلك عن وجهه أنْ مَضَى على مايريد .

بعث ابن أبى حدرد عينا على هوازن

قال ابن إسحاق :

ولما سمع بهم نبى الله صلّى الله عليه وسلّم بعث إليهم عبدَ الله ابنَ أبى حَدْرد الأسلمى ، وأمره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم عِلْمَهم ، ثم يأتيَه بخبرهم . فانطلق ابنُ أبى حَدْرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ماهم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) الجذع : الشاب . والخب والوضع : ضربان من السير .

(٢) الوطفاء : الطويلة الشعر . والزمع : الشعر الذى فوق مربط قيد الدابة . يريد فرسا صفتها هكذا ، وهو محمود فى وصف الخيل . والشاة هنا : الوعل . وصدع : أى وعل بين الوعلين ، ليس بالعظيم ولا بالحقير

فأخبره الخبر ، (فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر ، فقال عمر : كذب ابن أبي حدرد . فقال ابن أبي حدرد : إن كذّبتني فربما كذّبْتَ بالحق ياعمر ، فقد كذّبْتَ من هو خير مني . فقال عمر : يارسول الله ، ألاتسمع مايقول ابن أبي حدرد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنتَ ضالا فهداك الله ياعمر)[1]

سأل الرسول صفوان أدراعه وسلاحه فقبل

فلما أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذُكِر له أن عند صفوانَ بن أمية[2] أدراعًا له وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مُشْرِك ، فقال : يا أبا أمية ، أعِرْنا سلاحك هذا نَلق فيه عدوّنا غداً ، فقال صفوان : أغصْبا يامحمد ؟ قال . بل عاريةٌ ومضمونة حتى نؤديها إليك ؛ قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مئة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله[3] أن يكفيَهم حملها ، ففعل .

خروج الرسول بجيشه إلى هوازن

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفاً ، واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَتّابَ بن أَسِيد بن أبي العِيص ابن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هَوازن .

قصيدة عباس ابن مرداس

فقال عباس ابن مرداس السُّلَمِيّ :

أصابتِ العامَ رِعْلاً غُولُ قومِهِمُ وَسْطَ البيوت ولَوْنُ الغُول ألوانُ[4]
يا لَهْفَ أمِّ كلابٍ إذ تُبَيِّتُهم خيلُ ابن هَوْذَة لاتُنْهَى وإنْسَانُ[5]
لا تَلْفِظُوها وشُدُّوا عقْدَ ذِمتكم أن ابنَ عمِّكُمُ سعدٌ ودُهْمانُ[6]

---

(١) مابين القوسين أغفلته نسخة ا . وهو مذكور فى شرح الزرقانى على المواهب من رواية الواقدى .
(٢) وهو يومئذ فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيار فيها . (راجع شرح المواهب) .
(٣) كذا فى ا . وفى م ، ر : «طلب منه أن يكفيهم . . . الخ» .
(٤) رعل : قبيلة من سليم . والغول : الداهية .
(٥) إنسان : قبيلة من قيس ، ثم من بنى نصر . قاله البرقى . وقيل هم من بنى جشم بن بكر (انظر السهيلى) . وقال أبو ذر : إنسان هنا اسم قبيل فى هوازن
(٦) سعد ودهمان : ابنا نصر بن معاوية بن بكر ، من هوازن .

لن تَرْجموها[1] وإن كانت مُجَلَّلة[2] مادام فى النَّعَم المأخوذ ألْبانُ
شَنْماء جُلِّل مِنْ سَوآتها حَضَنٌ وسَال ذو شَوْغَرٍ منها وسُلْوانُ[3]
ليست بأطيبَ مما يَشْتَوِى حَذَفٌ إذْ قال : كلُّ شواء العَيرِ جُوْفَانُ[4]
وفى هوازنَ قومٌ غيرَ أن بِهِمْ داء اليمانِى فإن لم يغدِرُوا خَانوا
فيهم أخٌ لو وَفَوْا أو بَرَّ عهدُهُمُ ولو نَهَكْنَاهُمُ بالطعنِ قد لانُوا[5]

⁂

أبلغْ هوازنَ أعْلاها وأسفَلها مِنّى رسالةَ نُصْحٍ فيه تِبيانُ
أنى أظنُّ رسولَ الله صَابِحَكمْ جَيْشاً لَهُ فى فضاء الأرض أركانُ
فيهم أخوكم سُلَيْم غيرَ تارِكِكُمْ والمسلِمُون عبادُ الله غَسّانُ
وفى عِضَادته اليُمنى بنو أَسَدٍ والأجربانِ بنو عَبْس وذُبْيان[6]
تكاد تَرْجُف منه الأرض رَهْبتَه وفى مُقَدَّمه أوسٌ وعُثمانُ

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان قَبيلا مُزَيْنَة .

قال ابن هشام : من قوله : «أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها» إلى آخرها ، فى هذا اليوم ، وما قبل ذلك فى غير هذا اليوم ، وهما مفصولتان ، ولكن ابن إسحق جعلهما واحدة .

أمر ذات أنواط

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزّهرى عن سنان بن أبى سنان الدُّؤلى ، عن أبى واقد الليثى أنَّ الحارث بن مالك قال :

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال فسرنا معه إلى حُنَيْن ، قال : وكانت لكفار قريش ومَنْ سواهم من العرب شجرة عظيمة

---

(١) كذا فى م . ر وفى ا « لا ترجموها »
(٢) مجللة : مغطية .
(٣) حضن : جبل بنجد . وذو شوغر ، وسلوان : واديان .
(٤) حذف هنا : اسم رجل ، وهو بالحاء المهملة والذال المعجمة . ويروى أيضا جدف بالجيم والدال المهملة ، وهى رواية الخشنى . والعير : حمار الوحش . والجوفان : غرموله . يريد أن كل ما يشوى من العير فهو كالغرمول لا يستطاع .
(٥) نهكناهم : أى أذللناهم وبالغنا فى ضرهم
(٦) سمى الأجربين تشبيها لهما بالأجرب الذى يفر الناس منه

خضراء ، يقال لها ذاتُ أنْواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكُفون عليها يوما . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جَنَبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ! قلتم ، والذى نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ». إنها السُّنَن ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ .

لقاء هوازن وثبات الرسول

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله قال :

لما استقبلْنا وادى حُنين انحدرنا فى واد من أوْدية تِهامة أجوف[1] حَطُوط[2] ، إنما ننحدر فيه انحدارا ، قال : وفى عَمَاية الصُّبح[3] ، وكان القومُ قد سبقونا إلى الوادى ، فكَمَنُوا لنا فى شِعابه وأحنائه[4] ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائبُ قد شَدُّوا علينا شَدّة رجل واحد ، وانْشَمر الناس[5] راجعين ، لا يَلْوِى أحدٌ على أحد

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟ هَلُمُّوا إلىّ ، أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلا شىء[6] ، حَمَلَت الإبل بعضُها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفَر من المهاجرين والأنصار وأهلِ بيته .

أسماء من ثبت مع الرسول

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته علىُّ بن أبى طالب ، والعباسُ بن عبد المطلب ، وأبو سفيانَ بن الحارث ، وابنُه ، والفضلُ بن العباس ، وربيعةُ

---

(١) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز . وأجوف : متسع . وحطوط : منحدر .
(٢) كذا فى ا . وفى م ، ر : «أجوف ذى حطوط» .
(٣) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .
(٤) الشعاب هنا : الطرق الخفية . وأحناؤه : جوانبه ورواية الزرقانى : «وأجنابه» .
(٥) انشمر الناس : انفضوا وانهزموا .
(٦) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب : «فلأى شىء» . يريد : فلشىء عظيم .

ابن الحارث ، وأسامةُ بن زيد ، وأيمَنُ بن أم أيمن بن عُبيد ، قُتل يومئذ

قال ابن هشام : اسم ابن أبى سفيان بن الحارث جعفر ، واسم أبى سفيان المغيرة . و بعض الناس يَعُدّ فيهم قُثَم بن العباس ، ولا يعد ابنَ أبى سفيان .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله . قال :

ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء فى رأس رمح له طويل ، أمام هوازنَ ، وهوازن خلفه ، إذا أدْرَكَ طَعَن برمحه ، و إذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتَّبعوه .

شماتة أبى سفيان وغيره بالمسلمين

قال ابن إسحاق :

فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضِّغْن[1] فقال أبو سفيان بن حرب : لاتنتهى هزيمتهم دون البحر ، و إن الأزلام لمعَهُ فى كنانته[2] . وصرخ جَبَلة بن الحنبل ــ قال ابن هشام : كَلَدَة بن الحنبل ــ وهو مع أخيه صفوانَ بن أمية مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألاَ بطل السِّحْرُ اليومَ . فقال له صفوان : اسكتْ فَضَّ الله فاكَ[3] ، فوالله لَأن يَرُبَّنِى[4] رجلٌ من قُرَيْش أحبُّ إلىَّ من أن يرُبّنى رجل من هَوازن

شعر حسان فى هجاء كلدة

[5]قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت يهجو كَلَدَة :

رأيتُ سوادا من بَعيد فراعنى ... أبو حَنْبَلٍ ينزو على أمّ حنبل

كأن الذى ينزو به فوق بَطْنها ... ذراعُ قَلوصٍ من نِتاج ابن عِزْهِلِ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين . وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أمية . وكان أخا كَلَدة لأمه .

---

(١) الضغن : العداوة .

(٢) الضمير راجع إلى أبى سفيان . والأزلام : السهام التى يستقسمون بها

(٣) فض الله فاه : أى أسقط أسنانه .

(٤) يربى : يكون ربا لى ، أو مالكا علىّ .

(٥) من هنا إلى قوله : « وكان أخا كلدة لأمه » ساقط فى ا .

قال ابن إسحاق :

عجز شيبة عن قتل الرسول وقدمه به

وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة ، أخو بنى عبد الدار : قلت : اليومَ أدركُ ثأرى [من محمد](١) ، وكان أبوه قُتِل يوم أُحُد ، اليوم أَقْتلُ محمدا قال : فأَدَرْتُ برسول الله لأقتله ، فأقبل شىء حتى تَغَشَّى فؤادِى ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع منى .

قال ابن إسحاق :

وحدثنى بعض أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فَصَل من مكة إلى حُنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن نُغْلَبَ اليوم من قِلَّة .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بنى بكر قالها

رجوع الناس بنداء العباس والانتصار بعد الهزيمة

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزُّهْرى ، عن كَثِيرِ بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال :

إنى لَمَع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخِذٌ بحَكَمَةِ بغلتِه البيضاء قد شَجَرْتُها بها(٢) ، قال : وكنتُ امرأ جسيما شديد الصوت ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يَلْوُون على شىء ، فقال يا عباس ، اصْرخ ، يامعشر الأنصار : يامعشر أصحاب السَّمُرَة ، قال : فأجابوا : لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ . قال : فيذهب الرجل لِيثْنِىَ بعيرَه ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعه ، فيقذفها فى عنقه ، ويأخذ سيفه وتُرسَه ، ويقتحم عن بعيره ، ويخلّى سبيله ، فيؤمّ الصوت حتى ينتهىَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا اجتمع إليه منهم مِئة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدعوى أولَ ما كانت : يالَلْأَنصار . ثم خلَصَت أخيرا : يالَلْخزرج . وكانوا صُبُراً عند الحرب ، فأشرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه ، فنظر إلى مُجتَلَد القوم(٣) وهم يجْتلدون ، فقال : الآنَ حَمِىَ الوَطِيس(٤) .

بلاء على وأنصارى فى هذه الحرب

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال :

---

(١) زيادة عن ا .
(٢) شجرتها بها : أى وضعتها فى شجرها ، وهو مجتمع اللحيين .
(٣) مجتلد القوم : مكان جلادهم بالسيوف ، وهو حيث تكون المعركة .
(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٨٠ من هذا الجزء .

بينا ذلك الرجل من هَوازن صاحبُ الراية على جمله يصنع ما يصنع ، إذ هوى له[١] علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه على بن أبى طالب من خلفه ، فضرب عُرْقُوبَىِ الجمل ، فوقع على عجزه[٢] ، ووثب الأنصارى على الرجل ، فضربه ضربة أطَنَّ قَدَمَهُ[٣] بنصف ساقه ، فانجعف[٤] عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله مارجَعَتْ راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتَّفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : والتفت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أبى سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان ممن صَبَرَ يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثَفَر بغلته[٥] ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك[٦] يارسول الله .

شأن أم سليم

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أم سُلَيْم[٧] ابنة مِلْحان ، وكانت مع زوجها أبى طلحة[٨] وهى حازمة وسطها ببُرد لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جملُ أبى طلحة ، وقد خشيت أن يَعزَّها[٩] الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها فى خِزامته[١٠] مع الخِطام ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم سُليم ؟ قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، اقتلْ هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ،

---

(١) يقال : هوى له وأهوى إليه : إذا مال إليه
(٢) عجزه : مؤخره .
(٣) أطن قدمه : أطارها ، وسمع لضربه طنين ، أى دوىّ .
(٤) انجعف عن رحله : سقط عنه صريعا .
(٥) الثفر بالتحريك : السير فى مؤخر السرج .
(٦) قوله : أنا ابن أمك : إنما هو ابن عمك ، لكنه أراد أن يتقرب إليه ، لأن الأم التى هى الجدة قد تجمعهما فى النسب .
(٧) فى اسمها خلاف ، قيل هى (مليكة بنت ملحان) وقيل (رميلة) ، ويقال (سهلة) وتعرف بالغميصاء والرميصاء ، لرمص كان فى عينيها .
(٨) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام .
(٩) يعزها : يغلبها .
(١٠) الخزامة : حلقة من شعر تجعل فى أنف البعير .

فإنهم لذلك أهل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : أو يكفى الله يا أمّ سليم(١) ؟ قال : ومعها خَنْجَر(٢) ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت خنجر أخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بَعَجْته(٣) به . قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمعُ يارسول الله ما تقول أم سُليم الرُّمَيْصَاء .

قال ابن إسحاق :

شعر مالك ابن عوف فى هزيمة الناس

وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، حين وَجَّه إلى حُنين ، قد ضم بنى سُلَيم الضحاكَ بن سفيان الكِلابى ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه :

أَقْدِمْ مُحاجُ إنَّهُ يومٌ نُكُرْ ... مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يَحْمِي ويَكُرّْ(٤)
إِذَا أُضِيعَ الصَّفُّ يَوْمًا والدُّبُرْ ... ثم احْزَأَلَّتْ زُمَرٌ بعد زُمَرْ(٥)
كتائبٌ يكِلُّ فيهنّ البَصَرْ ... قد أَطْعُن الطعنة تَقْذِى بالسُّبُرْ(٦)
حين يُذَمُّ المستكينُ المنجَحِرْ ... وأطعنُ النجلاء تَعْوِى وَتَهِرْ(٧)

---

(١) وفى رواية : إن الله قد كفى وأحسن . ويؤخذ من رد النبى على أم سليم أن فرار المسلمين يوم حنين لم يكن من الكبائر ، ولم يجمع العلماء على أن الفرار معدود فى الكبائر إلا فى يوم بدر ، قال تعالى : (ومن يولهم يومئذ دبره) فيومئذ إشارة إلى يوم بدر ، أما الفارون يوم أحد فقد نزل فيهم : (ولقدعفا الله عنهم) . وأما الفارون فى يوم حنين فقد نزل فيهم أيضا : (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إلى قوله : (غفور رحيم) .

(٢) الخنجر ــ بفتح الخاء وكسرها ــ السكين .

(٣) بعجته : يقال : بعج بطنه ، إذا شقه .

(٤) محاج : اسم فرس مالك بن عوف .

(٥) احزألت : ارتفعت . وزمر : جماعات .

(٦) يكل فيهن البصر : يعيا عن إدراك نهايتها لكثرة عددها . والسبر : جمع سبار ، وهو القتيل يسبر به الجرح . وتقذى يقال : قذت العين تقذى (من باب رمى) قذيا وقذيانا : قذفت بالغمص والرمص . ومعنى تقذى بالسبر : تقذف بها لكثرة ماينـدفق منها من دم ونحوه .

(٧) المستكين : الذليل الخانع . والمنجحر : المتستر فى جحره ، والمراد من اعتصم بمكان . والنجلاء : الطعنة المتسعة . وتعوى وتهر : أى التى يسمع لخروج الدم منها صوت كالعواء والهرير .

لهـا من الجوف رَشاش مُنْهَمِرْ تَفْهَقُ تاراتٍ وحينا تنفجِرْ(١)
وثعلبُ العاملِ فيها منكَسِرْ يا زَيدُ يا بن هَمْهَمٍ أينَ تفِرْ(٢)
قد نَفِدَ الضِّرْسُ وقد طال العُمُرْ قد علِم البيضُ الطويلاتُ الخُمُرْ(٣)
أَنِّيَ في أمثالها غيرُ غَمِرْ(٤) إذْ تُخْرَجُ الحاصنُ من تحت السُّتُرْ(٥)

وقال مالك بن عوف أيضاً :

أَقْدِمْ مُحاجُ إنها الأَساوِرَهْ ولا تَغُرَّنَّكَ رِجْل نادِرِهْ(٦)

قال ابن هشام : وهذان البيتان لغير مالك بن عوف في غير هذا اليوم(٧) .

شأن أبي قتادة وسلبه

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حُدِّث عن أبي قتادة الأنصاري . قال : وحَدَّثني من لا أتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بني غِفار أبي محمد ، عن أبي قتادة ، قالا(٨) : قال أبو قتادة :

رأيت يوم حُنَيْن رجلين يقتتلان : مسلما ومشركا ، قال : وإذا رجـل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشركَ على المسلم . قال : فأتيته ، فضربت يده ، فقطعتُها ، واعتنقني بيـده الأخرى ، فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم ــ ويروى : ريح الموت ، فيما قال ابن هشام(٩) ــ وكاد يقتلني ، فلولا أن الدم نزفه(١٠) لقتلني ، فسـقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضني

---

(١) الرشاش : مايخرج من الدم متفرقا . ومنهمر : منصب . وتفهق : تنفتح . وتنفجر : يسيل منها الدم .

(٢) الثعلب : مادخل من عصا الرمح في السنان . والعامل أعلى الرمح .

(٣) نفد الضرس : يريد أنه كبرت سنه حتى ذهبت أسنانه ، فهو محتنك مجرب . والخمر : جمع خمار ، وهو ثوب تغطى به المرأة رأسها .

(٤) الغمر : بفتح فكسر : أو بفتحتين (وفيه لغات أخرى) الذى لم يجرب الأمور .

(٥) كذا في ا . والحاصن : العفيفة الممتنعة . وفي م ، ر : «الحاضن» (بالضاد المعجمة) وهي التي تحضن ولدها .

(٦) الأساورة : جمع إسوار (بضم الهمزة وكسرها) وهو قائد الفرس ، وقيل هو الجيد الرمى بالسهام ، وقيل هو الجيد الثبات على ظهر الفرس . ونادرة : أي قد انقطعت وبعدت .

(٧) في غير هذا اليوم : يعني أنهما قيلا في يوم القادسية لافي حنين .

(٨) كذا في ا .

(٩) كذا في م ، ر وفي ا : «حتى وجدت ريح الموت، ويروى ريح الدم، فيما قال ابن هشام» .

(١٠) نزفه الدم : سال منه حتى أضعفه ، فأشرف على الموت .

عنه القتال[1]، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها[2] وفرغنا من القوم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلا فله سَلَبُه . فقلت يا رسول الله ، والله لقد قتلت قتيلا ذا سَلَب ، فأجْهضني عنه القتال ، فما أدرى مَن استلبه ؟ فقال رجل من أهل مكة : صدق يا رسول الله ، وسَلَبُ ذلك القتيل عندى ، فأرْضِه عنى مِنْ سَلَبه . فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لا والله ، لا يرضِيه منه ، تَعْمِد إلى أسَدٍ من أُسُد الله، يقاتل عن دين الله، تقاسمه سَلَبه ! اردد عليه سلب قتيله . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : صدق ، اردد عليه سَلَبه . فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه مَخْرَفا[3] ، فإنه لأول مال اعْتَقَدْتُه[4] .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا اتهم ، عن أبى سلمة ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يومَ حُنَين وحدَه عشرين رجلا .

نصرة الملائكة

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يَسار ، [أنه حدث][5] عن جبير بن مُطْعِم ، قال :

لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البِجَاد[6] الأسْوَد ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مبثوث[7] قد ملأ الوادى ، لم أشكَّ أنها الملائكة ، ثم لم يكن[8] إلا هزيمة القوم .

(١) أجهضنى عنه القتال : شغلنى وضيق علىّ وغلبنى .
(٢) أوزار الحرب ، أثقالها وآلاتها . وهى استعارة .
(٣) المخرف : نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر ، فأما مافوق ذلك فهو بستان أو حديقة. انظر السهيلى) .
(٤) اعتقدته : يقال : اعتقدت مالى : أى اتخذت منه عقدة ، كما تقول : نبذة أو قطعة والأصل فيه من العقد ، وأن من ملك شيئا عقد عليه .
(٥) زيادة عن ا .
(٦) البجاد : الكساء .
(٧) مبثوث : متفرق ، يعنى رآه ينزل من السماء .
(٨) كذا فى م ، ر . وفى ا « ولم يكن» .

هزيمة المشركين

قال ابن إسحاق :

ولما هزم الله المشركين من أهل حُنين ، وأمكن رسولَه صلى الله عليه وسلم منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبت خَيلُ اللهِ خَيْل اللاَّتِ وَاللهُ أحقُّ بالثَّباتِ

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالرواية للشعر :

غَلَبَتِ خَيْلَ اللهِ خيلَ اللاَّتِ وخَيْلُهُ أحَق بالثَّباتِ

قال ابن إسحاق :

فلما انهزمت هوازن استحَرَّ(١) القتل من ثقيف فى بنى مالك ، فقُتِل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة ابن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخِمار(٢) ، فلما قُتِل أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتى قُتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود ، قال :

لما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قتلُه قال : أبعده الله ! فإنه كان يُبغِضُ قريشا .

الغلام النصرانى الأغرل وما كاد يلحق ثقيفا بسببه

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنس :

أنه قُتل مع عثمان بن عبد الله غلامٌ له نصرانىّ أغْرَلُ(٣) ، قال : فبينا رجل من الأنصار يسلُب قتلى ثقيف إذ كشف العبدَ يسلبُه ، فوجده أغْرَلَ . قال : فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب . يعلم الله أنَّ ثقيفا غُرْل . قال المغيرة بن شُعبة : فأخذتُ بيده ، وخشيت ان تذهب عنا فى العرب ، فقلتُ : لا تقل ذاك ، فَدَاك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى . قال : ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختَّنين كما ترى !

فرار قارب وقومه وشعر ابن مرداس فى هجائهم

قال ابن إسحاق :

وكانت راية الأحلاف مع قارِب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقْتل من الأحلاف

(١) استحر : اشتد .

(٢) ذو الخمار : عوف بن الربيع .

(٣) الأغرل : هو الذى ليس بمختتن . والغرلة : هى الجلدة التى يقطعها الخاتن .

غيرُ رجلين : رجلٍ من بنى غِيَرَة ، يقال له وهب ، وآخر من بنى كُبَّة[1] ، يقال له الجُلاح ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجُلاح : قُتِل اليوم سيدُ شباب ثقيف ، إلَّا ما كان من ابن هنيدة ، يعنى بابن هُنيدة الحارث بن أُوَيس .

قصيدة أخرى لابن مرداس

فقال عباس بن مرداس السُّلَمى يذكر قارب ابن الأسود وفِرارَه من بنى أبيه ، وذا الخمار وحبْسَه قومَه للموت :

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ غَيْلاَنَ عَنِّى ... وسَوْفَ إِخَالُ يأتيه الخَبيرُ[2]
وعُرْوَةَ إِنَّمَا أُهْدِى جَوَابًا ... وَقَوْلاً غَيْرَ قولِكُمَا يسيرُ
بأَنَّ مُحمــداً عبدٌ رسول ... لرب لايضِــلُّ ولاَ يَجُورُ
وجدناه نَبيا مثــل مُوسَى ... فكل فَــتًى يُخَايِرُهُ مَخِيرُ[3]
وبِئْسَ الأمرُ أمرُ بنى قَسِىٍّ ... بوَجٍّ إِذْ تُقُسِّمَتِ الأُمورُ[4]
أضاعُوا أمرَهم ولــكل قومٍ ... أمــيرٌ والدوائرُ قَدْ تَدُورُ
فَجِئْنَا أُسْــدَ غاباتٍ إليهِمْ ... جنودُ اللهِ ضاحيةً تَســيرُ[5]
نؤُمّ الجمعَ جمعَ بنى قَسِىٍّ ... على حَنَقٍ نكاد له نطــيرُ[6]
وأُقْسِمُ لوْهُمُ مكثوا لِسِرْنا ... إِلَيْهِمْ بالجنود ولم يَغُوروا[7]
فَــكُنَّا أُسْــدَ لِيَّةَ ثَمَّ حَتَّى ... أَبَحْنَاهَا وأُسْلِمَتِ النُّصُــورُ[8]

---

(١) كذا فى م ، ر وفى ا « كنة » بالنون . قال أبو ذر : « . . . . ورواه الخشنى بالباء بواحدة من أسفل ، وهو الصواب » .

(٢) الفعل المستقبل هو يأتيه ، وإن كان الحرف « سوف » داخلا على إخال فى اللفظ ، فإن مايدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثانى . وهو كقول زهير :
« وما أدرى وسوف إخال أدرى »

(٣) يخايره : يقول له : أنا خير منك . ومخير : هو اسم مفعول أى مغلوب فى الخير .

(٤) قسى : اسم ثقيف . ووجّ : اسم واد بالطائف قبل حنين .

(٥) ضاحية : بارزة لاتختفى .

(٦) نؤم : نقصد . والحنق الغضب .

(٧) لم يغوروا : لم يذهبوا .

(٨) لية « بكسر اللام » : اسم موضع قريب من الطائف . والنصور : من هوازن ، وهم رهط مالك بن عوف النصرى (انظر السهيلى) .

ويومٌ كان قبلُ لَدى حُنَيْن ... فأقلع والدماءُ به تمُور[1]

منَ الأيامِ لم تَســـمع كيوم ... ولم يَسْــــمَعْ به قوم ذُكُور

قَتَلْنَا فى الغُبار بنى حُطَيْطٍ ... على راياتها والخيــل زُور[2]

ولم يكُ ذو الخِمار رئيسَ قَوْم ... لهـــم عقل يعاقب أو نَكِيرُ

أقام بِهِمْ على سَنَنِ المنـــايا ... وقد بانتْ لمُبْصِرِها الامُور[3]

فأفْلَتَ مَنْ نجا منهمْ جَريضاً ... وقُتِّلَ منهـــمُ بَشر كثير[4]

ولا يُغْنِى الأمورَ أخو التوانى ... ولا الغَلِق الصُّرَيِّرةُ الحَصُور[5]

أحانَهُمُ وحَانَ وَمَلَّكُوهُ ... أمورَهُمُ وأفْلَتَتِ الصُّــقُور[6]

بنو عوف تَمِيح بهـــمْ جيادٌ ... أُهِينَ لهـا الفَصافِص والشَّعير[7]

فلولا قاربٌ وبنو أبيـــه ... تُقُسِّمَتِ المزارع والقُصُـــورُ

ولـكنّ الرياســـة عُمِّموها ... على يُمْن أشار به المُشِـــير[8]

أطاعوا قارِبا ولهم جــدود ... وأحـــلام إلى عِزٍّ تصيرُ

فإنْ يُهْدَوْا إلى الإسْلامِ يُلْفَوْا ... أُنوفَ النَّاسِ ماسَمَرَ السَّمِيرُ[9]

وإن لم يُسْلِمُوا فهم أَذَانٌ ... بحرب الله ليس لهـــم نَصيرُ

---

(١) تمور : تسيل .

(٢) بنو حطيط : يروى هنا بالحاء والخاء ، وبالمهملة رواه الخشنى . وزور : مائلة .

(٣) سنن المنايا : طريقها .

(٤) الجريض : المختنق بريقه .

(٥) الغلق : الـكثير الحرج ، كأنه تنغلق عليه أموره . والصريرة «بتشديد الياء» تصغير الصرورة ، وهو الذى لايأتى النساء . والحصور هنا : بمعنى ماقبله ، ويجوز أن يكون معناه : الهيوب المحجم عن الشىء .

(٦) أحانهم : أهلـكهم . وحان : هلك .

(٧) تميح : تمشى مشيا حسنا . والفصافص : جمع فصفصة ، وهى البقلة التى تأكلها الدواب .

(٨) عمموها : أسندت إليهم وقدموا لها .

(٩) أنوف الناس : أشرافهم والمقدمون فيهم . والسمير : جماعة السمار ، وهم الذين يجتمعون الحديث بالليل .

كما حَكَّتْ بنى سَعْدٍ وحَرْبٌ ... برهط بنى غَزِيَّةَ عَنْقَفِيرُ[1]

كَأَنَّ بنى مُعاويةَ بنِ بَكْرٍ ... إلى الإسلام ضائنــةٌ تَخُورُ[2]

فقلنا أسْــلِمُوا إنَّا أَخُوكُمْ ... وقَدْ بَرأَتْ من الإحَنِ[3] الصُّدُورُ

كأَنَّ القومَ إذ جاءوا إلَينا ... من البغضاء بعد السِّلْم عُورُ

قال ابن هشام : غَيلان : غَيلان بن سَلَمَة الثقفى ، وعُروة : عُروة بن مسعود الثَّقَفى .

مقتل دريد بن الصمة

قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون أَتَوُا الطائف ومعهم مالك ابن عوف ، وعسكر بعضهم بأَوْطَاس ، وتوجه بعضهم نحو نَخْلَةَ ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غِيَرَة من ثقيف ، وتبعت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك فى نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بن رُفَيْع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سَمَّال بن عوف ابن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن الدُّغُنَّة وهى أمه ، فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لَذْعَة فيما قال ابن هشام ـ دُرَيْدَ بن الصِّمة ، فأخذ بخِطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه فى شِجَار له ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دُرَيد بن الصِّمَّة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دُريد : ماذا تريد بى ؟ قال . أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا رَبيعة بن رُفَيْع السُّلَمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يُغْنِ شيئاً ، فقال : بئس ما سَلَّحتك أمك ! خذ سيفى هذا من مؤخَّر الرحل ، وكان الرحل فى الشِّجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فإنى كذلك كنت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيتَ أمّك

---

(1) العنقفير : الداهية .

(2) تخور : تصيح .

(3) كذا فى م ، ر . والإحن : جمع إحنة ، وهى العداوة . وفى ا : «الترة» ، وهى بمعنى الإحنة .

فأخبرها أنك قتلت دُرَيْدَ بن الصِّمة ، فرُبَّ والله يوم قد منعتُ فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربته فوقع تكشَّف ، فإذا عِجَانه[1] وبطون فَخِذيه مثل القِرْطاس ، من ركوب الخيل أعراء[2] ؛ فلما رجع ربيعه إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهاتٍ لك ثلاثا .

فقالت عَمْرَةُ بنت دُرَيْد فى قتْل رَبيعةَ دُرَيدا :

لعمْرُكَ ما خشيتُ على دُرَيْدٍ　　ببطن سُمَيْرَةٍ[3] جيش العَنَاقِ[4]
جَزَى عنــه الإلهُ بنى سُلَيْمٍ　　وعقَّتهُمْ بما فعلوا عَقَاقِ[5]
وأسْــقانا إذا قُدْنا إليهم　　دماء خِيارهم عنــد التلاقى
فرب عظيمة دافعتَ عنهمْ　　وقد بلغت نفوسُهُمُ التَّراقى
ورُبَّ كريمةٍ أعتقتَ منهُمْ　　وأخرَى قَدْ فككتَ مِنَ الوَثاقِ
ورُب مُنَوِّهٍ بِكَ من سُلَيم　　أجَبْتَ وقد دعاك بلا رَماقِ[6]
فكان جزاؤنا منهم عُقُوقًا　　وهَمًّا مَاعَ منــه مُخُّ ساقى[7]
عفت آثار خيلك بعد أيْنٍ　　بذِى بَقَرٍ إلَى فيفِ النُّهَاقِ[8]

وقالت عَمْرة بنت دُرَيد أيضاً :

---

(١) عجانه : مابين فرجيه .
(٢) أعراء : جمع عرى (بوزن قفل) وهو الفرس الذى لاسرج له
(٣) سميرة : واد قرب حنين قتل فيه دريد بن الصمة .
(٤) العناق : الخيبة أو الداهية ، وكلاهما مناسب للمقام ، لأنها إذا قصدت « جيش الخيبة » فهو على معنى الهجاء للجيش ، وإذا قصدت « جيش الداهية » فهو على معنى مدح دريد بشجاعته التى يقهر بها مثل هذا الجيش .
(٥) عقاق : على وزن فعال بكسر اللام ، من العقوق .
(٦) المنوه : الذى يناديك بأشهر أسمائك نداء ظاهر . والرماق ، بفتح الراء وكسرها : بقية الحياة .
(٧) ماع : ذاب ، وكل سائل مائع (عن أبى ذر) .
(٨) عفت : درست وتغيرت . وذو بقر : موضع ، ويروى بالنون والفاء . والفيف : القفر . والنهاق هنا : موضع . وقال ابن سراج : أين وذو نفر : موضعان .

قالوا قَتلنا دُرَيْدا قاتُ قد صدقوا فظلّ دمعِى على السِّربالِ يَنْحدِر(١)
لَوْلا الذى قَهَر الأقوامَ كُلَّهمُ رأت سُلَيْم وكَعْب كيف تأ تَمِر
إذنْ لصبَّحهم غِـــبًّا وظاهرةً حيث استقرتْ نواهُمْ جَحْفَلٌ ذَفِر(٢)

قال ابن هِشام :

ويقال : اسم الذى قتل دُرَيْدا عبد الله بن قُنَيْع بن أُهْبَان بن ثعْلبة ابن رَبيعة .

مقتل أبى عامر الأشعرى

قال ابن إسحاق :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجّه قِبَلَ أَوْطاسٍ أباعامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم ، فناوشوه القتال(٣) ، فرُمِىَ أبو عامر بِسهم فقُتِل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشْعرىّ ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم . فيزعمون أن سَلَمَة بن دُرَيْد هو الذى رَمَى أبا عامر الأشعرىّ بسهم ، فأصاب رُكبته ، فقتله ، فقال :

إن تَسْألوا عنّى فإنى سَلَمَهْ ابنُ سَمادِيرَ لِمَنْ تَوَسَّمَهْ(٤)
أضربُ بالسيف رءوس المسْلِمَهْ

وسمادير : أمه .

دعاء الرسول لبنى رئاب

واستحر القتل من بنى نَصْر فى بنى رِئَاب ، فزعموا أن عبدالله بن قيس ـ وهو الذى يُقال له ابن العَوْراء ، وهو أحد بنى وَهْب بن رِئاب ـ قال : يا رسولَ الله ، هلكتْ بنو رئاب . فزعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجْبُرْ مصيبَتهم .

وصية مالك ابن عوف لقومه ولقاء الزبير لهم

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف فى فوارس من قومه ، على ثَنيّة(٥)

---

(١) السربال : القميص .
(٢) أصل الغب : أن ترد الإبل الماء يوما وتدعه يوما . والظاهرة : أن ترده كل يوم ؛ فضربه هاهنا مثلا . والجحفل : الجيش الكثير . وذفر (بالدال والذال معا) : كريه الرائحة من سهك السلاح ، وصدأ الحديد .
(٣) يقال : تناوش القوم فى القتال ، إذا تناول بعضهم بعضا بالرماح ، ولم يتدانوا كل التدانى .
(٤) توسمه : استدل عليه ونظر فيه .
(٥) الثنية : موضع مرتفع بين جبلين .

من الطريق ، وقال لأصحابه : قِفُوا حتى تَمْضِيَ ضُعفاؤُكم ، وتَلْحقَ أخراكم . فوقف هناك حتى مضى مَنْ كان لَحِق بهم من مُنْهزمة الناس ؛ فقال مالك بن عَوْف في ذلك :

ولولا كَرَّتان على مُحَاجٍ   لضاق على العَضاريط الطريق[1]
ولو لا كَرُّ دُهْمانَ بن نَصْر   لدَى النَّخَلاتِ مُنْدَفَع الشَّديق[2]
لآبتْ جَعْفرٌ وبنو هِلاَل   خَزَايا مُحْقبين على شُقوق[3]

قال ابن هشام : هذه الأبيات لمالك بن عَوْف في غير هذا اليوم . ومما يدلك على ذلك قولُ دُرَيد بن الصمة في صَدْرِ هذا الحديث : مافعلت كعْب وكلاب ؟ فقالوا له : لم يَشْهدها منهم أحد . وجعفرٌ ابن كلاب . وقال مالك بن عوف في هذه الأبيات : لآبت جَعْفرٌ وبنو هلال .

قال ابن هشام :

وبلغني أن خيلا طلعت ومالكٌ وأصحابه على الثَّنِيَّة ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ فقالوا : نرى قوما واضعي رماحِهم بين آذان خيلهم ، طويلةً بوادُّهم[4] ؛ فقال : هؤلاء بنو سُلَيْم ، ولا بأسَ عليكم منهم ؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي . ثم طلعت خيل أُخرى تتبعها ؛ فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : نرى قوما عارضي[5] رِماحِهم ، أغفالا[6] على خيلهم ؛ فقال : هؤلاء الأَوْس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهَوْا إلى أصل الثَّنِيَّة سلكوا طريق بني سُلَيْم . ثم طلع فارس ؛ فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : نرى فارسا

(١) محاج : اسم فرسه . والعضاريط : جمع عضروط (كعصفور) وهو الخادم على طعام بطنه ، والأجير . ويجمع أيضا على عضارط وعضارطة .
(٢) الشديق : واد بأرض الطائف ، مخلاف من مخاليفها ؛ ويروى بالذال المعجمة .
(٣) محقبين : مردفين لمن انهزم منهم . قال أبو ذر : «ومن رواه محقين ، فهو من الحق . يقال : أحقت خيل الرجل : إذا لم تنجب . ومن رواه : مجابين ، فمعناه مجتمعون » . وعلى شقوق : أي على مشقة .
(٤) البواد : جمع البادّ ، وهو باطن الفخذ .
(٥) عارضي رماحهم : أي واضعيها بالعرض .
(٦) أغفالا : جمع غفل ، وهو الذي لاعلامة له . يريد أنهم لم يعلموا أنفسهم بشيء يعرفون به .

طويل البادّ ، واضعا رمحه على عاتقه[1] ، عاصبا رأسه بمُلاءة[2] حمراء ؛ فقال : هذا الزبير بن العوّام ، وأحلف باللّات ليخالطنّكُمْ ، فاثبُتوا له . فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثَّنيَّة أبصر القوم ، فصَمَدهم[3] ، فلم يزل يُطاعِنهم حتى أزاحهم[4] عنها .

شعر سلمة في فراره

قال ابن إسحاق :

وقال سَلَمة بن دُرَيْد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نَسَّيْتِنى ما كنتِ غيرَ مُصابَةٍ ... ولقد عرفْتِ غَداةَ نَعْف الأَظْرُبِ[5]
أَنِّى مَنَعتُكِ والرُّكُوبُ مُحَبَّبٌ ... ومَشَيْتُ خلفَكِ مثلَ مشى الانكَبِ[6]
إذفرّ كلُّ مُهَذَّبٍ ذى لِمَّةٍ ... عَنْ أُمّه وخليـــله لم يُعْقِبِ[7]

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم بالشعر ، وحديثه :

بقية حديث مقتل أبي عامر

أن أبا عامرٍ الأشعرى لقى يوم أوطاس عشرةَ إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدُهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ، ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ، وبقى العاشر ، فحمل على أبى عامر ، وحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ، ويقول : اللهم اشهد عليه ؛ فقال الرجل : اللهم لا تشهد علىّ ، فكفّ عنه أبو عامر ، فأفلت ؛ ثم أسلم بعدُ فحسن إسلامه . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : هذا شَريدُ أبى عامر . ورمى أبا عامر أَخَوَانِ : العلاء وأوفى ابنا الحارث ، من بنى جُشَمَ بن

---

(١) العاتق : مابين المنكب والعنق .
(٢) الملاءة : الملحفة صغيرة كانت أو كبيرة
(٣) صمد : قصد .
(٤) أزاحهم عنها : أزالهم عنها ونحاهم .
(٥) النعف : أسفل الجبل . والأظرب : موضع . ويحتمل أن يكون جمع ظرب ، وهو الجبل الصغير .
(٦) الأنكب : المائل إلى جهة .
(٧) المهذب : الخالص من العيوب ، والهذب (أيضا) : المسرع ، من التهذيب فى السير ، وهو الإسراع . وخليله : صاحبه . ولم يعقب : لم يرجع .

معاوية ، فأصاب أحدُهما قلبَه ، والآخر رُكبته ، فقتلاه . وولِيَ الناسَ أبو موسى الأشعرى ، فحمل عليهما فقتلهما ؛ فقال رجل من بنى جُشَمَ بن معاويةَ يرثيهما :

إنَّ الرَّزِيَّةَ قَتْلُ العَلاءِ وَأَوْفَى جميعا ولم يُسْنَدَا[1]
هما القاتلانِ أبا عامرٍ وقدكانَذاهَبَةً[2]أربَدَا[3]
هُما تركاه لدى مَعْرَكٍ كأن على عِطْفِه مُجْسَدَا[4]
فلم تَرَ فى الناسِ مِثْلَيْهِما أَقَلَّ عِثارا وأرْمى يَدَا

نهى الرسول عن قتل الضعفاء

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مُتَقَصِّفُونَ[5] عليها ؛ فقال : ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : أدْرِكْ خالداً ، فقل له : إن رسول الله ينهاك أن تَقْتل وَليداً أو امرأة أو عَسيفاً[6]

شأن بجاد والشيماء

قال ابن إسحاق وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : إن قدرتم على بِجادٍ ، رجل من بنى سعد بن بكر ، فلا يُفْلِتَنَّكُمْ ، وكان قد أحدث حَدَثا فلما ظفِر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشَّيْماء ، بنت الحارث بن عبد العُزَّى ، أختَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعَنُفُوا عليها فى السِّيَاق ؛ فقالت للمسلمين : تعلَّمُوا والله أنى لأخت صاحبكم من الرَّضاعة ؛ فلم يصدِّقوها حتى أتَوْا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) لم يسندا : أى لم يدركا وبهما رمق ، فيسندا إلى ما عسكهما .
(٢) كذا فى وشاعة : يعنى سيفاذاهبة ؛ وهبة السيف : اهتزازه . وفى م ، ر «داهية».
(٣) الأربد : الذى فيه ربد ، أى طرائق من جوهر .
(٤) المعرك : موضع الحرب . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران .
(٥) متقصفون : مزدحمون . ويروى : منقصفون (بالنون) وهو بمعناه .
(٦) العسيف : الأجير ، والعبد المستعان به .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عُبيد السَّعدى ، قال :

فلما انتُهِيَ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : يا رسول الله ، إنى أُختك من الرضاعة ؛ قال : وما علامة ذلك ؟ قالت عَضَّة عَضِضْتنيها فى ظهرى وأنا مُتورِّكَتُك[1] ؛ قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه ، وخيّرها ، وقال : إن أحْببتِ فعِنْدِى مُحَبَّةٌ مُكْرَمَةٌ ، و إن أحْبَبْتِ أنْ أُمَتِّعَك[2] وترجعى إلى قومك فعلتُ ؛ فقالت : بل تمتِّعُنى وتردُّنى إلى قومى . فمتَّعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردها إلى قومها . فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوَّجَتْ أحَدَهُما الأُخْرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل فى يوم حُنين : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ » إلى قوله : « وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ » .

تسمية من استشهد يوم حنين

قال ابن إسحاق :

وهذه تسمية من اسْتُشْهِدَ يوم حُنَيْن من المسلمين .

من قريش ثم من بنى هاشم : أيْمَن بن عُبيد .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى : يزيد بن زَمَعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جَمَح به فرس له يقال له الجناح ، فقُتل

ومن الأنصار : سُرَاقَةُ بن الحارث بن عدىّ ، من بنى العَجْلان .

ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعرى .

جمع سبايا حنين

ثم جُمِعَتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبَايا حُنَيْن وأموالُها ، وكان على المغانم مسعودُ بن عمرو الغِفارىّ وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسَّبايا والأموال إلى الجِعْرَانة ، فَحُبِسَتْ بها .

شعر بجير يوم حنين

وقال بُجير بن زُهير بن أبى سُلْمَى فى يوم حُنين :

---

(١) متوركتك : حاملتك على وركى .

(٢) أمتعك : أى أعطيك مايكون به الإمتاع ، أى الانتفاع .

لولاَ الإلهُ وعبدُه وَلَّيتُمُ حين استخفَّ الرعبُ كُلَّ جَبانِ[1]
بالجِزعِ يومَ حَبَا لنَا أقرانُنا وسَوابحٌ يَكْبُون للأَذْقان[2]
مِنْ بين ساعٍ ثوبُه فى كَفِّه ومقطَّرٍ بسنابكٍ ولبَانَ[3]
واللهُ أكرَمَنا وأظهرَ دِيننا وأعـزَّنا بعبادة الرحمٰن
والله أهلكَهُمْ وفرّق جمعَهمْ وأذلَّهمْ بعبادة الشَّيطان

قال ابن هشام: ويَرْوِى فيها بعضُ الرُّواة:

إذ قام عمُّ نبيّكم ووليُّه يدعون: يالَكتيبةِ الإيمان
أينَ الذينَ همُ أجابوا ربَّهمْ يَوْمَ العُرَيض وبيعة الرِّضْوان[4]

قال ابن إسحاق:

شعر لعباس بن مرداس فى يوم حنين

وقال عباس بن مِرداس فى يوم حنين:

إنى والسوابحِ يومَ جَمْعٍ وما يتلو الرسولُ من الكتابِ
لقد أحببتُ مالَقِيتْ ثقيفٌ بجَنْب الشِّعْب أمس من العذاب
هُمُ رأسُ العدو مِنَ أهْلِ نَجْدٍ فقتلُهُمُ ألَذُّ منَ الشَّراب
هزمنا الجمعَ جمعَ بنى قَسِيٍّ وحكّتْ بَرْكَها ببنى رِئَاب[5]
وَصِرْمًا من هِلال غادرتهمْ بأوْطاس تُعفَّر بالتُّراب[6]
ولو لاقَيْنَ جمعَ بَنِى كِلابٍ لقَامَ نساؤهم والنَّقْعُ كابى
رَكَضْنَا الخيلَ فيهم بين بُسٍّ إلى الأَوْرال تَنْحِطُ بالنِّهاب[7]
بذى لَجَبٍ رسولُ الله فيهم كتيبتُه تَعرَّضُ للضِّراب[8]

---

(١) ويروى: «جنان» والجنان: القلب.

(٢) الجزع: ما انعطف من الوادى. وحبا: اعترض. والسوابح: خيل كأنها تسبح فى جريها، أى تعوم. ويكبون: يسقطن.

(٣) مقطر: مرمى على قطره، وهو جنبه. والسنابك: جمع سنبك، وهو طرف مقدم الحافر. واللبان (بفتح اللام): الصدر.

(٤) العريض: واد بالمدينة.

(٥) جمع: هى مزدلفة، وهى المشعر الحرام أيضا. والبرك: الصدر. ويريد بحك الحرب بركها: شدة وطأتها.

(٦) الصرم: جماعة بيوت انقطعت عن الحى الكبير. وأوطاس: موضع.

(٧) بس: موضع فى أرض بنى جشم. والأورال: أجبل ثلاثة سود، حذاءهن ماءة لبنى عبدالله بن دارم. وتنحط: تخرج أنفاسها عالية. والنهاب: جمع نهب، وهو ما ينتهب ويغنم.

(٨) بذى لجب: بجيش كثير الأصوات.

قال ابن هشام .

قوله « تُعَفَّر بالتراب » : عن غير ابن إسحاق .

شعر ابن عفيف في الرد على ابن مرداس

فأجابه عطية بن عُفَيِّف[1] النَّصْرِىّ ، فيما حدثنا ابن هشام ، فقال :

أفاخرةٌ رِفاعةُ فى حُنَيْنٍ ... وعباسُ بن رَاضِعةِ اللِّجابِ[2]

فإنَّكَ والفِجَارَ كذاتِ مِرْطٍ ... لرَبَّتِها وترفُلُ فى الإهابِ[3]

قال ابن إسحاق :

قال عطية بن عُفَيِّف هذين البيتين لمَّا أكثرَ عباسٌ على هَوَازِن فى يوم حنين . ورفاعة من جُهينة .

قال ابن إسحاق :

شعر آخر لعباس بن مرداس

وقال عباس بن مِرداس أيضا :

يا خاتم النُّبَآءِ إنكَ مُرْسَلٌ ... بالحقِّ كلُّ هُدى السبيل هُداكَا

إنّ الإله بنى عليك محبَّةً ... فى خَلْقِه ومُحَمَّدًا سَمّاكا

ثُمّ الذين وَفَوْا بما عاهدتَهم ... جندٌ بَعَثْتَ عليهمُ الضَّحَّاكا

رجُلاً به ذَرَبُ السِّلاح كأنه ... لما تكنَّفَه العدُوُّ يَرَاكا[4]

يغشى ذوى النَّسَب القَريب وإنما ... يبغى رِضَا الرحمن ثم رِضَاكا

أُنْبيكَ أنى قد رأيتُ مَكَرَّه ... تحتَ العَجَاجَةِ يدْمَغُ الإشرا كا[5]

طَوْراً يُعانِق باليدين وتارةً ... يفْرِى الجماجِمَ صارماً بتَّاكا[6]

يغشى به هامَ الكُماة ولو ترى ... منه الذى عاينتُ كان شفاكا[7]

وبنو سُلَيم مُعْنِقُون أمامه ... ضرْبًا وطَعْناً فى العدوِّ دِراكا[8]

---

(١) روى بفتح العين وبضمها مع تخفيف الياء ، وبالضم مع التشديد قيده الدارقطنى .

(٢) اللجاب : جمع لجبة ، وهى الشاة القليلة اللبن . وقيل . هى العنز خاصة .

(٣) الفجار : الفاخرة . والمرط : كساء غير مخيط من خز أو صوف أو كتان . وترفل : تمشى متبخترة ، والإهاب : الجلد ؛ وريد به الثوب .

(٤) ذرب السلاح : حدته ومضاؤه ؛ ومنه يقال : فلان ذرب اللسان ، إذا كان حاد اللسان .

(٥) العجاجة : الغبار المنتشر . ويدمغ يقهر ويذل ؛ وهو من الضرب على الدماغ .

(٦) يفرى : يقطع . ويروى « يقرى » بالقاف ؛ أى يقدم الجماجم قرى لسيفه . وبتاك : قاطع .

(٧) هذا البيت ساقط فى ا . والهام : الرءوس . والكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع المستتر فى سلاحه .

(٨) معنقون : مسرعون . يقال : أعنق يعنق : إذا أسرع . ودراك : متتابع .

يمشون تحت لوائه وكأنهم   أُسْدُ العَرِين أَرَدْن ثَمّ عِراكا[1]
ما يرتجُون من القَريبِ قَرابة   إلا لطاعة ربّهم وهَوَاكا
هذى مشاهدُنا التى كانَتْ لَنا   معروفةً ووليُّنا مولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضا :

إمّا تَرَىْ ياأُمّ فرْوةَ خَيلَنا   منها مُعطلةٌ تُقاد وظُلّع[2]
أوْهَى مقارعةُ الأعادِي دمَّها   فيها نوافذُ من جِراحٍ تَنْبَع[3]
فلربَّ قائلةٍ كفاها وَقعُنا   أزْمَ الحروبِ فسِرْبُها لا يُفْزَع[4]
لا وَفْدَ كالوفْدِ الأُلَى عقدُوا لنا   سبَبًا بحبْلِ محمدٍ لا يُقْطَع
وفد أبو قطَنٍ حُزابةُ منهمُ   وأبو الغيوث وواسعٌ والمقنع
والقائد المِئَة الّتِي وفَّى بها   تسْعَ المئِين فَتمّ[5] ألفٌ أقْرَع[6]
جمَعتْ بنو عوف ورهط مُخاشِن   ستًّا وأحْلب[7] من خُفَافٍ أربع[8]
فهناكَ إذ نُصِرَ النَّبِيّ بألْفِنا   عقدَ النَّبِيّ لنا لواء يَلْمَع
فُزْنا برايَتِه وأوْرَث عقْدُه   مجْدَ الحياة وسُودَدًا لا يُنْزَع
وغداة نحن مع النبيّ جناحُه   ببطاحِ مكّة والقَنا يَتَهزّع[9]
كانت إجابتُنا لداعى ربِّنا   بالحق منَّا حاسرٌ ومُقنّع[10]

---

(١) العرين : موضع الأسد . والعراك : المدافعة فى الحرب .

(٢) كذا فى م ، ر . والظلع: العرج . وفى ا : «ضلع» بالضاد ، والظلع والضلع بمعنى .

(٣) أوهى : أضعف . ودمها (بالدال) : تسويتها بالعلف والصنعة لها حتى استوى لحمها ، يقال : دمت الأرض، إذا سويتها . وروى «رمها » (بالراء) ، والمعنى على الروايتين واحد . وتنبع : تسيل بالدم .

(٤) أزم الحروب : شدتها . وسربها : أى نفسها ؛ وقيل أهلها .

(٥) كذا فى م ، ر . وفى ا « فثم » بالثاء المثلثة .

(٦) ألف أقرع : أى تام لاينقص منه شىء .

(٧) كذا فى م ، ر . و « أحلب » بالحاء المهملة : جمع . وفى ا : « أجلب » بالجيم . وهى بمعناها ، إلا أن الإجلاب جمع مع حركة وصوت .

(٨) خفاف (بضم الخاء) : اسم رجل تنسب إليه القبيلة .

(٩) يتهزع : معناه يضطرب ويتحرك . وروى بالراء ، ومعناه : يسرع إلى الطعن ، من قولك : أهرعت ، إذا أسرعت .

(١٠) الحاسر : الذى لادرع عليه . والمقنع : الذى على رأسه مغفر .

فى كُلِّ سابغةٍ تخَيَّرَ سَرْدَهَا　　داودُ إذا نَسَج الحديدَ وتُبَّعُ[(١)]
ولَنا على بئرِىْ حُنَيْنٍ موْكِبٌ　　دَمَغَ النِّفَاقَ وهضبَةٌ ما تُقْلَعُ[(٢)]
نُصِرِ النبى بنا وكنا معشراً　　فى كل نائبــــة نَضُرُّ ونَنفع
ذُدْنا[(٣)] غداتَئذٍ هوازنَ بالقَنا　　والخيلُ يغمرُها عَجاجٌ يَسْطع[(٤)]
إذْ خاف حَدَّهم النبىُّ وأسْندوا　　جمعاً تَكاد الشمسُ منه تَخشع[(٥)]
تُدْعَى بنو جُشَمٍ وتُدْعَى وَسْطَه　　أفناءُ نَصْرٍ والأسِنَّةُ شُرَّعُ[(٦)]
حتى إذا قال الرســـولُ محمدٌ　　أبنى سُلَيْم قد وَفَيْتُمْ فارفعوا[(٧)]
رُحْنا ولوْلاَ نَحْنُ أجْحَفَ بأسُهم　　بالمُؤمنين وأحرَزُوا مَا جَمَّعوا[(٨)]

وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حنين :

عفا مِجْدَلٌ من أهــــله فَمُتالِعُ　　فَمِطْلاَ أرِيكٍ قَدْ خَلاَ فالْمَصَانعُ[(٩)]
ديارٌ لنا يا جُمْل إذْ جُلُّ عيشِنا　　رخىٌّ وصرف الدارللحَىِّ جامع[(١٠)]
حُبَيِّبَةٌ ألْوَتْ بها غُرْبَة النَّوَى　　لِبَيْنٍ فهل ماض من العيش راجع[(١١)]

---

(١) السابغة : الدرع الكاملة . وسردها : نسجها . وتبع : ملك من ملوك اليمن .

(٢) دمغ النفاق : أصابه فى دماغه ، وهى استعارة هنا . والهضبة : الراية ، يصف جيشه بالثبات والقوة فلا يزحزح عن مكانه .

(٣) كذا فى ا . وذدنا : دافعنا . وفى م ، : «زرنا» .

(٤) العجاج : الغبار : ويسطع : يعلو ويتفرق .

(٥) تخشع : ينقص ضياؤها .

(٦) الأفناء (بالفاء) : جماعة مجتمعة من قبائل شتى . وشرع : مائلة إلى الطعن .

(٧) ارفعوا : أى كفوا أيديكم عن القتل ؛ ويروى : اربعوا (بالباء) وهو بمعناه .

(٨) أجحف : نقص وأضر . وأحرزوا ماجمعوا : احتووه .

(٩) عفا : درس وتغير . ومجدل : موضع ، وأصل المجدل : القصر ، ويقال : الحصن . ومتالع : جبل بنجد . والمطلاء (بكسر الميم ، يمد ويقصر) : أرض سهلة لينة تنبت العضاه . (راجع اللسان مادة : طلى) . وأريك : موضع . والمصانع : مواضع تصنع الماء مثل الصهاريج .

(١٠) جمل : اسم امرأة . وجل العيش : أكثره . وعيش رخى : ناعم . وصرف الدار : الخطب النازل بها .

(١١) كذا فى م ، ر . وهو تصغير حبية ، ، وفى ا : « حبيبة » وهو تصغير ترخيم مع النسب إلى بنى حبيب . وألوت بها : غيرتها . والنوى : البعد والفراق .

فإن تبتغي الكفَّارَ غيرَ ملومَة ... فإني وزيرٌ للنَّبِيِّ وتابع
دعانا إليهم خيْرُ وفْد عَلِمْتُهم ... خُزَيْمَــــة والمَرّار منهُم وواسع
فجئنا بألفٍ من سُلَيْمٍ عليهمُ ... لَبُوسٌ لهم من نسْج داوُدَ رائع(١)
نبايعُهُ بالأخْشَبَيْنِ وإنَّمَا ... يدَ الله بَيْنَ الأَخْشَــبَينِ نُبَايع(٢)
فجُسْنَا مع المهديِّ مَكَّةَ عَنْوَةً ... بأسْــيافنا والنَّقعُ كابٍ وسَاطع(٣)
عَلانِيَةً والخيـلُ يَغْشَى مُتونَها ... حميمٌ وآنٍ من دَمِ الجَوْف ناقع(٤)
ويومَ حُنَيْنٍ حين سارت هوازنٌ ... إلينا وضاقتْ بالنُّفُوس الأضَالع
صَـبَرْنا مع الضَّحَّاك لايستفزّنا ... قِرَاعُ الأعادِي منهمُ والوقائع(٥)
أَمامَ رســول الله يخفِقُ فوقنا ... لواء كخُذْرُوف السَّحابة لامع(٦)
عشيةَ ضحاكُ بنُ سُفيانَ مُعْتَصٍ ... بسيف رسول الله والموتُ كانع(٧)
نَذود أخانا عن أخينا ولو نَرَى ... مَصَالاً لكُنا الأقْرَبِينَ نتابع(٨)
ولـكنَّ دينَ الله دينُ محمد ... رضينا به فيــه الهدى والشرائع
أقام به بعــــد الضلالة أمرنَا ... وليس لأمرٍ حَمَّـــــه الله دافع(٩)

---

(١) رائع . معجب .
(٢) الأخشبان : جبلان بمكة .
(٣) جسنا : وطئنا . والمهدى : النبي صـلى الله عليه وسلم . وعنوة : قهر . والنقع : الغبار . وكاب : مرتفع ، وساطع : متفرق .
(٤) متونها : ظهورها . والحميم (هنا) : العرق . وآن : حار . وناقع : كثير .
(٥) لايستفزنا : لايستخفنا .
(٦) خذروف السحابة : طرفها . وأراد به هنا سرعة تحرك هذا اللواء واضطرابه .
(٧) معتص : ضارب . يقال : اعتصوا بالسيوف : إذا ضاربوا بها . وكانع : دان ؛ يقال : كنع منه الموت ، إذا دنا .
(٨) نذود : ندفع . وأخانا عن أخينا : يريد أنه من بنى سليم ، وسليم من قيس ، كما أن هوازن من قيس . كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ؛ فمعنى البيت : نقاتل إخوتنا هوازن ، وندودهم عن إخوتنا من سليم ، ولو نرى فى حكم الدين مصالا وتطاولا على الناس ، لكنا مع الأقربين هوازن .
(٩) حمه الله : قدره .

وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حنين :

تَقَطَّعَ باقى وصْلِ أمِّ مُؤَمَّلٍ ... بعاقبة واستبدَلَتْ نِيَّةً خُلْفَا(١)
وقد حَلَفَتْ بالله لا تقطَعُ القُوَى ... فما صَدَقَت فيه ولا بَرَّت الحَلْفا(٢)
خُفافِيَّةٌ بطْنُ العَقيق مَصِيفُها ... وتحتلّ فى البادِين وَجْرَة فالعَرْفا(٣)
فإن تَتْبَعِ الكفارَ أمُّ مؤمَّلٍ ... فقد زوّدَتْ قلبى على نأيها شَغْفا(٤)
وسوف يُنبِّيها الخبيرُ بأننا ... أبَيْنا ولم نطلُبْ سِوَى رَبِّنا حِلْفا(٥)
وأنّا مَعَ الهادى النبىِّ محمّدٍ ... وفَينا ولم يستوفها مَعْشَرٌ ألْفَا
بفتْيانِ صِدْق من سُلَيْم أعزَّةٍ ... أطاعوا فما يعْصُونَ من أمْره حَرْفا
خُفافٌ وذَكْوانٌ وعوْفٌ تخالهم ... مَصَاعِبَ زافَتْ فى طَرُوقَتِها كُلْفا(٦)
كأنَّ النَّسِيجَ الشُّهْبَ والبيضَ مُلْبَسٌ ... أُسُوداً تلاقَتْ فى مراصدها غُضْفا(٧)
بنا عَزَّ دِينُ الله غيرَ تَنَحُّلٍ ... وزِدْنا عَلَى الحَىِّ الذى مَعَه ضِعْفا(٨)
بمكَّةَ إذ جِئْنا كأنّ لواءَنا ... عُقابٌ أرادَتْ بعد تَحْلِيقِها خَطْفا

---

(١) النية : ماينويه الإنسان من وجه ويقصده . وخلفا (بضم الخاء) : من خلف الوعد ، ومن رواه (بفتح الخاء) ، فهو من المخالفة . وقال السهيلى : «النية من النوى ، وهو البعد . وخلفا : يجوز أن يكون مفعولا من أجله ، أى فعلت ذلك من أجل الخلف . ويجوز أن يكون مصدرا مؤكدا للاستبدال ، لأن استبدالها خلف منها لما وعدته به . ويقوى هذا البيت البيت الذى بعده »

(٢) القوى هنا : قوى الحبل ، والحبل (هنا) : هو العهد . والحلف : اليمين والقسم .

(٣) خفافية : نسبة إلى بنى خفاف ، حى من سليم . والعقيق : واد بالحجاز . ووجرة والعرف : موضعان .

(٤) كذا فى م ، ر . والشغف (بالغين المعجمة) : أن يبلغ الحب شغاف القلب ، وهو حجابه . وفى ا : « شعفا » بالعين المهملة ، ومعناه : أن يحرق الحب القلب مع لذة يجدها المحب .

(٥) الحلف : المحالفة ، وهو أن يحالف القبيل على أن يكونوا يدا واحدة فى جميع أمورهم .

(٦) مصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل . وزافت : مشت . والطروقة : النوق التى يطرقها الفحل . وكلف : سود ؛ الواحد : أكلف .

(٧) النسيج : الدروع . والشهب : جمع شهباء ، وهى التى يخالط بياضها حمرة . ومراصدها : حيث يرصد بعضها بعضا ، وغضف : مسترخية الآذان .

(٨) غير تنحل : غير كذب .

على شُخَّصِ الأبصارِ تحسِبُ بِيْنها ... إذا هِيَ جالت في مَرَاوِدِها عَزْفا[1]

غداةَ وَطِئْنا المشركين ولم نَجِدْ ... لأمرِ رسولِ اللهِ عَدْلا ولا صَرْفا[2]

بمعــتركٍ لا يَسْمَعُ القومُ وسْطَه ... لَنا زَجْمَةً إلا التَّذامُرَ والنَّقْفا[3]

بِبِيضٍ نُطيرُ الهامَ عن مُسْتَقَرِّها ... وَنَقْطِفُ أعْناقَ الكُماةِ بها قَطْفا[4]

فكائِنْ تَرَكْنا من قَتِيلٍ مُلَحَّبٍ ... وأرْمَــلَةٍ تَدْعو على بَعْلِها لَهْفا[5]

رِضَا اللهِ نَنْوِي لا رِضا الناسِ نبتغي ... ولِلهِ ما يَبْــدُو جميعاً وما يخفى

وقال عباس بن مرداس أيضا :

ما بالُ عينِكَ فيها عائرٌ سَهِرٌ ... مِثْلُ الحَمَاطةِ أغْضَى فوقَها الشُّفُرُ[6]

عَيْنٌ تأوَّبَها من شَجْوِها أرَقٌ ... فالماءُ يَغْمُرُها طَوْرًا ويَنْحَدِرُ[7]

كأنه نَظْمُ دُرٍّ عنـــدَ ناظمةٍ ... تَقَطَّعَ السِّلْكُ منـــه فهو مُنْتَثِرُ[8]

يا بُعْدَ مَنْزِلِ مَنْ ترجو مودَّتَه ... ومَنْ أتَى دُونَهُ الصَّمَّانُ فالحَفَرُ[9]

---

(١) شخص : جمع شاخص ، وهو الذى يفتح عينه ولا يطرف . والمراود : جمع مرود ، وهو الوتد . قال السهيلى : «ويجوز أن يكون جمع مراد ، وهو حيث ترود الخيل ، أى تذهب وتجىء» ، والعزف : الصوت والحركة .

(٢) العدل : الفدية . والصرف : التوبة .

(٣) المعترك : موضع الحرب . وزجمة : أى صوت . والتذامر : أن يحض بعضهم بعضا على القتال . والنقف : كسر الرءوس ، ومنه ناقف الحنظلة ، وهو كاسرها ومستخرج ما فيها .

(٤) الهام : الرءوس ، الواحدة : هامة . ونقطف : نقطع .

(٥) ملحب : مقطع اللحم .

(٦) العائر : كل ما أعل العين من رمد أو قذى يتنخس فى العين كأنه يعورها . وسهر : من السهر ، وهو امتناع النوم . وجعله سهرا ، وإنما السهر الرجل ، لأنه لم يفتر عنه ، فكأنه سهر ولم ينم . والحماطة (فى الأصل) : تبن الذرة إذا ذريت ، وله أكال فى الجلد ؛ ويريد به ما يقع منه فى العين فتقذى به . وأغضى فوقها : أغمض جفنه عليها . والشفر (أصله بسكون الفاء ، وحركت بالضم إتباعا) : أصل منبت الشعر فى الجفن .

(٧) تأوبها : جاءها مع الليل . والشجو : الحزن . والماء : الدمع . ويغمرها : يغطيها .

(٨) السلك : الخيط الذى ينظم فيه . ومنتثر : متفرق .

(٩) الصمان والحفر : موضعان .

دعْ ماتقدم من عهد الشباب فقَدْ ... ولّى الشبابُ وزارَ الشَّيْبُ والزَّعَرُ(١)
واذْكُرْ بَلاءَ سُلَيْمٍ في مواطنها ... وفي سُلَيْمٍ لأهــل الفَخْرِ مُفْتَخَر
قَوْمٌ همُ نصَرُوا الرحمن واتَّبعوا ... دِينَ الرَّسُول وأمرُ الناس مُشْتَجِر(٢)
لا يَغْرِسون فَسِيلَ النَّخل وَسْطَهم ... ولا تَخاوَرُ في مَشْتَاهُم البَقَر(٣)
إلا ســـوابحَ كالعِقْبان مُقْرَبةً ... في دَارةٍ حَوْلَها الأخْطارُ والعَكَر(٤)
تُدْعَى خُفافٌ وعَوْفٌ في جوانبها ... وحيُّ ذَكْوانَ لا مِيلٌ ولا ضُجُر(٥)
الضاربون جنود الشِّرْك ضاحِيةً ... ببطن مكَّةَ والأرواحُ تَبْتَدِر(٦)
حتى دَفَعْنا وقتــلاهمْ كأنَّهمُ ... نَخْلٌ بظاهِرة البطحاء مُنْقَعِر(٧)
ونحنُ يومَ حُنَيْنٍ كانَ مشهَدُنا ... للدِّين عِزًّا وعنــدَ الله مُدَّخَر
إذ نركَبُ الموتَ مُخضَرًّا بطائنُه ... والخيلُ ينجابُ عنها ساطعٌ كَدِر(٨)
تحت اللواء مع الضحاك يقْدُمنا ... كما مَشَى اللَّيثُ في غاباتِه الخَدِر(٩)
في مأزِقٍ من مَجَرِّ الحرْبِ كَلْكَلُها ... تكادُ تأفُلُ منه الشَّمْسُ والقَمَر(١٠)
وقد صــبَرْنا بأوطاسٍ أسِنَّتنا ... للهِ نَنْصُر مَنْ شِئْنا ونَنْتَصِر

---

(١) الزعر : قلة الشعر .

(٢) مشتجر : مختلف ، من الاشتجار : وهو الاختلاف وتداخل الحجج بعضها في بعض .

(٣) الفسيل : صغار النخل . وتخاور : من الخوار ، وهو أصوات البقر . يريد أنهم ليسوا أهل زرع وتربية نعم ، وإنما هم أهل حرب وانتقال .

(٤) السوابح (هنا) : الخيل التي كأنها تسبح في جريها . والعقبان : جمع عقاب . ومقربة (كما في م ، ر) : قريبة من البيوت ، لركوبها إذا حدث ما يدعو إلى النجدة ونحوها : وفي ا : « مقرنة » . والدارة : كل ما أحاط بشيء . والأخطار : الجماعات من الإبل . والعكر : الإبل الكثيرة .

(٥) خفاف ، وعوف ، وذكوان : قبائل . والميل : جمع أميل ، وهو الذي لا سلاح له . والضجر (بضم الضاد والجيم) : جمع ضجور ، من الضجر ، وهو الحرج وسوء الاحتمال .

(٦) ضاحية : منكشفة بارزة في أشعة الشمس .

(٧) منقعر : منقلع من أصله .

(٨) ساطع : غبار متفرق . وكدر : متغير إلى السواد .

(٩) الخدر : الداخل في خدره . والخدر (هنا) : غابة الأسد .

(١٠) مأزق : مكان ضيق في الحرب . والكلكل : الصدر . وتأفل : تغيب .

حتَّى تأوَّبَ أقوامٌ منازلهم ... لولا المليكُ ولولا نحنُ ماصَدَروا[1]
فما تَرى مَعْشَراً قَلُّوا ولا كَثُرُوا ... إلاقدَ اصْبَحَ مِنَّا فيهِمُ أثَرُ

وقال عباس بن مِرْداس أيضا :

يَأَيها الرجل الذى تَهْوِى به ... وجْناءُ مُجْمَرَةُ المَناسمِ عِرْمِسُ[2]
إمَّا أتيْتَ على النبىِّ فقلْ له ... حقًّا عليك إذَا اطْمَأَنَّ المجلس
ياخيرَمن ركِبَ المطِىَّ ومَنْ مَشَى ... فوق التراب إذا تُعَدُّ الأنْفُس
إنَّا وَفَيْنا بالذى عاهَدْتَنا ... والخيلُ تُقْدَعُ بالكُماة وتُضْرَس[3]
إذ سالَ من أفناء بُهْثَةَ كُلِّها ... جمعٌ تَظَلّ به المخارِم تَرْجُس[4]
حتى صَبَحْنا أهلَ مكة فَيْلَقًا ... شَهْباءَ يقدُمُها الهُمَامُ الأشوَس[5]
من كلِّ أغْلَبَ من سُلَيمٍ فوقَهُ ... بيضاء مُحكمَةَ الدِّخال وقَوْنَس[6]
يُروِى القناة إذاتجاسَرفى الوَغَى ... وتخالُه أسَداً إذا ما يَعْبِس
يَغْشى الكَتيبةَ مُعْلِما وبِكَفِّه ... عَضْبٌ يَقُدُّ به ولَدْنٌ مِدْعَس[7]
وعلى حُنَيْنٍ قد وَفَى من جمْعِنا ... ألْفٌ أُمِدَّ به الرسولُ عَرَنْدَس[8]
كانُوا أمامَ المؤمنين دَرِيئَةً ... والشمسُ يومئذ عليهم أشْمُس[9]

---

(١) تأوب : رجع .

(٢) تهوى به : تسرع . والوجناء : الناقة الضخمة ، أو هى الغليظة الوجنات البارزتها ، وذلك يدل على غئور عينيها . وهم يصفون الإبل بغئور العينين عند طول السفار . والمجمرة : المجتمعة المنضمة ، وذلك أقوى لها . والمناسم : جمع منسم وهو مقدم طرف خف البعير . وعرمس : شديدة ؛ وأصل العرمس : الصخرة الصلدة ، وتشبه بها الناقة الجلدة القوية .

(٣) تقدع : تكف . وتضرس : تجرح .

(٤) سال : ارتفع . وبهثة : حى من سليم . والمخارم : الطرق فى الجبال . وترجس : تهتز وتتحرك .

(٥) صبحنا أهل مكة فيلقا : أتيناهم بفيلق عند الصبح . وشهباء : لها بريق من كثرة السلاح . والهمام : السيد . والأشوس : الذى ينظر نظر المتكبر .

(٦) الأغلب : الشديد الغليظ . ومحكمة الدخال : يريد قوة نسج الدرع . والقونس : أعلى بيضة الحديد .

(٧) عضب : سيف قاطع . ولدن : لين ، يقصد به الرمح . ومدعس : طعان .

(٨) عرندس : شديد

(٩) دريئة : مدافعة . وأشمس : جمع شمس . يريد لمعان الشمس فى كل درع وسيف وبيضة وسنان ، فكأنها شموس .

نَمْضِى ويحْرُسُنا الإله بحفظه   واللهُ لَيْسَ بضائع من يحرُسُ
ولقد حُبِسْنا بالمناقب مَحْبِسا   رضِىَ الإلهُ به فنِعْم المَحْبِس[1]
وغداةَ أوْطاسٍ شدَدْنا شَدَّةً   كفَتِ العدُوّ وقيل مِنْها يا:احْبِسوا
تَدْعُو هوازنُ بالإخاوة بيننا   ثَدْىٌ تَمُدّ به هوازنُ أيْبَس
حتى تَرَكْنا جمْعَهم وكأنه   عَيْرٌ تَعاقَبُه السِّبَاعُ مُفَرَّس[2]

قال ابن هشام :

أنشدنى خلفُ الأحمر قوله : « وقيل منها يا احْبِسوا » .

قال ابن إسحاق :

وقال عباس بن مرداس أيضا :

نَصَرْنا رسولَ الله من غَضَبٍ له   بألفِ كمِيٍّ لا تُعَدُّ حواسرُه[3]
حَمَلْنا له فى عامِلِ الرُّمْح رايةً   يذودُ بها فى حَوْمة المَوْت ناصرُه[4]
ونحن خَضَبْناهاَ دَمًا فهْو لَوْنُها   غداةَ حنين يومَ صفوانُ شاجِرُه[5]
وكنا على الإسلام ميمنَةً له   وكان لنا عَقْدُ اللِّواء وشاهره
وكنّا له دون الجنودِ بطانةً   يشاوِرُنا فى أمره ونُشاوره
دعانا فسمّانا الشِّعارَ مُقَدَّمًا   وكنّا له عَوْنا على من يُنا كِره[6]
جزَى الله خيْراً من نبىٍّ محمداً   وأيّده بالنّصْر والله ناصره

قال ابن هشام :

أنشدنى من قوله : « وكنا على الإسلام » إلى آخرها ، بعضُ أهل العلم بالشعر ، ولم يعرف البيت الذى أوله : « حملنا له فى عامِلِ الرمْح راية » . وأنشدنى بعد قوله : « وكان لنا عَقْدُ اللواء وشاهره » : « ونحن خضبناه دما فهو لونه » .

---

(١) المناقب : اسم طريق الطائف من مكة .
(٢) العير : حمار الوحش . ومفرس : معقور ، افترسته السباع .
(٣) حواسره : جوعه الذين لادروع عليهم ؛ يقال : رجل حاسر ، إذا لم يكن عليه درع .
(٤) عامل الرمح : مايلى السنان ، وهو دون الثعلب .
(٥) شاجره : أى مخالطه بالرمح ؛ يقال : شجرته بالرمح ، إذا طعنته به ، وشجرت الرماح : إذا دخل بعضها على بعض .
(٦) الشعار : ماولى جسد الإنسان من الثياب ، فاستعاره هنا لبطانته وخاصته .

قال ابن إسحاق :

وقال عباس بن مرداس أيضا :

من مُبْلِغ الأقوام أنّ محمدا ... رسولَ الإله راشدٌ حيث يَمَّمَا[1]
دعا ربَّه واستنصر الله وَحْدَه ... فأصبح قد وَفَّى إليه وأنعَما
سَرَيْنا وواعدنا قُدَيْداً محمدا ... يَؤُمّ بنا أمراً مِنَ الله مُحْكَمَا
تمارَوْا بنا فى الفَجْرِ حتّى تَبَيّنوا ... مع الفجر فِتيانا وغَابًا مُقوّما[2]
على الخَيْلِ مشدُودا علينا دُرُوعُنا ... ورَجْلا كدُفّاع الأتِيّ عرمرما[3]
فإنّ سَراة الحَيّ إنْ كنتَ سائلا ... سُلَيْمٌ وفيهمْ منهمُ من تَسلّما[4]
وجندٌ من الأنصار لا يَخْذُلُونه ... أطاعوا فما يَعْصونَهُ ما تَكلّما
فإن تك قد أمّرْتَ فى القوم خالدا ... وقدّمْتَه فإنه قدْ تقدّما
بجُنْد هداهُ اللهُ أنتَ أميرُه ... تُصيبُ به فى الحق من كان أظلَمَا
حلفتُ يميناً برّةً لِمُحمَّد ... فأكْمَلْتُها ألفاً من الخيل مُلْجَما
وقال نبيُّ المؤمنين تقدّموا ... وحُبَّ إلينا أن نَكون المقدّما
وبتنا بنهْى المستدير ولم يكُنْ ... بنا الخوفُ إلا رَغْبَةً وتحَزُّما
أطعْنَاك حتى أسْلَمَ الناسُ كلُّهم ... وحتى صَبحْنا الجمعَ أهلَ يلَمْلَمَا[5]
يَضِلّ الحِصانُ الأبلَقُ الوَرْدُ وسْطه ... ولا يَطْمَئنّ الشيخُ حتى يُسَوّما[6]

---

(١) فى هذا البيت خرم .

(٢) تماروا بنا : شكوا فينا . والغاب (هنا) : الرماح .

(٣) رجلا : مشاة . والأتى : السيل يأتى من بلد إلى بلد ودفاعه : ما يدفعه أمامه . والعرمرم : الكثير الشديد .

(٤) تسلم : انتسب إلى سليم ، كما تقول : تقيس الرجل ، إذا اعتزى إلى قيس .

(٥) يلملم ، أو ألملم : ميقات الحاج القادم من جهة اليمن ، وهو جبل على مرحلتين من مكة .

(٦) الأبلق : الذى فيه بياض مع سواد . والورد : المشرب حمرة . واجتماع هذه الألوان فى الحصان مما يزيده ظهورا ، وهو مع ذلك يغيب فى غمرة هذا الموضع وزحمته . ويسوم : يعلم نفسه أو حصانه بعلامة يعرف بها .

سَمَوْنا لهم وِرْد القَطازَفَّهُ ضُحًى ... وكلٌّ تراهُ عن أخيه قَدَ أُحْجَما[1]
لدُنْ غُدْوَةً حتى تركْنا عشيَّة ... حُنَيناً وقد سالَتْ دَوافِعُه دما[2]
إذا شئْتَ مِن كلٍّ رأيتَ طِمِرَّة ... وفارسَها يهوِى ورُمحاً مُحطَّما[3]
وقد أحْرَزَت منَّا هوازنُ سَرْبَها ... وحُبَّ إليها أن نَخيبَ ونُحْرَما[4]

قال ابن إسحاق :

وقال ضَمْضَم بن الحارث بن جُشَمَ بن عبْد بن حَبِيب بن مالك بن عوف ابن يَقَظة بن عُصَيَّة السُّلَمِيّ في يوم حنين ، وكانت ثقيف أصابت كنانة ابن الحكم بن خالد بن الشَّرِيد ، فقَتَل به مِحْجَنا وابن عمّ له ، وهما من ثقيف :

شعر ضمضم في يوم حنين

نحن جَلَبْنا الخيلَ من غير مَجْلَب ... إلى جُرَشٍ[5] من أهل زيّان[6] والفَمِ[7]
نُقتِّل أشبال الأسود ونبتغى ... طواغِيَ كانَتْ قبلنا لم تُهَدَّمِ[8]
فإن تَفْخَروا بابن الشَّريد فإنني ... تركْتُ بوجٍّ مأتَمًا بعدَ مأتمِ[9]
أبأتُهُما بابن الشَّرِيد وغرَّه ... جِوارُكمُ وكان غيرَ مُذمَّمِ[10]

---

(١) سمونا لهم : نهضنا لقتالهم . والقطا : طائر معروف ، وزفه الضحى : أسرع به الضحي وساقه سوقا شديدا . وأحجم عن أخيه : شغل عنه .

(٢) دوافعه : مجارى السيول فيه .

(٣) طمرة : فرس سريعة وثابة . ومحطم : مكسر .

(٤) السرب (بفتح السين) : المال الراعى .

(٥) جرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة .

(٦) كذا في ا . وهو اسم جبل . وفى م ، ر : « ريان » بالراء المهملة .

(٧) الفم : موضع .

(٨) طواغى : جمع طاغية ، وأراد بها هاهنا البيوت التى كانوا يتعبدون فيها في الجاهلية ويعظمونها سوى البيت الحرام .

(٩) وج : موضع بالطائف . والمأتم : جماعة النساء يجتمعن في الخير والشر ، وأراد به هنا اجتماعهن في الحزن .

(١٠) أبأتهما بابن الشريد : جعلتهما بواء ، أو سواء به ، أى قتلتهما به .

تُصيب رجالاً من ثقيف رماحُنا　　وأسيافُنا يَكلِمْنَهُمْ كلَّ مَكْلِمِ[1]

وقال ضَمْضَم بن الحارث أيضا :

أبْلغْ لديْكَ ذَوِى الحلائل آيةً　　لا تأْمَنَنَّ الدَّهْـــرَ ذَاتَ خِمارِ[2]

بعـــد التى قالت لجارة بيتها　　قد كنتُ لو لَبِثَ الغَزِىُّ بِدارِ[3]

لما رَأتْ ر.ٰ تسفَع ونَه　　وَغْرُ المَصِيفَةِ والعِظام عوارِى[4]

مُشُطَ العِظام تراه آخِرَ لَيْلِه　　مُتَسَرْبِلا فى دِرْعِه لِغِــوارِ[5]

إذ لا أزالُ على رِحالةِ نَهْدةٍ　　جرداء تُلْحِقُ بالنِّجاد إزارى[6]

يوما على أثَرِ النِّهـــابِ وتارة　　كُتِبَتْ مُجاهِدَةً مع الأنْصارِ[7]

وزُهاء كلَّ خميلة أزهقتُها　　مَهْلاً تمهَّـــلُه وكلَّ خَبارِ[8]

كيما أُغَيِّرَ ما بها من حاجـــة　　وتُودُّ أنى لا أؤوب فَجَـــارِ[9]

شعر أبى خراش فى رثاء ابن العجوة

قال ابن هشام : حدثنى أبوعبيدة ، قال : أُسِرَ زُهير بن العَجْوَة الهُذَلِىُّ يوم حُنين ، فكُتِف ، فرآهُ جميل[10] بن مَعْمَر الجُمَحِىُّ، فقال له : أأنت الماشى لنا بالمغايِظ ؟ فضرب عنقه ؛ فقال أبوخِراش[11] الهذلى يَرْثيه ، وكان ابن عمه :

---

(١) يكلمنهم : يجرحنهم .

(٢) الحلائل : جمع حليلة ، وهى الزوجة . وآية : علامة .

(٣) الغزىّ : جماعة القوم الذين يغزون .

(٤) تسفع لونه : أى غيره إلى السفعة ، وهى سواد بحمرة . والوغر : شدة الحر . والمصيفة : الأرض اشتد حرها .

(٥) مشط العظام : قليل اللحم الذى على العظام . ولغوار : أى للإغارة .

(٦) الرحالة : هنا : السرج . ونهدة : غليظة ، يعنى فرسا . وجرداء : قصيرة الشعر . والنجاد : حمائل السيف .

(٧) النهاب : جمع نهب ، وهو مايغنم وينهب .

(٨) خميلة : رملة طيبة ينبت فيها شجر . يريد أرضا مزروعة لينة . والخبار : أرض لينة التراب.

(٩) لا أؤوب : لا أرجع . وفجار : يعنى الفاجرة . وهو معدول عنه ، وأكثر مايستعمل فى النداء .

(١٠) هو غير جميل بن معمر العذرى ، صاحب بثينة ، الشاعر المعروف .

(١١) اسمه خويلد بن مرة ، وكان شاعرا إسلاميا . مات فى خلافة عمر من حية نهشته .

عَجَّفَ[1] أضيافُ جميلُ بن مَعْمَرٍ بذى فَجَرٍ تأوى إليه الأرامل[2]
طَويل نِجَاد[3] السّيف[4] ليس بِجَيْدر[5] إذا اهتز واسترْخَتْ عليه الحمَائل[6]
تكادُ يَدَاه تُسْلِمانِ إزارَه[7] من الجُود لما أذْلَقَتْهُ[8] الشمائل[9]
إلى بيته يأوى الضَّرِيكُ[10] إذا شَتَا ومُسْتَنْبِح[11] بالِى الدَّرِيسَيْنِ عائل[12]
تروّح مقْرُوراً[13] وهبّت عشيّة[14] لهـا حــدَبٌ تحتثّه فيُوائل[15]

---

(١) كذا فى الأصول . وعجف (بالتضعيف) : أضعف وهزل . وفى ديوان أشعار الهذليين (المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٦ أدب ش) : « فجع »

(٢) الفجر (بتحريك الجيم) : الجود والكرم . والأرامل: المحتاجون؛ الواحد : أرمل وأرملة .

(٣) النجاد : حمائل السيف .

(٤) فى ديوان الهذليين : « البز » وهو السلاح . ويريد به هنا السيف خاصة .

(٥) كذا فى الديوان والجيدر : القصير . وفى م ، ر : « بحيدر » بالحاء المهملة . وفى ا : « بخيذر » ، (بخاء وذال معجمتين) ، وهما تصحيف .

(٦) الحمائل : جمع حمالة ، وهى علاقة السيف ؛ ويكنى بطولها عن طول القامة .

(٧) فى الديوان : « رداءه » .

(٨) كذا فى الأصول . والشمائل : رياح الشمال الباردة ، ومعها القحط . وأذلقته : جهدته وأحنته . يصفه بالجود مع الجدب وذلك حين تهيج الشمال شتاء . وفى الديوان : « لما استقبلته الشمائل » . وهى بمعناها . وموضع هذا البيت فى الديوان بعد بيته : « تروح مقرورا » .

(٩) قال السهيلى: «يريد أنه من سخائه يريد أن يتجرد من إزاره لسائله ، فيسلمه إليه . وألفيت بخط أبى الوليد الوقشى : « الجود (هاهنا) ، وعلى هذه الرواية ، وبهذه الرتبة : السخاء . وكذلك فسره الأصمعى والطوسى . وأما على ما وقع فى شعر الهذلى ، وفسره فى الغريب المصنف ، فهو الجوع » . ولم نجد هذه الرواية فى ديوان الهذليين الذى أشرنا إليه.

(١٠) كذا فى الأصول . والضريك : الفقير . وفى الديوان : « الغريب » .

(١١) كذا فى الأصول . والمستنبح : الطارق ليلا ، يقع فى حيرة فينبح ، فتنبحه الكلاب ، فيقصد موضعها . وفى الديوان : « ومهتلك » وهو بمعنى المستنبح .

(١٢) الدريسان : الثوبان الخلقان ؛ يريد رداءه وإزاره . والعائل : الفقير .

(١٣) المقرور : الذى أصابه القر ، وهو البرد .

(١٤) فى الديوان : « وراحت عشية » .

(١٥) الحدب : تراكب الريح فى هبوبها كما يتراكب الماء فى جريه ، وذلك إذا اشتدت . قال السهيلى : « والخدب (بالخاء المعجمة) أشبه بمعنى البيت ، لأنهم يقولون ريح خدباء ، كأن بها خدبا ، وهو الهوج » . وتحتثه : تسوقه سوقا سريعا . ويروى : « تجتثه » بالجيم ، أى تقتلعه من الأرض . ويوائل : يطلب موئلا ، وهو الملجأ .

فمـا بالُ أهلِ الدّارِ لم يَتصدّعوا(١) وقد بانَ منها اللَّوذَعيُّ الحُلاحِل(٢)
فأقسِم لو لاقيتَه غـيرَ مُوثَق لآبك بالنَّعْفِ الضِّبَاعُ الجيائل(٣)
وإنكَ، لو واجَهْته إذ(٤) لَقيتَه فنازلتـــه أو كنتَ ممَّن ينازل
لظلَّ جميلٌ(٥) أفحشَ القومِ صِرْعَة(٦) ولـكنَّ قِرْنَ الظَّهْرِ للمرءِ شاغل(٧)
فليْسَ كعَهْدِ الدار يا أمَّ ثابتٍ(٨) ولكنْ أحاطَتْ بالرِّقابِ السَّلاسِل(٩)
وعاد الفتى كالشيْخ ليس بفاعل(١٠) سوَى الحَقِّ شيئاً واستراح العواذِل(١١)
وأصبح إخوانُ الصَّـفاء كأنّمـا أهالَ عليْهمْ جانِبَ التّرْبِ هائل(١٢)
فلا تحْسبي أنِّي نسيت ليالياً بمكّةَ إذ لَمْ نَعْـــد عمّا نحاول(١٣)
إذ الناسُ ناسٌ والبـــلادُ بغرة(١٤) وإذْ نحن لا تثْنى علينا المداخل(١٥)

---

(١) لم يتصدعوا : لم يتفرقوا . وفى الديوان : « لم يتحملوا » . والتحمل : الرحيل .
(٢) اللوذعى : الحديد البين اللسان . والحلاحل : السيد .
(٣) كذا فى الأصول . وآبك : رجع إليك وزارك . والنعف : أسفل الجبل . والضباع جمع ضبع ، وهى من السباع . والجيائل : من أسماء الضباع ؛ الواحد : جيئل . ورواية هذا البيت فى الديوان :

فوالله لو لاقيته غير موثق لآبك بالجزع الضباع النواهل

والجزع : منعطف الوادى والنواهل : المشتهيات للأكل كما تشتهى الإبل الماء .
(٤) كذا فى الديوان وفى الأصول : «أو» .
(٥) فى الديوان : « أسوة » .
(٦) كذا فى الأصول . والصرعة (بكسر الصاد المهملة) : هيئة الصرع . وفى الديوان : «تلة» ، وهى أيضا اسم للهيئة من تله يتله ، إذا صرعه .
(٧) قرن الظهر هو الذى يأتيه من وراء ظهره من حيث لايراه . قال السهيلى : «قرن (بالقاف) جمعه أقران ، ويروى : (ولـكن أقران الظهور مقاتل) . ومقاتل : جمع مقتل (بكسر الميم ، مثل محرب ، من الحرب) ، أى من كان قرن ظهر فإنه قاتل وغالب» .
(٨) فى الديوان : « يا أم مالك » .
(٩) يريد أن الإسلام أحاط برقابنا ، فلا نستطيع أن نعمل شيئا .
(١٠) فى الديوان : « كالكهل ليس بقائل » . يقول : رجع الفتى عما كان عليه من فتوته وصار كأنه كهل .
(١١) العواذل : اللوائم من النساء . واستراح العواذل ، لأنهن لايجدن مما يعذلن فيه سوى العدل ، أى سوى الحق .
(١٢) أهال : صب .
(١٣) لم نعد : لم يمنعنا شىء . وروايه هذا البيت فى الديوان .

ولم أنس أياما لنا ولياليا بحلية إذ نلقى بها من نحاول

(١٤) كذا فى . والغرة : الغفلة . وفى سائر الأصول : « بعزة » .
(١٥) لاتثنى : لاتعطف (بالبناء للمجهول فيهما) . ويروى : « لاتبنى » . ولم يرد هذا البيت فى ديوان أشعار الهذليين .

شعر ابن عوف في الاعتذار من فراره

قال ابن إسحاق :

وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره :

منعَ الرُّقادَ فما أُغمِّضُ ساعةً … نَعَمٌ بأجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُخَضْرَمُ (١)
سائلْ هوازِنَ هل أَضُرُّ عدوَّها … وأُعِينُ غارِمَها إذا ما يَغْرَمُ
وكتيبةٍ لبَّسْتُها بكتيبة … فِئَتَين منها حاسرٌ ومُلأَّمُ (٢)
ومُقَدَّمٍ تعيا النفوسُ لِضيقه … قَدَّمتُه وشُهودُ قومِيَ أَعْلَمُ (٣)
فوردْتُه وتركتُ إخواناً له … يَرِدُون غَمْرَته وغمرتُه الدَّمُ (٤)
فإذا انجلتْ غمراتُه أورثنني … مجْدَ الحياة ومجْدَ غُنْمٍ يُقْسَمُ
كلَّفتموني ذنبَ آل محمد … واللهُ أعلم مَنْ أعقُّ وأظلمُ
وخذلتموني إذ أقاتلُ واحداً … وخذلتموني إذ تقاتل خَثْعَمُ
وإذا بنيتُ المجْدَ يهدم بعضُكم … لا يستوى بانٍ وآخرُ يهدمُ
وأقبَّ مِخْماصِ الشِّتاءِ مسارعٍ … في المجْدِ يَنْمِي للعُلاَ مُتَكَرِّمُ (٥)
أكْرَهت فيهِ أَلَّةً يَزَنِيَّةً … سَحْماءَ يقدُمُها سِنانٌ سَلْجَمُ (٦)
وتركت حَنَّتَه تَرُدُّ وَلِيَّه … وتقولُ ليسَ عَلى فُلانَةَ مَقدمُ (٧)
ونصبتُ نَفْسي للرِّماح مُدَجَّجاً … مثلَ الدَّرِيةِ تُسْتَحَلُ وتُشْرَمُ (٨)

---

(١) النعم : الإبل . أو كل ماشية أكثرها الإبل . وأجزاع الطريق : جمع جزع ، وهو ما انعطف منه . ومخضرم : صفة للنعم ، وهو الذى قطع من أذنه ، ليكون ذلك علامة له .

(٢) الكتيبة : الجيش المجتمع . والحاسر : الذى لا درع عليه . والملأم : الذى لبس اللامة ، وهى الدرع .

(٣) مقدم : يعنى موضعا لا يتقدم فيه إلا الشجعان .

(٤) الغمرة : الشدة ، والماء الكثير يغمر .

(٥) الأقب : الضامر الخصر . والخماص : الضامر البطن .

(٦) الألة : الحربة . واليزنية ، المنسوبة إلى ذى يزن ، وهو ملك من ملوك حمير . وسحماء : سوداء العصا . وسنان سلجم : أى طويل .

(٧) حنته : يعنى زوجته ، سميت بذلك لأنها تحن إليه ويحن إليها .

(٨) المدجج : الكامل السلاح . والدرية : الحلقة التى تنصب فيتعلم عليها الطعن ، أصله : دريئة ، سهلت الهمزة ، ثم أدغمت الياء فى الياء . وتستحل : من الحل ، ويروى : تستخل (بالخاء المعجمة) ، وهو من الخلال ، وهو أظهر فى المعنى . وتشرم : تقطع . (راجع السهيلى) .

شعر لهوازنى يذكر إسلام قومه

قال ابن إسحاق :

قال قائل فى هوازن أيضا ، يذكر مسيرَهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد إسلامه

أذْكُرْ مسيرَهمُ للناس إذ جَمَعُوا ... ومالكٌ فوقَه الراياتُ تَخْتَفِقُ
ومالك مالكٌ ما فوقَه أحــدٌ ... يومَ حُنَيْن عليــه التاجُ يأتَلِق[1]
حتى لقُوا الباسَ حينَ الباس يُقدُمُهم ... عليهمُ البَيْضُ والأبْدان والدَّرَق[2]
فضارَبُوا الناسَ حتى لم يرَوْا أحداً ... حوْلَ النَّبِى وحَتَّى جَنَّــهُ الغَسَق[3]
ثُمّتَ نُزِّل جبريلٌ بنصرهمُ ... مِنَ السماء فمهزوم ومُعْتَنَق[4]
منّا ولو غــيرُ جبريل يقاتلنا ... لمَنَّعَتْنا إذَنْ أسيافُنا العُتُق[5]
وفاتنا[6] عُمَر الفاروق إذ هُزِمُوا ... بطعنةٍ بلَّ منها سَرْجَه العَلَق[7]

شعر جشمية فى رثاء أخويها

وقالت امرأة من بنى جُشَم ترثى أخوين لها أُصيبا يوم حنين :

أعيْنَىَّ جُــودا على مالكٍ ... مَعاً والعــلاء ولا تَجْمُدَا[8]
هما القــاتلان أبا عامر ... وقد كان ذَا هَبَّــةٍ أربدا
هما تركاهُ لدى مُجْسَــد ... ينوء نزيفا وما وُسِّــدا[9]

شعر أبى ثواب فى هجاء قريش

وقال أبو ثواب زيدُ بن صُحَار ، أحد بنى سعد بن بكر :

ألَا هَلْ أتاكَ أنْ غلبَتْ قريشٌ ... هَوازنَ والخطوب لها شُرُوطُ

---

(١) يأتلق : يلمع .
(٢) البأس : الشدة والشجاعة . والبيض : جمع بيضة ، وهى المغفر ، والأبدان (هنا) : جمع بدن ، وهى الدرع . والدرق : جمع درقة ، وهى الترس من جلد بلا خشب ولا عقب
(٣) جنه : ستره . والغسق : الظلمة، يعنى ظلمة الغبار .
(٤) معتنق : أسير .
(٥) العتق (بوزن عنق) : جمع عتيق ، وهو النفيس
(٦) كذا فى م ، ر . وفى ا : « وفاتنى » .
(٧) العلق (بالتحريك) : الدم .
(٨) لاتجمدا : لاتبخلا بالدموع .
(٩) المجسد : الذى صبغ بالجساد ، وهو الزعفران ، والمراد أن دمه صبغ ثوبه بمثل لون =

وكنّا يا قريش إذا غَضِبْنا يجىء من الغِضاب دمٌ عَبيط(١)
وكنّا يا قريش إذا غَضِبْنا كأنَّ أنُوفَنا فيها سَعوط(٢)
فأصبَحْنا تُسَوِّقُنا قُرَيشٌ سِياقَ العِير يحْدُوها النَّبيط(٣)
فلا أنا إن سلتُ الخَسفَ آبٍ ولا أنَا أنْ ألينَ لهُمْ نَشيط(٤)
سَيُنْقَلُ لحمُها فى كلِّ فَجٍّ وتكتَب فى مسامعها القُطوط(٥)

ويروى «الخطوط» وهذا البيت فى رواية ابن سعد(٦)

قال ابن هشام : ويقال أبو ثواب زياد بن ثواب . وأنشدنى خلف الأحمرقوله: «يجىء من الغضاب دمعبيطُ»،وآخِرَها بيتاً عن غيرابن اسحاق.

شعر ابن وهب فى الرد على أبى ثواب

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بنى تميم ، ثم من بنى أسيِّد ، فقال :

بشرط الله نضرب من لَقِينا كأفضل ما رأيتَ من الشروط
وكنا يا هوازنُ حينَ نلْقَى نَبُلُّ الهامَ من عَلَق عَبيط(٧)

= الزعفران . وينوء : ينهض متثاقلا لإعيائه والنزيف : الذى سال دمه حتى ضعف . وقد سبقت هذه الأبيات ، بشىء من الخلاف فى صفحة (١٠٠) من هذا الجزء . منسوبة إلى
١ رجل من جشم لا امرأة .

(١) الدم العبيط : الطرى .

(٢) السعوط (بفتح السين) : الدواء يوضع فى الأنف فيهيجه . يريد : تحمى أنوفنا .

(٣) النبيط : جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق ، ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم . (عن المصباح) .

٢ (٤) الخسف : الذل . وآب : اسم فاعل ، من أبى الخسف ، إذا امتنع من قبوله .

(٥) القطوط : جمع قط ، وهو الصك ، أو الكتاب الذى تحصى فيه الأعمال . وهذا البيت ساقط من (ا) .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ا .

(٧) الهام : الرءوس . والعلق : الدم . والعبيط : الطرىّ .

بجَمعكُمُ وجمـــع بنى قَسِيٍّ نَحُكُّ الــبَرْكَ كالوَرَقِ الخَبِيطِ[1]
أصَــبْنَا من سراتِكُمُ ومِلْنا بِقتـــل فى المُبَايِنِ والخَلِيطِ[2]
به المُلْتاثُ مفـــترِشٌ يَدَيْهِ يَمُجُّ المَوْتَ كالبَــكْرِ النَّحِيطِ[3]
فإن تلك قيسُ عَيْــلاَنٍ غِضابًا فــلا يَنفَكُّ يُرْغِمُهُم سَعُوطِى

شعر خديج في يوم حنين

وقال خَدِيج بن العوجاء النَّصْرى :

لَمَّا دنونا من حنينَ ومائِه رأينا سواداً منكرَ اللونِ أَخْصَفَا[4]
بِمَلْمومَـــةٍ شهباءَ لو قَذَفُوا بهـــا
شَمارِيخَ[5] من عُزْوَى[6] إذن عَادَ صَفْصَفَا[7]
ولو أنَّ قومى طاوعَتْنِى سَرَاتُهم إذَنْ ما لقينا العَارِضَ المُتَــكشِّفَا[8]
إذن ما لقَيـــنا جُنْدَ آلِ محمّد ثمانينَ ألفاً واسْتَمَدُّوا بِخِندِفا[9]

---

(١) بنو قسىّ : يعنى ثقيفا أهل الطائف . والبرك : كلــكل البعير وصدره الذى يدوك به الشىء تحته ؛ يقال : حكه ، ودكه ، وداكه ببركه ، وهذا على تشبيه شدة الحرب بحك البعير صدره بما تحته . والورق الخبيط : الذى يضرب بالعصا ليسقط ، فتأكله الماشية .

(٢) سراتكم : أشرافكم ، وأصل السراة أوسط القوم نسبا . والباين : المفارق ، وهو المنهزم . والخليط : الذى لايزال فى المعركة يخالط الأقران .

(٣) الملتاث (هنا) : اسم رجل . والبكر : الفتى من الإبل . والنحيط : الذى يردد النفس فى صدره حتى يسمع له دوىّ .

(٤) سوادا : يعنى أشخاصا على البعد . والأخصف : الذى فيه ألوان .

(٥) ملمومة : أى كتيبة مجتمعة ، وشهباء : عظيمه كثيرة السلاح . والشماريخ : أعالى الجبال ؛ واحدها : شمراخ .

(٦) كذا فى الأصول . قال أبو ذر : « وعروى (هنا) اسم رجل ، يروى بالدال والراء » .

(٧) الصفصف : المستوى من الأرض .

(٨) العارض (هنا) : السحاب . والمتكشف : الظاهر .

(٩) خندف : قبيلة .

ذكر غزوة الطائف بعد حنين

في سنة ثمان

فلول ثقيف

ولما قَدِم فَلُّ(١) ثقيفٍ الطائفَ أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها ، وصَنعوا الصنائع للقتال .

المتخلفون عن حنين والطائف

ولم يشهد حُنَيْنا ولا حِصارَ الطائف عُروةُ بن مسعود ، ولا غَيْلان بن سَلَمَة ، كانا بجُرَش(٢) يتعلمان صنعة الدَّبّابات(٣) والمَجانيق(٤) والضُّبُور(٥) .

مسير الرسول إلى الطائف وشعر كعب

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ؛ فقال كعب بن مالك ، حين أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السيرَ إلى الطائف:

قَضَيْنا من تِهامة كلَّ رَيْبٍ ... وخَيْبَرَ ثم أَجْمَمْنا السُّيوفا(٦)
نُخَيِّرُها ولو نطقتْ لقالت ... قواطِعُهُنّ : دَوْساً أو ثَقيفا(٧)
فلستُ لحاضنٍ إنْ لم تَرَوْها ... بساحـــــة داركم منّا أُلوفا(٨)
ونَنْتَزِعُ العُروش ببطن وَجٍّ ... وتُصْبِحُ دُورُكم منكم خُلُوفا(٩)

---

(١) الفل : الجماعة المنهزمون من الجيش .

(٢) جرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة .

(٣) قال السهيلي : « الدبابة : آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها » . وقال أبو ذر : « الدبابات : آلات تصنع من خشب ، وتغشى بجلود ، ويدخل فيها الرجال ، ويتصلون بحائط الحصن » .

(٤) المجانيق : جمع منجنيق (بفتح الميم وكسرها) ، وهي من آلات الحصار يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها .

(٥) الضبور : مثل رءوس الأسفاط ، يتقى بها في الحرب عند الانصراف . وفي كتاب العين : الضبور : جلود يغشى بها خشب ، يتقى بها في الحرب . (عن السهيلي) . وفي اللسان : الضبر : جلد يغشى خشبا ، فيها رجال تقرب إلى الحصون لقتال أهلها . والجمع ضبور ، قال : وهي الدبابات التي تقرب للحصون ، لتنقب من تحتها .

(٦) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز . والريب : الشك . وأجمنا : أي أرحنا .

(٧) نخيرها : نعطيها الخيرة ، ولو نطقت لاختارت أن تحارب دوسا أو ثقيفا .

(٨) الحاضن : المرأة التي تحضن ولدها ؟ كذا قال أبو ذر . ولعله : لحاصن ، وهي المرأة العفيفة ، كأنه يقول : « لست لرشدة إن لم تروها ... الخ » وهو تهديد لهم . وساحة الدار : وسطها ، أو فناؤها .

(٩) العروش (هنا) : سقوف البيوت . ووج : موضع بالطائف . وخلوف : يريد : دورا تغيب عنها أهلها .

وَيأْتيكم لنا سَرَعانُ خيلٍ ... يُغادر خلْفَه جمعـاً كثيفا[1]

إذا نزلوا بساحتكمْ سمعـتمْ ... لهـا ممّـا أناخ بها رَجيفـا[2]

بأيديهـم قواضب مُرْهَفات ... يُزِرْنَ الْمصْطَلين بها الْحُتُوفا[3]

كأمثال العقائق أخلصَتْهـا ... قُيُونُ الهِنْدِ لم تُضْرَبْ كَتِيفا[4]

تخال جَدِيَّة الأبطـال فيها ... غـداةَ الزحْف جادِيًّا مَدُوفا[5]

أجِدَّهُمُ أليسَ لهمْ نَصِيـحٌ ... مِنَ الأقوام كان بنا عَرِيفـا[6]

يُخَـبِّرُهُمْ بأنا قد جَمَعْنا ... عِتاقَ الخيلِ والنُّجُبَ الطرُوفا[7]

وأنَا قـد أتيناهُم بزحفٍ ... يُحيط بسورِ حِصْنِهم صُفُـوفا[8]

رئيسهم النبيُّ وكان صُـلْبا ... نقيَّ القلبِ مُصْـطَبِراً عَزُوفا[9]

رشيدَ الأمرِ ذو حُكْمٍ وعِلْمٍ ... وحِـلْمٍ لم يكن نَزِقاً خفيفا[10]

نُطيـعُ نبيَّنا ونطيعُ رَبًّا ... هو الرحْمٰنُ كان بنا رَءوفا

---

(1) السرعان : المتقدمون . والكثيف : الملتف . ويروى : « كشيفا » بالشين بدل الثاء ، أى ظاهرا .

(2) «رجيفا» يروى بالراء ، يعنى به الصوت الشديد مع اضطراب ، مأخوذ من الرجفة ويروى : « وجيفا » بالواو بدل الراء ، فمعناه سريع يسمع صوت سرعته .

(3) القواضب : السيوف القواطع ، جمع قاضب . والمرهفات : القاطعة (أيضا). والمصطلون: المباشرون لها من أعدائهم . والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت .

(4) العقائق : جمع عقيقة ، وهى شعاع البرق (هنا) . وكتيف : جمع كتيفة ، وهى صفائح الحديد التى تضرب للأبواب وغيرها . قال السهيلى : «هى صفيحة صغيرة ، وأصل الكتيف : الضيق من كل شىء» .

(5) الجدية : الطريقة من الدم . والزحف : دنو المتحاربين بعضهم من بعض . والجادى : الزعفران . ومدوف : (اسم مفعول من دافه يدوفه) ومعناه مخلوط بغيره .

(6) أجدهم ، أى أجدا منهم ؟ وهو منصوب على المصدر . وعريفا (هنا) : عارفا

(7) عتاق : جمع عتيق ، والنجب : جمع النجيب ، والطروف: جمع طرف (بكسر الطاء) ، وكلها بمعنى الكريمة الأصل من الخيل .

(8) زحف : أى جيش .

(9) كذا فى الأصول : والعزوف : المنصرف عن الشىء زهدا فيه مع إعجابه به . وفى شرح السيرة لأبى ذر : « عروفا » . والعروف : الصابر .

(10) النزق : الكثير الطيش والخفة .

فإن تُلْقوا إِلَيْنا السَّلَمَ نقبل ... ونجعلْكُم لنا عَضُدًا وَرِيفا[1]

وإن تأبَوْا نُجاهدْكم ونصبرْ ... ولا يكُ أمرُنا رَعِشاً ضعيفا[2]

نجالِد ما بقينا أو تُنِيبوا ... إلى الإسلام إذْعانًا مُضِيفا[3]

نجاهد لا نُبالى مَنْ لَقِينا ... أأهلكْنا التِّلادَ أم الطَّرِيفا[4]

وكم من مَعْشَرٍ أَلَبُوا علينا ... صَمِيمَ الجِذْمِ منهم والحَلِيفا[5]

أتوْنَا لا يَرَوْنَ لهم كِفاءً ... فجدَّعْنا المسامِعَ والأُنوفا[6]

بكل مهنَّدٍ لَيْنٍ صقيل ... نسوقُهُمُ بها سَوْقًا عَنِيفا[7]

لِأَمرِ اللهِ والإسلام حتى ... يقومَ الدين معتدلا حَنِيفا

وتُنْسَى اللاتُ والعُزَّى ووَدٌّ ... ونَسْلُبُها القلائدَ والشُّنُوفا[8]

فأمسَوْا قد أقرُّوا واطمأنُّوا ... ومن لا يمتنعْ يقبل[9] خُسُوفا[10]

شعر كنانة فى الرد على كعب

فأجابه كِنانة بن عبد يَالِيلَ بن عَمْرو بن عُمير، فقال:

من كانَ يَبْغِينا يُريد قِتالَنا ... فإنَّا بدارٍ مَعْلَمٍ لا نَرِيمُها[11]

وجدنا بها الآباء من قبل ماترى ... وكانت لنا أطْواؤُها وكُرُومها[12]

---

(1) الريف: المواضع الخصبة التى على المياه. يريد نتخذكم أعوانا على الحرب ونستمد من ريفكم العيش.

(2) رعشا: متقلبا غير ثابت.

(3) نجالد: نحارب بالسيوف. والإذعان: الخضوع والانقياد. ومضيفا: ملجئا.

(4) التلاد: المال القديم، والطريف: المال المستحدث.

(5) ألبوا علينا: جمعوا علينا. والصميم: الخالص. والجذم: الأصل.

(6) جدعنا: قطعنا، وأكثر مايستعمل فى قطع الأنوف.

(7) لين: مخفف من لين (بتشديد الياء) كما يقال: هين وهين، وميت وميت. والعنيف: الذى ليس فيه رفق.

(8) الشنوف: جمع شنف، وهو القرط الذى يكون فى أعلى الأذن.

(9) كذا فى م، ر. وفى ا: «يقتل».

(10) الخسوف: الذل.

(11) معلم: مشهورة. ولا نريمها: لانبرح منها ولا نزول. وفى البيت خرم.

(12) الأطواء جمع طوىّ، وهى البئر؛ جمت على غير قياس: ويروى «أطوادها» (بالدال)، يعنى بها الجبال.

وقد جَرَّبَتْنا قبلُ عمرُو بنُ عامرٍ ... فَأَخْبَرَها ذو رأيِها وحَليمُها[1]
وقَدْ عَلِمَتْ إنْ قالتِ الحَقَّ أننا ... إذا ما أبتْ صُعْرُ الخُدود نُقيمُها[2]
نُقَوِّمُها حَــتَّى يَلِينَ شَرِيسُها ... ويُعْرَف لِلْحَقِّ المُبين ظَلُومها[3]
علينا دِلاصٌ من تُراثِ مُحَرِّق ... كلَوْن السماء زَيَّنتْها نُجومها[4]
نُرَفِّعُها عنَّا بِبِيضٍ صَوارِمٍ ... إذا جُرِّدتْ فى غَمْرة لا نَشِيمُها[5]

شعر شداد فى المسير إلى الطائف

قال ابن اسحاق :

وقال شَدَّادُ بن عارض الجُشَمىُّ فى مَسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف :

لاتَنْصُرُوا اللاتَ إنّ اللهَ مُهلِكُها ... وكيف يُنْصَرُ مَنْ هُو ليس يَنْتَصِرُ
إن التى حُرِّقتْ بالسُّدِّ فاشتعلتْ ... ولم يُقاتَلْ لَدَى أحْجارها هَدَرُ[6]
إن الرسول متى ينزلَ بلادَكُمُ ... يَظْعَنْ وليس بها من أهلها بَشَرُ[7]

الطريق إلى الطائف

قال ابن إسحاق :

فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَخْلَةَ اليَمانِيَة ، ثم على قَرْن ، ثم على المُلَيْح ، ثم على بُحْرَةِ الرُّغاءِ مِنْ لِيَّة[8] ، فابتنى بها مسجداً ، فصلّى فيه .

---

(١) وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر : قال هذا جوابا للأنصار ، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر . ولم يرد أن الأنصار جربتهم قبل ذلك ، وإنما أراد إخوتهم وهم خزاعة ، لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة .

وقال البكرى : إنما أراد بنى عمرو بن عامر بن صعصعة ، وكانوا مجاورين لثقيف ، وكانت ثقيف قد أنزلت بنى عمرو بن عامر فى أرضهم ليعملوا فيها ، ويكون لها النصف فى الزرع والثمر . ثم إن ثقيفا منعتهم ذلك ، وتحصنوا بالحائط الذى بنوه حول حضرهم ، فحاربتهم بنو عمرو ابن عامر ، فلم يظفروا منهم بشىء ، وجلوا عن تلك البلاد (راجع السهيلى) .

(٢) صعر الخدود : هى المائلة إلى جهة تكبرا وعجبا .

(٣) شريسها : شديدها .

(٤) دلاص : دروع لينة . ومحرق (هنا) هو عمرو بن عامر ، وهو أول من حرق العرب بالنار . (عن السهيلى) .

(٥) لانشيمها : أى لانغمدها . يقال : شمت السيف، إذا أغمدته، وشمته، إذا سللته ، فهو من الأضداد .

(٦) هدر : أى باطل لايؤخذ بثأره .

(٧) يظعن : يرحل .

(٨) قرن ، ومليح ، وبحرة الرغاء ، ولية : مواضع بالطائف .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب :

أنه أقاد يومئذ بِبُحْرَةِ الرُّغاء ، حين نزلها ، بدم ، وهو أول دم أُقِيد به في الإسلام ، رَجُلٌ من بني لَيْث قَتَلَ رجلا من هُذَيل ، فقتله به ؛ وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بِلِيَّةَ ، بحصن مالك بن عوف فهُدِم ، ثم سلك في طريق يقال لها الضَّيْقَة ، فلما توجّه فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها ، فقال : ما اسمُ هذه الطريق ؟ فقيل له الضَّيْقَة ، فقال : بل هي اليُسْرَى ، ثم خرج منها على نَخْب ، حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرُج ، وإما أن نُخْرِبَ عليك حائطك ؛ فأبى أنْ يخرج ، فأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بإخرابه .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقُتِل به ناسٌ من أصحابه بالنَّبْل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النَّبْل تنالُهُمْ ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم؛ فلما أُصِيب أولئك النفر من أصحابِهِ بالنَّبْل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة .

قال ابن هشام : ويقال سَبْعَ عَشْرَةَ لَيلة .

قال ابن إسحاق :

ومعه امرأتان من نسائه ، إحداهما أمُّ سَلَمَة بنة أبي أُمَيَّة ، فضرب لهما قُبَّتين ، ثم صلى بين القبتين . ثم أقامَ ، فلما أسلمتْ ثقيف بَنَى على مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية بن وهب بن مُعَتِّب بن مالك مسجدا ، وكانت في ذلك المسجد سارية ، فيما يَزْعمون ، لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سُمِع لها(١) نَقِيض(٢) ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالا شديدا ، وتراموْا بالنَّبْل .

---

(١) كذا في م ، ر . وفي ا : « عليها » .

(٢) النقيض : الصوت .

الرسول أول من رمى بالمنجنيق

قال ابن هشام :

ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمَنْجنيق . حدثني من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رَمَى فى الإسلام بالمَنْجنيق ، رمى أهلَ الطائف .

يوم الشدخة

قال ابن إسحاق :

حتى إذا كان يومُ الشَّدْخَة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دَبَّابَةٍ ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليَخرِقوه ، فأَرْسَلَتْ عليهم ثقيف سِكَكَ الحديد مُحْماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنَّبْل ، فقتَلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

المفاوضة مع ثقيف

وتقدم أبو سفيانَ بن حَرْب والمُغيرة بن شُعْبة إلى الطائف ، فناديا ثقيفا : أنْ أَمِّنونا حتى نكلِّمَكم ، فأمنوهما ، فدعَوَا نساءً من نساء قريش وبنى كِنانة ليخرجْن إليهما ، وهما يخافان عليهن السِّباءَ ، فأبين ، منهن آمنة بنت أبى سفيان ، كانت عند عُرْوَةَ بن مسعود ، له منها داود بن عُروة .

قال ابن هشام :

ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبى سفيان ، وكانت عند أبى مُرَّة بن عُرْوة ابن مسعود ، فولدت له داود بن أبى مُرَّة .

قال ابن إسحاق :

والفِرَاسِيَّةُ بنت سُوَيْد بن عمرو بن ثعلبه ، لها عبد الرحمن بن قارب ، والفُقَيْمِيَّةُ أميمةُ بنت الناسئ أمَيَّةَ بن قَلْع ؛ فلما أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سُفيان ويا مغيرة ، ألا أدلُّكما على خير مما جئتما له ، إن مالَ بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم بينه وبين الطائف، نازلا بوادٍ يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبْعَدُ رِشاءً ، ولا أشدُّ مُؤْنَةً ، ولا أبْعَدُ عمارة من مال بنى الأسود ، وإن محمدا إن قطعه لم يُعْمَرَ أبدا ، فكلِّماه فليأخذْه لنفسه ، أو ليدَعْه لله والرَّحِم ، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يُجْهَل ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم.

رؤيا الرسول وتفسير أبي بكر لها

وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر ، إنى رأيت أنى أُهديَتْ لى قَعْبَةٌ[1] مملوءةٌ زُبْدًا ، فنقرها ديك ، فهَرَاق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظن أنْ تُدْرِكَ منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ارتحال المسلمين وسبب ذلك

ثم إن خُويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السُّلَمِية، وهى امرأة عثمان، قالت : يارسول الله ، أعطنى إنْ فتح الله عليك الطائفَ حُلِيَّ باديةَ بنتِ غَيْلانَ ابن مظعون ، بن سَلَمة ، أوحُلِيَّ الفارعةِ بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف

فذُكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن لى فى ثقيف ياخُويلة ؟ فخرجت خُويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال [يارسول الله[2]] : ماحديث حَدَّثَتْنِيهِ خُويلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ؛ قال : أَوَمَا أُذِنَ لك فيهم يارسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أُؤَذِّن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأَذَّن عُمَرُ بالرحيل .

عيينة وما كان يخفى من نيته

فلما استقلَّ الناسُ نادى سعيد بن عُبَيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألاَ إنَّ الحيَّ مقيم . قال: يقول عيينة بن حِصْن : أجل ، والله مَجَدَةً كِرَاما ؛ فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله ياعُيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : إنى والله ماجئت لأقاتل ثقيفا معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أَتَّطِئُها ، لعلَّها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفا قوم مَنَاكِير[3] .

ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إقامته ممن كان محاصَرًا بالطائف عَبِيدٌ ، فأسْلَمُوا ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عتقاء ثقيف

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُكَدَّم ، عن رجال

---

(١) القعبة : القدح .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) مناكير : ذوى دهاء وفطنة .

من ثقيف ، قالوا :

لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العَبيدِ ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا ، أولئك عُتقاء الله ؛ وكان ممن تكلم فيهم الحارث ابن كَلَدَةَ .

قال ابن هشام : وقد سَمَّى ابن إسحاقَ من نزل من أولئك العَبيد .

إطلاق أبىّ ابن مالك من يد مروان وشعر الضحاك فى ذلك

قال ابن إسحاق :

وقد كانت ثقيف أصابت أهلا لمَرْوَان بن قَيْس الدَّوْسِى ، وكان قد أسلم ، وظاهَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس : أن رسول الله صلى عليه وسلم قال لمروان ابن قيْس : خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيْس تلقاه ، فلقى أُبَىَّ بن مالك القُشَيْرِىَّ ، فأخذه حتى يؤدوا إليــه أهله ، فقام فى ذلك الضَّحاك بن سُفْيَانَ الـكِلاَبى ، فكلم ثقيفا حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أبى بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان فى شىء كان بينه و بين أبى بن مالك :

أتنسَى بلائى يا أُبَىُّ بْنَ مالك ... غداة الرسولُ مُعرِضٌ عنك أشوسُ(١)

يقودك مَرْوان بن قيس بحبلِهِ ... ذليـــلا كما قِيد الذلول المُخَيَّس(٢)

فعادتْ عليكَ من ثقيفٍ عِصابَةٌ ... متى يأتهم مُسْتَقْبِسُ الشَّرِّ يُقْبِسُوا(٣)

فكانُوا هُمُ المولى فعادتِ حلومُهُمْ ... عليك وقد كادَتْ بك النفس تيأس(٤)

قال ابن هشام : «يُقْبِسُوا» عن غير ابن إسحاق .

شهداء المسلمين يوم الطائف

قال ابن إسحاق :

وهذه تسمية من استُشْهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائِف.

---

(١) البلاء (هنا) : النعمة . والأشوس : الذى يعرض بنظره إلى جهة أخرى .
(٢) الذلول : المرتاض . والمخيس : المذلل .
(٣) مستقبس الشر : طالبه .
(٤) الحلوم : العقول .

من قريش

من قريش، ثم من بنى أمية بن عبد شمس : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية، وعُرْفُطَة بن جَنّاب ، حليفٌ لهم ، من الأَسْد بن الغَوْث .

قال ابن هشام : ويقال : ابن حُباب .

قال ابن إسحاق :

ومن بنى تَيْم بن مُرّة : عبد الله بن أبى بكر الصديق ، رُمِىَ بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى مخزوم : عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، مِنْ رَمْية رُمِيَها يومئذ .

ومن بنى عدى بن كعب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدىّ ، وأخوه عبد الله بن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جُلَيحة بن عبد الله .

من الأنصار

واستُشْهد من الأنصار :

من بنى سَلِمَةَ : ثابت بن الجَذَع .

ومن بنى مازن بن النجار : الحارث بن سَهْل بن أبى صعصعة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس . رُقَيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذان بن معاوية .

فجميع من استُشْهد بالطائف من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

شعر في حنين والطائف

فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن الطائف بعد القِتال والحِصار ، قال بُجَير بن زُهَير بن أبى سُلْمَى يذكر حُنَيْنًا والطائف :

كانت عُلالةَ يومَ بطنِ حُنَـيْنٍ … وغداةَ أوطاسٍ ويوم الأبْرَقِ[1]

(١) العلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال . وهى من العلل ، وهو الشرب بعد الشرب ، وأراد به هنا التكرار . وحذف التنوين من «علالة» ضرورة . وأضمر فى كانت اسمها ، وهو القصة . قال السهيلى : وإن كانت الرواية بخفض «يوم» فهو أولى من الضرورة القبيحة بالنصب ، ولكن ألفيته فى النسخة المقيدة . وحنين : رواه أبو ذر مصغرا ، =

حَمِتْ بإغواء هَوَازِنُ جَمْعَها ... فــــبدَّدُوا كالطائر المتمزّقِ[(١)]
لم يَمْنَعُوا منا مَقاما واحــــدا ... إلا جِــداَرَهُمُ و بطنَ الخَنْدق
ولقد تَعَرّضْـــنا لكيما يَخرُجُوا ... فتحصّـــنوا منا بباب مُغْلق
ترتدُّ حَسْرانا إلى رَجْرَاجــــةٍ ... شَهْبَاءَ تَلْمَعُ بالمنايا فَيْلَق[(٢)]
مَلْمومةٍ خَضْراء لو قَذَفوا بها ... حَضَـــنًا لظَلّ كأنه لم يُخْلَق[(٣)]
مَشْىَ الضّرَاءِ على الهَرَاسِ كأنّنا ... قُدْرٌ تَفرّقُ فى القياد وتلتقى[(٤)]
فى كل سابغة إذا ما استَحْصنت ... كالنِّهْيِ هَبّتْ ريحُه المترقرق[(٥)]
جُدُلٌ تَمَسُّ فُضُولُهُنّ نِعالَنا ... من نَسْج داودٍ وآلِ مُحَرِّق[(٦)]

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

و إنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

دعاء الرسول لهوازن

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرفَ عن الطائف على دَحْنا[(٧)] حتّى نزل الجِعْرَانة فِيمَنْ معه من الناس، ومعه من هوازنَ سَبْى كثير،

= ليستقيم الوزن، ورواه السهيلى على الأصل، وقال: إن فيه إقواء، وهو أن ينقص حرفا من آخر القسيم الأول من الكامل، وكان الأصمعى يسميه المقعد. وأوطاس: واد فى ديار بنى هوازن، كانت فيه وقعة حنين. والأبرق: موضع، وأصله الجبل الذى فيه ألوان من الحجارة والرمل.

(١) بإغواء: هو من الغى الذى هو خلاف الرشد.

(٢) حسرى: جمع حسير، وهو المعي الكليل. ويجوز أن يكون جمع حاسر، وهو الذى لادرع عليه. والرجراجة: الكتيبة الضخمة، التى يموج بعضها فى بعض، وهى من الرجرجة، أى شدة الحركة والاضطراب. والفيلق: الجيش الكثير الشديد، من الفلق، وهى الداهية.

(٣) ملمومة: مجتمعة. وخضراء: يعنى من لون السلاح. وحضن (بالحاء والضاد): اسم جبل بأعلى نجد.

(٤) الضراء (هنا): الكلاب، أو الأسود الضارية. والهراس: نبات له شوك. وقدر (بضم القاف وسكون الدال) الخيل تجعل أرجلها فى مواضع أيديها إذا مشت؛ الواحد: أقدر. ويروى: «قدر» بضم القاف والدال، وهى الوعول المسنة؛ واحدها: قادر.

(٥) السابغة: الدرع الكاملة. والنهى: الغدير من الماء. والمترقرق: المتحرك.

(٦) جدل: جمع جدلاء، وهى الدرع الجيدة النسج. وآل محرق: يعنى آل عمرو بن هند ملك الحيرة.

(٧) دحنا (بالفتح، ويروى مقصوراً وممدودا): من مخاليف الطائف.

وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظَعَن عن ثقيف : يا رسول الله ، ادعُ عَلَيْهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اهْدِ ثقيفا وأْتِ بهم .

منّ الرسول على هوازن

ثم أتاه وَفْد هوازنَ بالجِعْرَانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَبْي هوازنَ ستة آلاف من الذراريّ والنساء ، ومن الإبل والشاء مالا يُدْرَى ما عدَّتُه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شُعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله ابن عمرو :

أن وفْد هوازنَ أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أَصْلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء مالم يخْفَ عليك ، فامْنُنْ علينا ، مَنَّ الله عليك . قال : وقام رجل من هوازنَ ، ثم أحدُ بنى سعد بن بكر ، يقال له زُهير ، يكنى أبا صُرَد ، فقال : يارسول الله ، إنما فى الحظائر[1] عماتك وخالاتك وحواضنك[2] اللاتى كن يكفُلْنك ، ولو أنَّا مَلَحْنا[3] للحارث بن أبى شِمْر ، أو للنعمان بن المنذِر ، ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته[4] علينا ، وأنت خير المكفولين

قال ابن هشام : ويروى ولو أنا مَالَحْنا الحارث بن أبى شِمْر ، أو النعمان ابن المنذِر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شُعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله ابن عمرو ، قال .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يارسول الله ، خَيَّرْتَنا بين أموالِنا وأحْسَابنا ، بل تَرُدُّ إلينا نساءنا وأبناءنا ،

---

(١) الحظائر : جمع حظيرة ، وهى الزرب الذى يصنع للإبل والغنم ليكفها ، وكان السبى فى حظائر مثلها .

(٢) حواضنك : يعنى اللاتى أرضعن النبى صلى الله عليه وسلم . وقد كانت حاضنته من بنى سعد بن بكر ، من هوازن ، وكانت ظئرا له .

(٣) ملحنا : أرضعنا . والملح: الرضاع . والحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الشام من العرب ، والنعمان بن المنذر ملك العراق من العرب .

(٤) عائدته : فضله .

فهو أحب إلينا ؛ فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صَلّيتُ الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائِنا ، فسأُعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ؛ فلما صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ، قاموا فتكلّموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأما ما كان لى ولبنى عبد المطَّلِب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الأقرعُ بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عُيَيْنة بن حِصْن : أما أنا وبنو فَزَارة فلا . وقال عباس ابن مِرْداس : أما أنا وبنو سُلَيم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : يقول عباس بن مِرْداس لبنى سليم : وَهّنْتُمونى(١) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّا من تمسَّك منكم بحقه من هذا السَّبْى ، فله بكل إنسان ستُّ فرائض ، من أول سَبْى أصيبُه ، فرُدُّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو وَجْزَة يزيد بن عُبيد السعدىّ :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطَى علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه جارية ، يقال لها رَيْطة بنت هِلال بن حَيَّان بن عُمَيْرة بن هِلال بن ناصرة ابن قُصَيَّة(٢) بن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطَى عثمان بن عَفّان جارية ، يقال لها زينب بنت حَيَّان بن عمرو بن حَيَّان ، وأعطَى عمرَ بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عُمَرَ ابنه .

---

(١) وهنتمونى : أضعفتمونى :

(٢) قصية : يروى بفتح القاف وضمها ؛ ورواه ابن دريد بفاء مضمومة . (راجع شرح أبى ذر) .

قال ابن إسحاق: فحدثنى نافع مولى عبدالله بن عُمَر، عن عبدالله بن عُمَرَ، قال: بعثتُ بها إلى أخوالى من بنى جُمَحَ، ليُصْلِحوا لى منها، ويهيئوها، حتى أطوف بالبيت، ثم آتيهم، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها. قال: فخرجت من المسجد حين فَرَغْتُ، فإذا الناس يَشْتَدُّون؛ فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: رَدَّ علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نساءنا وأبناءنا؛ فقلت: تلكم صاحبتُكُمْ فى بنى جُمَح، فاذهبوا فخذوها، فذهبوا إليها، فأخذوها.

قال ابن إسحاق:

وأما عُيَيْنة بن حِصْن فأخذ عجوزا من عجائز هوازِنَ، وقال حين أخذها: أرى عجوزا إنى لأحسِب لها فى الحى نسَبا، وعسى أن يعظُم فداؤها. فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السَّبايا بست فرائض، أبى أن يَرُدَّها، فقال له زهير أبو صُرَد: خذها عنك، فوالله ما فُوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد[1]، ولا دَرُّها بماكد[2]. فردها بست فرائض حينَ قال له زُهير ما قال؛ فزعموا أن عُيَيْنَةَ لقِيَ الأقرع بن حابس، فشكا إليه ذلك، فقال: إنك والله ما أخذتها بيضاءَ غَريرة[3]، ولا نَصَفا وَثيرة[4].

إسلام مالك بن عوف النصرى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن، وسألهم عن مالك بن عوف مافعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبروا مالكا أنه إن أتانى مُسلما رددت عليه أهلَه وماله، وأعطيته مئة من الإبل؛ فأُتِيَ مالكٌ بذلك، فخرج إليه من الطائف. وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يَعْلمُوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال، فيحبسوه، فأمر براحلته فهُيِّئَتْ له، وأمر بفرس له، فأُتِيَ به إلى الطائف، فخرج ليلا، فجلس على فرسه،

(١) بواجد: أى بحزين؛ يريد أن زوجها لايحزن عليها، لأنها عجوز

(٢) الدر: اللبن. والماكد: الغزير.

(٣) الغريرة: المتوسطة من النساء فى السن.

(٤) الوثيرة من النساء: السمينة اللينة.

فركضه ، حتى اتى راحلته حيث أمر بها أن تُحْبَس ، فركبها ، فلَحِق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدركه بالجِعْرانة أو بمكة ، فرد عليه أهلَه وماله ، وأعطاه مِئة من الإبل ، وأسلم فحسنُ إسلامه ؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيت ولا سمعتُ بمثله ... فى الناس كُلِّهم بمثل محمدِ
أوفَى وأعطَى للجزيل إذا اجْتُدِى ... ومتَى تشأْ يخبركَ عما فى غد
وإذا الكتيبةُ عَرَّدَت أنيابُها ... بالسَّمْهَرِىّ وضرب كُلِّ مهنَّد[(١)]
فَكأنه ليثٌ على أشباله ... وسْط الهَباءَةِ خادرٌ فى مَرْصَد[(٢)]

فاستعمله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على من أسْلم من قومه ؛ وتلك القبائل : ثُمالَةُ ، وسَلِمةُ[(٣)] ، وفَهْم، فكان يقاتل بهم ثقيفا ، لايخرج لهم سَرْحٌ إلا أغار عليه ، حتى ضيّق عليهم ؛ فقال أبو مِحْجَن[(٤)] بن حَبيب بن عمرو بن عُمير الثقفى :

هابتِ الأعداء جانبَنَا ... ثُمَّ تغــزونا بنو سَلِمَهْ
وأتانا مالكٌ بِهِــم ... ناقضاً للعهدِ والحُرُمَهْ
وَأَتَوْنا فى مَنازِلنــا ... ولقَدْ كنا أُولِى نَقِمَهْ

قسم الفىء

قال ابن إسحاق :

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها ، ركب ، واتبعه الناس يقولون : يارسول الله ، اقسم علينا فَيْئَنا من الإبل والغنم ، حتى أَلْجئوهُ إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ؛ فقال : أدُّوا على ردائى أيُّها الناس ،

---

(١) عردت أنيابها : قويت واشتدت . والسمهرى : الرمح . والمهند : السيف .

(٢) الهباءة : الغبار يثور عند اشتداد الحرب . والخادر : الأسد فى عرينه ، وهو حينئذ أشد ما يكون بأسا لخوفه على أشباله ؛ يصفه بالقوة . والمرصد : المكان يرقب منه ؛ يصفه باليقظة .

(٣) قال السهيلى : « هكذا تقيد فى النسخة (بكسر اللام) ؛ والمعروف فى قبائل قيس سلمة (بالفتح) . إلا أن يكونوا من الأزد ، فإن ثمالة المذكورين معهم حى من الأزد ، وفهم من دوس ، وهم من الأزد أيضا » .

(٤) أبو محجن : اسمه مالك بن حبيب .

فوالله أنْ لو كان لكم بعدد شجر تِهامَةَ نَعَماً لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جَبانًا ولا كَذّابا ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وَبَرَةً من سَنامه ، فجعلها بين أُصْبُعَيْه ، ثم رفعها ، ثم قال : أيها الناس ، والله مالى من فَيْئكم ولا هذه الوبرة إلا الخُمُس ، والخُمُس مردود عليكم . فأدُّوا الخِياط والمِخْيَط[1] ، فإن الغُـلُول[2] يكون على أهله عارا ونارا وشَنَارا[3] يوم القيامة . قال : فجاء رجل من الأنصار بكُبَّةٍ من خُيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه الـكُبَّة أَعْمَلُ بها بَرْذَعَةَ بَعيرٍ لى دَبِر ؛ فقال : أما نصيبى منها فلك ! قال : أَمَّا إِذ بَلَغَتْ هذا فلا حاجة لى بها . ثم طَرَحَهَا من يده .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أَسْلَمَ عن أبيه :

أن عَقِيل بن أبى طالب دخل يوم حُنين على امرأته فاطمة بنت شَيْبة بن ربيعة ، وسيفه متلطِّخ دما ، فقالت : إنى قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دُونكِ هذهِ الإبرةَ تخيطِينَ بها ثيابَك ، فدفعها إليها ، فسمعَ مُنادِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئاً فليردَّه ، حتى الخِياط والمِخْيَط . فرجع عَقيل ، فقال : ما أرى إبرتَكِ إلا قد ذهبت . فأخذها ، فألقاها فى الغنائم .

عطاء المؤلفة قلوبهم

قال ابن إسحاق :

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلَّفَةَ قلوبُهم ، وكانوا أشرافا من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألَّفُ بهم قومَهم ، فأعطى أبا سُفيانَ بن حرْب مِئة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مِئة بعير ، وأعطى حَكيمَ بن حِزام مئة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كَلَدة ، أخا بنى عبد الدار ، مئة بعير .

قال ابن هشام : نُصَير[4] بن الحارث بن كَلَدة ، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضا .

---

(١) الخياط (هنا) : الخيط ؛ والمخيط : الإبرة .
(٢) الغلول : الخيانة
(٣) الشنار : أقبح العار .
(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « نضير » بالضاد المعجمة .

قال ابن إسحاق :

وأعطى الحارثَ بن هشام مئة بعير، وأعطى سُهَيْلَ بن عمر مئة بعير، وأعطى حُويطِبَ بن عبد العُزّى بن أبي قيس مئة بعيرٍ، وأعطى العَلاء بن جارية الثقفى، حَليف بنى زُهْرة مئة بعير، وأعطى عُيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بَدْر مئة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمىّ مئة بعير . وأعطى مالك بن عوف النّصْرىّ مئة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مئة بعير، فهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى دون المئة رجالا من قريش ، منهم مَخْرَمة بن نوفل الزُّهرىّ ، وعُمَير بن وهب الجُمَحِىّ ، وهشام بن عَمْرو أخو بنى عامر بن لُؤَى ، لا أحفظ ما أعطاهم ، وقد عرفت أنها دون المئة ، وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنْكَثَة ابن عامر بن مخزوم خمسينَ من الإبل ، وأعطى السَّهْمِى خمسين من الإبل .

قال ابن هشام : واسمه عدىّ بن قيس .

شعر ابن مرداس يستقل ماأخذ وإرضاء الرسول له

قال ابن إسحاق :

وأعطى عبّاسَ بن مِرْداس أباعرَ فَسَخِطها ، فعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عباس بن مِرداس يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كانتْ نِهـــابا تلافَيْتُها ... بِكَرّى على المُهْرِ فى الأجْرَعِ (١)
وإيقاظِىَ القـــومَ أنْ يرقُدُوا ... إذا هَجَعَ النّاسُ لم أهْجَـــعِ (٢)
فأصْبح نَهْبِى ونَهْبُ العُبَيْـــدِ بَيْنَ عُـــيَيْنَةَ والأقْرَعِ (٣)
وقَدْ كنتُ فى الحرب ذَاتُدْرَإٍ ... فَلَمْ أُعْـــطَ شيئاً ولم أُمْنَعِ (٤)
إلاّ أفَائلَ أعْطِيـــتُها ... عـــديدَ قوائِمِها الأرْبَعِ (٥)

(١) نهابا : جمع نهب ، وهو ماينهب ويغنم ؛ يريد الماشية والإبل . والأجرع : المكان السهل .

(٢) هجع : نام .

(٣) العبيد : اسم فرس عباس بن مرداس .

(٤) ذا تدرأ : ذا دفع عن قومى .

(٥) الأفائل : الصغار من الإبل ، الواحد أفيل .

وما كان حِصْنٌ ولا حابسٌ يفوقان شَيْخِيَ فى المَجْمَعِ[1]
وما كنتُ دون امرئٍ منهما ومَنْ تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

قال ابن هشام : أنشدنى يونُسُ النحْوىّ :

فما كان حِصْن ولا حابس يفوقان مِرْداسَ فى المَجْمَعِ

قال ابن إسحاق :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به ، فاقطعوا عنى لسانَه ، فأعطوْه حتى رَضِى . فكان ذلك قطعَ لسانه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم :

أن عباس بن مرداس أَتَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت القائل :

« فأصبح نَهْبِى ونهبُ العُبَيْد بين الأقْرع وعُيَيْنة » ؟

فقال أبو بكر الصديق : بين عُيينة والأقرع ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما واحد ؛ فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ » .

توزيع غنائم حنين على المبايعين

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم فى إسناد له ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس ، قال :

بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم ، فأعطاهم يوم الجِعْرانة من غنائم حنين .

من بنى أمية بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وطليق ابن سفيان بن أمية ، وخالد بن أَسيد بن أبى العيص بن أمية .

ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ : شَيْبة بن عثمان بن أبى طَلحة بن عبد العُزّى ابن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السنابل بن بَعْكك بن الحارث بن عُمَيْلة

---

(١) شيخى : يعنى أباه مرداسا . ويروى : « شيخىّ » بتشديد الياء ، يريد أباه وجده . ويروى : « يفوقان مرداس » واستشهدوا به على ترك صرف ماينصرف لضرورة الشعر .

ابن السبّاق بن عبدالدار، وعِكرمة بن عامر بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار.

ومن بنى مخزوم بن يقظة: زهير بن أبى أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام ابن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان ابن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والسائب بن أبى السائب بن عائذ ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بنى عدىّ بن كعب: مطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة، وأبو جهم ابن حذيفة بن غانم.

ومن بنى جُمَحَ بن عمرو: صفوانُ بن أمية بن خلفِ، وأُحَيحة بن أمية ابن خلف، وعمير بن وهب بن خلف.

ومن بنى سَهْم: عدى بن قيس بن حُذافة.

ومن بنى عامر بن لؤى: حُوَيْطِبُ بن عبد العُزَّى بن أبى قيس بن عبدوُدّ، وهشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيِّب.

ومن أفناء القبائل:

من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة: نوفل بن معاوية بن عروة بن صَخْر ابن رَزْن بن يَعْمَر بن نُفاثَةَ بن عدىّ بن الدِّيل.

ومن بنى قيس، ثم من بنى عامر بن صعصعة، ثم من بنى كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة: علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، ولَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

ومن بنى عامر بن ربيعة: خالد بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وحرملة بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو.

ومن بنى نصر بن معاوية: مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع.

ومن بنى سُلَيْم بن منصور: عباس بن مِرْداس بن أبى عامر، أخو بنى الحارث بن بُهْثَة بن سُلَيْم.

ومن بنى غطفان، ثم من بنى فَزَارة: عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر.

ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة: الأقرعُ بن حابس بن عِقَال، من بنى مُجاشع بن دارم.

سئل الرسول عن عدم إعطائه جعيلا فأجاب

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ :

أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عُيينة بن حِصْن والأقرعَ بن حابس مِئَةً مِئَة ، وتركت جُعَيْل بن سُراقة الضَّمْرى[1] ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذى نفس محمد بيدِه لَجُعَيْل بن سُراقة خير من طِلاع الأرض[2] ، كُلهم مثل عُيَيْنة بن حصن والأقرع بن حابس ، ولكنى تَألَّفتهما ليُسْلما ، وَوَكَلْتُ جُعَيْلَ بنَ سُراقةَ إلى إسلامه .

اعتراض ذى الخويصرة التميمى

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو عُبيدة بن محمد بن عَمّار بن ياسِر ، عن مِقْسَم أبى القاسم ، مَوْلَى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال :

خرجت أنا وتَلِيد بن كلاب الليثىّ ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلقًا نعلَه بيده ، فقلنا له : هل حَضَرْتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمىّ يومَ حُنَيْن ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بنى تميم ، يقال له ذو الخُوَيْصِرَة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يا محمد ، قد رأيتُ ماصنعتَ فى هذا اليوم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت ؛ قال : فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ! فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، ألا أقتلُه ؟ فقال : لا ، دَعْه ، فإنه سيكون له شِيعة يتعمَّقون فى الدين[3] حتى يخرجوا منه كما يخرج السَّهْمُ من الرَّمِيَّة[4] ، يُنْظر فى النَّصْل[5] ، فلا يوجد شىء ، ثم فى القِدْح[6] ، فلا يوجد شىء ، ثم فى الفُوق[7] ، فلا يوجد شىء ، سبق الفَرْثَ[8] والدَّمَ .

---

(1) قال السهيلى : « نسب ابن إسحاق جعيلا إلى ضمرة ، وهو معدود فى غفار لأن غفارا هم بنو مليل بن ضمرة » .

(2) طلاع الأرض : ما يملأها حتى يطلع عنها ويسيل .

(3) يتعمقون فى الدين : يتتبعون أقصاه .

(4) الرمية : الشىء الذى يرمى .

(5) النصل : حديد السهم .

(6) القدح : السهم .

(7) الفوق : طرف السهم الذى يباشر الوتر .

(8) الفرث : مايوجد فى الكرش .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن على بن الحُسين أبو جعفر بمثل حديث أبى عُبيدة ، وسماه ذا الخُوَيْصِرَة .

شعر حسان فى حرمان الأنصار

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن أبيه بمثل ذلك .

قال ابن هشام :

ولما أعطَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما أعطَى فى قريش وقبائلِ العرب ، ولم يعطِ الأنصارَ شَيْئاً ، قال حسَّان بن ثابت يعاتبه فى ذلك :

زادت همومٌ[1] فماء العين منحدِرُ ... سَــحًّا إذا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَرُ[2]

وَجْداً بشمَّاء إذ شمَّاء بَهْكَنَةٌ ... هَيْفاء[3] لادَنَسٌ[4] فيها ولاخَوَرُ[5]

دَعْ عنك شمَّاء إذ كانت مودَّتُها ... نَزْراً وشرُّ وِصالِ الواصلِ النَّزِرُ[6]

وأْتِ الرسول فقل يا خير مؤتَمَنٍ ... للمؤمنين إذا ما عُدِّدَ[7] البَشَر

علامَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْى نازحةٌ ... قُدَّامَ[8] قومٍهُمُ آوَوْا وهُمْ نَصَرُوا

سَمَّاهُمُ اللهُ أنصاراً بنَصْرِهِمِ ... دِينَ الهُدَى وعَوانُ الحرب تَسْتَعِرُ[9]

وسارعوا فى سبيل الله واعترفُوا ... للنائبات وما خَامُوا وما ضَجِرُوا[10]

---

(١) كذا فى ديوان حسان طبع أوربة . وفى ا : « زاد الهموم » . وجاءت محرفة فى سائر الأصول .

(٢) السح : الصب . وحفلته : جمعته . ودرر : دارة سائلة .

(٣) الوجد : الحزن ، وشماء : امرأة . وبهكنة : كثيرة اللحم . وهيفاء : ضامرة الخصر .

(٤) كذا فى ا والديوان . وفى سائر الأصول : «ذنن» بالذال المعجمة . قال أبو ذر : « من رواه بالدال المهملة ، فمعناه تطامن بالصدر وغئور ؛ ومن رواه بالذال المعجمة ، فمعناه القذر ، ومنه الذنين ؛ وهو مايسيل من الأنف » .

(٥) الخور : الضعف .

(٦) نزرا : قليلا . والنزر : المقل ، وهو على تقدير مضاف .

(٧) فى الديوان : « عدل » .

(٨) فى الديوان : « أمام » .

(٩) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد مرة . وتستعر : تشتعل وتشتد .

(١٠) اعترفوا : صبروا . خاموا : جبنوا . وما ضجروا : ما أصابهم حرج ولا ضيق .

والناس أَلْبٌ[1] علينا فيك ليس لنا[2]

إلا السيوفَ وأطراف القَنا وَزَرُ[3]

نُجالِدُ الناسَ لا نُبْقِى على أحَدٍ ولا نُضَيِّعُ ماتُوحِى به السُّوَرُ[4]

ولا تَهِرّ جُنَاةُ الحرْب نادِيَنَا ونحنُ حين تَلَظَّى نارُها سُعُرُ[5]

كما[6] رددنا ببدر دون ما طَلَبُوا أهلَ النِّفاق وفينا يُنْزَلُ الظَّفَر

ونحن جُندُك يوم النَّعْف من أُحُد

إذْ حزَّبتْ[7] بَطَرًا أحْزَابَها[8] مُضَر

فما وَنِينا وما خِمْنا وما خَبَرُوا مِنَّا عِثارا وكل الناس قد عَثَرُوا[9]

وجد الأنصار لحرمانهم فاسترضاء الرسول

قال ابن هشام : حدثنى زياد بن عبد الله ، قال حدثنا ابن إسحاق : قال : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبِيد ، عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، قال

لما أعْطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أَعْطَى من تلك العطايا ، فى قريش وفى قبائل العرب ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء ، وجَد هذا الحىُّ من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة[10] حتى قال قائلهم : لَقِى والله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قومَه ، فدخل عليه سعد بن عُبادة ، فقال : يا رسول الله ،

---

(١) ألب : مجتمعون .

(٢) فى الديوان : « ثم ليس لنا » .

(٣) الوزر : الملجأ .

(٤) هذا البيت ساقط من الديوان .

(٥) لاتهر : لا تكره . وجناة الحرب : الذين يخوضون غمارها . ونادينا : مجلسنا . وسعر : نوقد الحرب ونشعلها . ورواية صدر هذا البيت فى الديوان : « ولا يهر جناب الحرب مجلسنا » .

(٦) فى الديوان : « وكم » .

(٧) النعف : أسفل الجبل . وحزبت : جمعت .

(٨) فى الديوان : « أشياعها » .

(٩) ونينا : ضعفنا وفترنا . وخمنا : جبنا .

(١٠) القالة : الكلام الردىء .

إن هذا الحي من الأنصار قد وَجَدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبتَ ، قَسَمْت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحيّ من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ قال : يارسول الله ، ما أنا إلا امرؤ من قومي . قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة[1]. قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة . قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يامعشر الأنصار : ماقالَةٌ بلغتني عنكم ، وجِدَةٌ[2] وَجَدْتموها عَلَيَّ في أنفسكم ؟ ألم آتِكم ضُلَّالاً فهداكم الله ، وعالةً[3] فأغناكم الله ، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، الله ورسوله أَمَنُّ[4] وأفضلُ. ثم قال : ألا تجيبونني يامعشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يارسول الله ؟ لله ولرسوله المَنُّ والفضْلُ. قال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شئتم لقلتم ، فلَصَدَقْتم ولَصُدِّقْتم : أتيْتَنا مُكَذَّبا فصدَّقْناك ، ومخذولا[5] فنَصَرْناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك[6] . أوجَدْتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعَاعَةٍ[7] من الدُّنيا تألَّفْتُ بها قَوْما ليُسْلِموا ، ووكلتكم إلى إسلامِكُمْ ، ألاَ ترضون يامعشر الأنصار ، أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رِحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعْبا[8]

---

(١) الحظيرة : شبه الزريبة التي تصنع للإبل والماشية لتمنعها، وتكف عنها العوادى

(٢) كذا في الأصول . قال أبوذر : «الموجدة : العتاب ؛ ويروى جدة، وأكثر ماتكون الجدة في المال» .

(٣) عالة : جمع عائل ، وهو الفقير .

(٤) أمنّ : من المنة ، وهي النعمة .

(٥) المخذول : المتروك .

(٦) آسيناك : أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .

(٧) اللماعة : بقلة خضراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .

(٨) الشعب : الطريق بين جبلين .

وسَلَكت الأنصارُ شِعْبا ، لسلكتُ شِعْبَ الأنصار . اللَّهُمَّ ارحَم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناءَ أبناءِ الأنصار .

قال : فبكى القوم حتى أخْضَلُوا لِحاهُم[1] ، وقالوا : رضينا برسول الله قَسْماً وحظا . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا

عمرة الرسول من الجعرانة

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان

اعتمار الرسول واستخلافه ابن أسيد على مكة

قال ابن إسحاق :

ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرانة معتمرا ، وأمر ببقايا الفيء فحُبِس بمَجَنَّة ، بناحية مَرِّ الظَّهْران ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عُمْرته انصرف راجعا إلى المدينة ، واستخلف عَتَّاب بن أَسِيدٍ على مكة[2] ، وخَلَّف معه مُعاذَ بنَ جَبَل ، يفقِّه الناس في الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتُّبِع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ببقايا الفيء .

قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أَسْلم أنه قال :

لما استعمل النبي صلى الله عليه وسلم عَتَّابَ بن أسيد على مَكَّةَ رزقه كلَّ يوم درهما ، فقام فخطب الناسَ ، فقال : أيها الناس ، أجاعَ اللهُ كَبِد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فليست بي حاجة إلى أحد

وقت العمرة

قال ابن إسحاق :

وكانت عُمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القَعْدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في بقية ذي القعدة أو في ذي الحِجَّة

---

(١) أخضلوا لحاهم : بلوها بالدموع

(٢) وكان عمر عتاب إذ ذاك نحو عشرين سنة . (راجع شرح المواهب) .

قال ابن هشام :

وقدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة لست ليال بقين من ذى القعدة فيما زعم أبو عمرو المدنى .

قال ابن إسحاق :

وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحُج عليه ، وحجّ بالمسلمين تلك السنة عَتَّابُ بن أَسِيد ، وهى سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شِرْكهم وامتناعهم فى طائفهم ، ما بين ذى القَعدة إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

تخوف بجير على أخيه كعب ونصيحته له

ولما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مُنْصَرَفِهِ عن الطائف كتب بُجَير بنُ زُهير بن أبى سُلْمَى إلى أخيه كعب بن زُهير يُخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رِجالا بمكة ، ممن كان يهجوه و يؤذيه ، وأن من بقى من شعراء قريش ، ابنُ الزِّبَعْرَى وهُبَيْرَة بن أبى وَهْب ، قد هربوا فى كل وجه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة ، فطِرْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبا ، و إن أنت لم تفعل فانجُ إلى نَجائك[1] من الأرض ؛ وكان كعب بن زهير قد قال :

أَلَا أَبلِغا عَنِّى بُجَيْرًا رِسالةً ... فهَلْ لكَ فيما قلتُ وَيْحَكَ هَلْ لَكا ؟[2]

فَبيِّن لنا إنْ كنتَ لستَ بفاعِلٍ ... عَلَى أى شىء غيرِ ذلك دَلَّكا[3]

---

(١) إلى نجائك ، أى إلى محل ينجيك منه .

(٢) أبلغا : خطاب لاثنين ، والمراد الواحد ، أو خطاب لواحد مؤكد بنون توكيد خفيفة ، قلبت ألفا فى الوصل على نية الوقف .

(٣) فبين لنا : أى اذكر لنا مرادك من بقائك على دينك .

عَلَى خُلُقٍ لَمْ أُلْفِ يَوْمًا أَبًا لَهُ ... عَلَيْهِ وَمَا تُلْفِي عَلَيْهِ أَبًا لَكا
فإنْ أنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسف ... ولا قائل إمّا عَثَرْتَ : لَعًا لَكا[١]
سَقَاكَ بها المأمونُ كأساً رَوِيَّةً ... فأنهلَكَ المأمونُ مِنْها وَعَلَّكا[٢]

قال ابن هشام : ويروى «المأمورُ» . وقوله «فبين لنا» : عن غير ابن إسحاق .

وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه :

مَنْ مُبْلِغٌ عنى بُجَيْرًا رسالة ... فهل لكَ فيما قلتُ بالخَيْفِ هل لَكا[٣]
شَرِبت مع المأمون كأساً رَوِيَّةً ... فأنهلَكَ المأمونُ منها وعَلَّكا
وخالفْتَ أسبابَ الهُدَى واتَّبعتَهُ ... على أى شيء وَيْبَ غيرِكَ دَلَّكا[٤]
على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمًّا ولا أبًا[٥] ... عليه ولم تُدْرِكْ عليه أخًا لَكا
فإنْ أنتَ لم تفعل فلستُ بآسف ... ولا قائلٍ إمّا عَثَرْتَ : لَعًا لَكا

قال : وبعث بها إلى بُجَير ، فلما أتتْ بُجيرا كَرِه أن يكتُمَها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع «سقاك بها المأمون» : صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون . ولما سمع : «على خلق لم تُلْفِ أما ولا أبا عليه» قال : أجل ، لم يُلْفِ عليه أباه ولا أمه[٦] .

ثم قال بُجَير لكعب :

مَنْ مُبلِغٌ كعباً فهلْ لكَ فى التى ... تلوم عليها باطلا وهْىَ أحْزَمُ

(١) لعا لك : كلمة تقال للعاثر ، وهى دعاء له بالإقالة من عثرته .
(٢) روية (فعيلة بمعنى مفعلة ، بضم الميم وكسر العين) أى مروية . والنهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثانى . والمأمون : يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت قريش تسميه به وبالأمين قبل النبوة . قال الزرقانى : «وفى رواية غير ابن إسحاق «المحمود» وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم
(٣) الخيف : أسفل الجبل ، ويريد به خيف منى
(٤) ويب غيرك : أى هلكت هلاك غيرك . وهو بالنصب على إضمار الفعل .
(٥) قال السهيلى : «إنما قال ذلك لأن أمهما واحدة ، وهى كبشة بنت عمار السحيمية ، فيما ذكر عن ابن الكلبي» .
(٦) زاد الزرقانى نقلا عن ابن الأنبارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله .

إلى الله (لا العُزّى ولا اللاتِ) وحْدَه فتنجو إذا كان النَّجاءُ وتَسلم
لَدَى يومٍ لا ينجُو وليس بمُفْلِتٍ من الناس إلا طاهرُ القَلْب مُسْلِم
فدينُ زهير وهو لا شيء دينُه ودين أبى سُلْمَى علىّ مُحرَّم

قال ابن إسحاق :

وإنما يقول كعب : «المأمون» ، ويقال : «المأمور» فى قول ابن هشام ، لقول قريش الذى كانت تقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللامية

قال ابن إسحاق :

فلما بلغ كعبا الكتابُ ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف[1] به مَنْ كان فى حاضره[2] من عَدُوّه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شىء بُدًّا ، قال قصيدته التى يمدح فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفَه وإرجاف الوُشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جُهينة ، كما ذُكر لى ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلّى الصبح ، فصلّى مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسولُ الله ، فقم إليه فاستأْمِنْه . فذُكر لى أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جلس إليه ، فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأْمِنَ منك تائبا مسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال : أنا يارسول الله كعب ابن زهير

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة :

أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يارسول الله ، دعنى وعدوَّ الله

---

(١) أرجف به : خاض فى أمره بما يسوءه ويفزعه

(٢) حاضره : حيه .

أَضربْ عنقه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دعه عنك ، فإنه قد جاء تائبا نازعا [عما كان عليه[١]] قال: فغضب كعبٌ على هذا الحى من الأنصار ، لِما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانَتْ سُعادُ فقلبى اليومَ مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكبُولُ[٢]
وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إذْ رحلوا[٣] ... إلا أغَنُّ غَضيضُ الطَّرْفِ مَكْحُول[٤]
هيفاء مُقبِلةً عَجْزاء مُدْبِرةً ... لا يُشْتَكَى قِصَرٌ مِنها ولا طُول[٥]
تَجْلو عَوارضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ ... كأنه مُنْهَلٌ بالرّاحِ مَعْلُول[٦]

---

(١) زيادة عن م . ر .

(٢) بانت : فارقت فراقا بعيدا . وسعاد : اسم امرأة . وقيل (كما فى الزرقانى): هى امرأته وبنت عمه ، خصها بالذكر لطول غيبته عنها ، لهروبه من النبى صلى الله عليه وسلم . ومتبول: أسقمه الحب وأضناه . ومتيم : ذليل مستعبد . ولم يفد : لم يخلص من الأسر ، ويروى : « لم يجز » ، و« لم يشف » . ومكبول : مقيد .

يريد الشاعر أن محبوبته فارقته ، فصار قلبه فى غاية الضنى والسقم والذل والأسر ، لا يجد من قيده فكاكا ، ولا يستطيع من سجنه خلاصا . ورواية عجز هذا البيت فى : « متيم عندها لم يجز مكبول » .

(٣) فى ا : « إذ برزت » .

(٤) الأغن (هنا) : الظبى الصغير الذى فى صوته غنة ، وهى صوت يخرج من الخياشيم ، وغضيض الطرف : فاتره . ومكحول : من الكحل (بتحريك الحاء المهملة) وهو سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال . شبه محبوبته وقت الفراق بالظبى الموصوف بغنة الصوت ، وغض الطرف ، والكحل ، وهى من صفات الجمال .

(٥) هيفاء : صفة مشبهة من الهيف (بالتحريك) وهو ضمور البطن ، ودقة الخاصرة ، ومقبلة : حال . وعجزاء : صفة أيضا ، أى كبيرة العجز ، وهو الردف . ولا يشتكى قصر : أى لا يشتكى الرائى عند رؤيتها قصرا فيها . يريد أن هذه المحبوبة يحسن منظرها فى كل حال ، فإذا أقبلت فهى هيفاء ، وإذا أدبرت فهى عجزاء ، وهى متوسطة بين الطول والقصر . وهذا البيت ساقط فى (ا) .

(٦) تجلو : تصقل وتكشف . والعوارض : جمع عارض أو عارضة ، وهى الأسنان كلها ، أو الضواحك خاصة ، أو هى من الأنياب . والظلم (بفتح الظاء وسكون اللام) : ماء الأسنان وبريقها ، أو هو رقتها وبياضها . والمنهل (بزنة اسم المفعول) : المسقى ، من أنهله ، إذا سقاه النهل (بفتحتين) وهو الشرب الأول . وبالراح : متعلق بمنهل . والراح : الخمر . ومعلول : من العلل (بالفتح) ، وهو الشرب الثانى . يريد أن سعاد إذا ابتسمت كشفت عن أسنان ذات ماء وبريق ، أو ذات بياض ورقة ؛ وكأن ثغرها لطيب رائحته قد سقى الراح مرة بعد مرة .

شُجَّتْ بذى شَبَمٍ من مَاءِ مَحْنِيةٍ   صَافٍ بأبطحَ أَضْحَى وهْوَ مَشْمُولُ(1)
تَنْفِى الرياحُ القَذَى عنهُ وأفرَطَهُ   من صَوْبِ غاديةٍ بيضٌ يَعاليل(2)
فيالَها خُلَّةً لو أنها صَـدَقَتْ   بوعدِها أولوَ أنَ النُّصحَ مقبول(3)
لـكنها خُـلَّةٌ قد سِيط من دمِها   فَجْعٌ وَوَلْعٌ و إخلافٌ وتبديل(4)
فما تدوم(5) على حال تكون بها   كما تَـلَوَّنُ فى أثوابها الغُول(6)
وما(7) تُمَسِّكُ(8) بالعهدالذى زعمت   إلا كما يُمسِكُ المـاء الغرابيل

---

(1) شجت : مزجت حتى انكسرت سورتها ، وهومجاز ، لأن الأصل : فى الشج الـكسر. وذو شبم : ماء شديد البرد . والمحنية (بفتح فسكون فـكسر) : منعطف الوادى ، وخصه لأنماءه أصفى وأبرد . والأبطح : المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصى ، وماء الأباطح عندهم معروف بصفائه . وأضحى : أخذ فى وقت الضحى قبل أن يشتد حر الشمس . والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد ، وهى أشد تبريداً للماء من غيرها .

(2) القذى : مايقع فى المـاء من تبن أو عود أو غيره مما يشوبه ويكدره . وأفرطه : سبق إليه وملأه . والصوب : المطر . والغادية : السحابة تمطر غدوة ، ويروى « سارية » وهى السحابة تأتى ليلا . واليعاليل : الحباب الذى يعلو وجه المـاء . وقيل المراد بالبيض اليعاليل : الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر ، ثم يسيل إلى الأباطح . يريد أن الرياح تزيل القذى عن ذلك الماء الذى مزج به الراح ، حتى لم يبق فيه مايكدره ، وأن ذلك الأبطح ملأته الفقاقيع البيض ، التى نشأت من مطر السحابة الغادية .

(3) الخلة (بالضم):الصديقة ، يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد وغيره . يريد أنها صديقة كريمة ، ولو أنها صدقت فى الوعد، وقبلت النصح، لـكانت على أتم الخلال ، وأكمل الأحوال. ورواية هذا البيت فى ا :

« ويلمها . . . . بوعدها ولوان . . . . . . »

(٤) سيط : أى خلط بلحمها ودمها هذه الصفات المذكورة فى البيت . ويروى : شيط (بالشين المعجمة) وهو بمعناه . والفجع : الإصابة بالمكروه كالهجر ونحوه . والولع والولمان : الـكذب . والإخلاف : خلف الوعد. يريد أن محبوبته متصفة بهذه الأخلاق ، حتى صارت كأنها مختلطة بدمها .

(٥) فى ا : « فما تقوم » .

(٦) الغول : ساحرة الجن، فى زعمهم . يزعمون أن الغول ترى فى الفلاة بألوان شتى ، فتأخذ جانبا عن الطريق ، فيتبعها من يراها ، فيضل عن الطريق فيهلك . يريد أن هـذه المحبوبة لاتدوم على حال تكون عليها ، بل تتغير من حال إلى حال ، فتتلون بألوان شتى، وترى فى صور مختلفة ، كما تتلون الغول فى أثوابها بألوان كثيرة .

(٧) فى ا : « ولا » .

(٨) تمسك ،يروى بفتح التاء ، على أنه مضارع حذفت إحدى تائيه ؛ أو بضم التاء وفتح الميم وكسر السين المشددة . « ولا تمسك » . يشبه تمسكها بالعهدبإمساك الغرابيل المـاء ، مبالغة فى النقض والنـكث وعدم الوفاء بالعهد ، لأن المـاء بمجرد وضعه فى الغربال يسقط منه .

فلا يغرّنْكَ ما مَنَّت ومَا وَعَدَت إنّ الاماني والأحلامَ تضـليلُ(١)
كانتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لهـا مثلا وما مواعيدُها إلا الأباطيـــــل(٢)
أرجو وآمُل أن تدنو مودَّتُها وما إخالُ لدينا منـــكِ تَنْويل(٣)
أمْسَتْ سُعاد بأرض لايُبلِّغها إلا العتاقُ النَّجيبات المراســـيل(٤)
ولن يُبلِّغها إلاّ عُـــــذَافِرة لهـا على الأَيْن إرقال وتَبْغيل(٥)
من كل نَضَّاخة الذفْرى إذاعَرِقت عُرْضَتُها طامس الأعلام مجهول(٦)
ترمى النِّجادَ بعَيْنَىْ مُفردٍ لَهَقٍ إذا توقَّدَتِ الحِزَّانُ والمِيـــــل(٧)

---

(١) مامنت : مامنتك إياه ، وحملتك على تمنيه ، أو ما كذبت عليك فيه . يقول : لاتغتر بمـا حملتك على تمنيه منها ، أو بمـا كذبت عليك فيه من الوصل ، وما وعدتك به من ترك الهجر ، فإن الأماني التي يتمناها الإنسان ، والأحلام التي يراها في منامه سبب في الضلال ، وضياع الزمان .

وهذا البيت متأخر في (ا) عن البيتين التاليين له .

(٢) كانت : صارت . وعرقوب (بضم العين وإسكان الراء وضم القاف) : رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد ، فضرب به المثل في الخلف. والأباطيل : جمع باطل، على غيرقياس .

(٣) التنويل : العطاء ، والمراد به (هنا) : الوصل . يريد أني مع اتصافها بالجفاء وإخلاف الوعد ، وعدم الوفاء بالعهد ، لا أقطع الرجاء من مودتها ، ولا أيأس من وصلها ، بل أرجو وآمل أن تقرب مودتها ، وإن كان في ذلك بعد . ورواية هذا البيت في ا :

أرجو وآمل أن يعجلن في أبد وما إخال لهن الدهر تعجيل

(٤) العتاق : الـكرام ؛ الواحد : عتيق . والنجيبات : جمع نجيبة ، وهي القوية الخفيفة . ويروى : « النجيات » أي السريعات . والمراسيل : جمع مرسال (بالـكسر) وهي السريعة. يريد أن محبوبته صارت بأرض بعيدة، لايوصله إليها إلا الإبل الـكرام الأصول، القوية السريعة.

(٥) العذافرة : الناقة الصلبة العظيمة . والأين : الإعياء والتعب . والإرقال : والتبغيل : ضربان من السير السريع. يقول : لايبلغ تلك الأرض إلا ناقة صلبة عظيمة قوية على السير . ورواية الشطر الثاني في (ا) : « فيها على الأين . . . . » .

(٦) النضاخة: الـكثيرة رشح العرق . والذفرى : النقرة التي خلف أذن الناقة ، وهي أول مايعرق منها . وعرضتها : همتها . وطامس الأعلام : الدارس المتغير من العلامات التي تكون في الطريق ليهتدى بها . يريد أن هذه الناقة كثيرة العرق ، وذلك لا يكون إلا مع اشتداد في السير ، وجهد نفسها فيه ، وأنها عارفة للطريق الدارس الأعلام ، المجهول المسالك ، لـكثرة أسفارها وسلوكها المفازات .

ويروى الشطر الثاني من هذا البيت : « ولاحها طامس . . . . » . ولاحها : غيرها .

(٧) الغيوب : آثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون . والمفرد : الثور الوحشي الذي تفرد في مكان، وشبه عينيها بعينيه لأنه ألف البراري وخبرها ، ولـكونه من أحد الوحوش نظرا . واللهق (بفتح الهاء وكسرها) : الأبيض. والحزان (بضم الحاء وكسرها وتشديد الزاي) : الأمكنة=

ضخمٌ مُقَــلَّدها فَعْمٌ مقيّدُها في خَلْقِها عن بنات الفحل تَفضيل (1)
غَلْباء وَجْناء عُلْـكومٌ مُذَكَّرة في دَفِّها سَعَةٌ قُدَّامُها مِيل (2)
وجِلْدها من أُطُومٍ مايؤيِّسه طِلْح بضاحِيَةِ المَتْنَيْن مَهْزُول (3)
حَرْفٌ أخوها أبُوها من مُهَجَّنةٍ وعمُّها خالُها قَوْداء شِمْليل (4)
يَمْشي القُرادُ عليها ثم يُزْلِقهُ مِنْها لَبان وأقْراب زَهاليـل (5)

= الغليظة الصلبة تكثر فيها الحصباء ، وهى جمع حزيز . والميل (بالكسر) : جمع (ميلاء) بالفتح، وهى العقدة الضخمة من الرمل .

يريد أن هذه الناقة فى غاية من حدة البصر ، فتبصر ماغاب من آثار الطريق عن العيون بعينيها الشبيهتين بعينى الثور الوحشى الأبيض وقت اشتداد الحر ، فى الأمكنة الغليظة الصلبة ، والرمال المنعقدة الضخمة .

ورواية هذا البيت فى : «ترمى النجاد . . . الخ » .

(1) المقلد : موضع القلادة فى العنق . وفعم : ممتلئ . ويروى : « عبل » وهو بمعناه . والمقيد : موضع القيد ، يريد قوائمها . وبنات الفحل : الإناث من الإبل المنسوبة للفحل المعدّ للضراب . يصف الناقة بضخامة العنق ، وذلك مؤذن بضخامة جسم هامتها ، وبعظم القوائم ، وذلك دليل على قوتها فى السير ، وطاقتها على ثقل الحمل ، وبتفضيلها على غيرها فى عظم الخلقة ، وحسن التكوين .

(2) غلباء : غليظة العنق . ووجناء : عظيمة الوجنتين ، أو هى من الوجين ، وهو ماصلب من الأرض . وعلكوم : شديدة . ومذكرة : عظيمة الخلقة تشبه الذكران من الأباعر . وفى دفها سعة : أى هى واسعة الجنبين ، وهو كناية عن عظم الخلقة . وقدامها ميل : كناية عن طول عنقها ، أو سعة خطوها .

(3) الأطوم (بفتح الهمزة): سلحفاة بحرية غليظة الجلد ، وقيل هى الزرافة . ويؤيسه : يذلله ولايؤثر فيه . والطلح (بالكسر) : القراد ، دويبة معروفة يلزق بالدابة. والضاحية من كل شىء : ناحيته البارزة للشمس : والمتنان : مايكتنف صلبها عن يمين وشمال، من عصب ولحم . وإنما خص ضاحية المتنين ، لأن القراد فى الشمس تقوى همته، وتكثر حركته . ويشتد امتصاصه للدم. ومهزول : صفة لطلح ، أى قراد مهزول من الجوع . يريد أن جلد هذه الناقة فى غاية النعومة والملاسة ، فلايؤثر فيه القراد المهزول من الجوع فيما برز للشمس من ناحيتى صلبها عن يمين وشمال .

(4) الحرف (فى الأصل) : القطعة الخارجة من الجبل ، شبه الناقة بها فى القوة والصلابة . والحرف (أيضا) : الناقة الضامرة. وأخوها أبوها . . . الخ : يريد أنها مداخلة النسب فى الكرم ، لم يدخل فى نسبها غير أقاربها . والمهجنة : الكريمة الأبوين من الإبل ، والقوداء: الطويلة الظهر والعنق . وهى من صفات الإبل التى تمدح بها . والشمليل : الخفيفة السريعة .

(5) يزلقه : من الازلاق ، أى يسقطه . ومنها : أى عنها . واللبان (بالفتح) : الصدر ؛ وقيل : وسطه . والأقراب (بالفتح) الخواصر ، والمراد بالجمع هنا المثنى . والزهاليل : الملس ، جمع زهلول . يريد أن هذه الناقة لملاستها لايثبت القراد عليها .

عَيْرانَةٌ قُذِفتْ بالنَّحْضِ عن عُرُضٍ   مِرْفَقُها عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ (١)
كأنَّما فاتَ عَيْنيها ومَذْبَحَها   من خَطْمِها ومن اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ (٢)
تُمِرُّ مثلَ عَسِيبِ النخْلِ ذا خُصَلٍ   في غارِزٍ لم تَخَوَّنْهُ الأَحالِيلُ (٣)
قَنْواءُ في حُرَّتَيْها لِلْبَصِيرِ بِها   عِتْقٌ مُبِينٌ وفي الخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ (٤)
تَخْدِي على يَسَرَاتٍ وهْيَ لاحِقَةٌ   ذَوابِلٍ مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ (٥)

(١) العيرانة : الناقة المشبهة عير الوحش في سرعته ونشاطه وصلابته، وهذا مما يستحسن في أوصاف الإبل . والنحض : اللحم . وعن : بمعنى من . وعرض (بضمتين أو بضم فسكون): جانب . والمراد هنا العموم . يريد أنها رميت باللحم من كل جانب من جوانبها . والمرفق : يريد المرفقين . والزور : الصدر ، وقيل : وسطه . وبنات الزور : مايتصل به مما حوله من الأضلاع وغيرها . يريد أن مرفق تلك الناقة مصروف عما حوالى الصدر من الأضلاع وغيرها، فتكون مصونة عن الضغط، لبعد مرفقها عن أضلاعها ، فلا يصطك بها لخفتها ونشاطها.

(٢) الخطم : الأنف وما حوله . واللحيان : العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى من الإنسان وغيره . والبرطيل (بالكسر) : حجر مستطيل . يريد أن وجهها من خطمها ومن اللحيين يشبه الحجر المستطيل . وفي رواية « كأنما قاب . . . . الخ) : والقاب المقدار. والمراد : المسافة من وجهها إلى عينيها ، كأنما قدر وجهها المنتهى إلى عينيها من خطمها قدر برطيل في الاستطالة .

(٣) عسيب النخل : جريده الذي لم ينبت عليه الخوص ، فان نبت عليه سمى سعفا . وذا خصل : يريد ذيلا له لفائف من الشعر . وفي غارز : أي على ضرع . ولم تخونه : لم تنقصه . والأحاليل : مخارج اللبن ، جمع إحليل (بالكسر) . يريد أن هذه الناقة تمر ذنبا مثل جريدة النخل في الغلظ والطول ، كثير الشعر ، على ضرع لم تنقصه مخارج اللبن ، لكونها لاتحلب ، فيكون ذلك أقوى لها على السير .

(٤) القنواء : المحدودبة الأنف . ويروى : « وجناء » . وقد عد الشاعر هذا من صفات المدح مع أن المنقول عن العرب أن القنا عيب في الإبل والخيل . والحرتان : الأذنان . والعتق (بالكسر) : الكرم . والمبين : الظاهر . وتسهيل : سهولة ولين ، لا خشونة ولا حزونة . يريد أن هذه الناقة محدودبة الأنف ، يظهر للعارف بالإبل الكرام كرم ظاهر في أذنيها ، لحسنهما وطولهما ؛ ونجابة في خديها : سهولة وليونة . وقد ورد هذا البيت في (ا) متقدما على البيتين السابقين له .

(٥) تخدى : تسرع . ويروى «تخذى» بمعجمتين ، أي تسرى : وهذا أبلغ في المدح ، لأنها مع استرخائها في السير تلحق النوق السوابق ، فكيف لو أسرعت . وفي ا : « تهوى » وهي بمعنى الأولى . واليسرات : القوائم الخفاف . وهي لاحقة : أي والحال أنها لاحقة بالنوق السابقة عليها ، أو بالديار البعيدة عنها . وفي ا : « وهي لاهية » أي غافلة عن السير، فهي تسرع فيه من غير اكتراث ومبالاة ، كأن ذلك سجية لها . وقد فسر ابن هشام «اللاحقة» بالضامرة ، فيكون مرجع الضمير « هي » لليسرات . والذوابل : جمع ذابل ، وهو الرمح الصلب اليابس شبه قوائمها بها في الصلابة والشدة . ومسهن : أي مس تلك اليسرات للأرض أووقعهن عليها. وتحليل : أي قليل لم يبالغ فيه ، يريد أن هذه الناقة سريعة في السير بقوائمها، سريعة الرفع عن الأرض ، كأنها لاتمسها إلا تحلة القسم ، فهي في غاية الإسراع في سيرها .

سُمْرِ العُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الحَصَى زِيَمًا　　لم يَقِهِنَّ رُءُوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ(١)

كأَنَّ أَوْبَ ذِراعيها وقد عَرِقَتْ　　وقد تلفَّع بالقُورِ العَسَاقيــــلُ(٢)

يومًا يظل به الحِرْباء مُصْطَخِدًا　　كأنَّ ضاحِيَــــه بالشَّمْسِ مَمْلُولُ(٣)

وقال للقَوْم حادِيهِم وقد جَعلت　　وُرْقُ الجَنادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصا قِيلُوا(٤)

شَدَّ النَّهارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ　　قامت فجَاوَبَها نُــكْدٌ مَثَاكيلُ(٥)

---

(١) العجايات : الأعصاب المتصلة بالحافر ؛ وقيل : اللحمة المتصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير إلى الفرسن ، يشبه عصبها أو لحم قوائمها بالرماح السمر لقوته وصلابته . وزيما : متفرقا. والأكم : هى الأراضى المرتفعة . والتنعيل : شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة . يريد أن أعصاب قوائم هذه الناقة شديدة كالرماح السمر ، ولشدة وطئها الأرض تجعل الحصى متفرقا ، ولصلابة خفافها لاتحتاج إلى تنعيل يقيها الحجارة التى تكون فى رءوس الأكم ، فلا تحفى ولا ترق قدمها .

(٢) الأوب (بالفتح) : سرعة التقلب والرجوع . وعرقت : أى وقت عرقها لا لتعب ولا لإعياء ، لما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة ، بل لشدة الحر . وتلفع : اشتمل والتحف . والقور (بضم القاف) . جمع قارة ، وهى الجبل الصغير . والعساقيل : السراب . يصف سرعة ذراعى ناقته فى وقت الهاجرة وانتشار السراب فوق صغار الجبال . وسيأتى ذكر المشبه به فى البيت الثالث بعد هذا ، وهو خبر كأن . وهذا البيت متأخر عن البيتين التابعين له فى ا .

(٣) الحرباء (بالكسر) : ضرب من العظاء ، يستقبل الشمس حيثما دارت ، ويتلون بألوان الأمكنة التى يحل فيها . ومصطخدا : محترقا بحر الشمس ، ويروى : « مصطخما » ، أى منتصبا قائما ، كما يروى « مرتبئا » أى مرتفعا . وضاحيه : مابرز للشمس منه. ومملول : موضوع فى الملة ، وهى الرماد الحار . يريد أن الجبال الصغار تلفعت بالسراب فى يوم يصير فيه الحرباء محترقا بالشمس ، كأن البارز للشمس فى أوب ذلك اليوم من ذلك الحيوان خبز معمول بالملة.

(٤) الحادى : السائق للإبل . والورق : جمع أورق أوورقاء، وهو الأخضر الذى يضرب إلى السواد ؛ وقيل : الورقة : لون يشبه لون الرماد . والجنادب : جمع جندب (بضم الدال وتفتح) : ضرب من الجراد . وقيل : الجراد الصغير ؛ وإنما يكون هذا الصنف فى القفار الموحشة القوية الحرارة ، البعيدة من الماء . ويركضن الحصى : يحركنه بأرجلهن لقصد النزول ، بسبب الإعياء عن الطيران ، من شدة الحر . وقيلوا : أمر من قال يقيل قيلولة ، وهى الاستراحة فى وقت شدة الحر . والمراد أن هذا اليوم أشد حرا حتى إن الحادى الذى من شأنه أن ينشط الإبل قال للقوم : قيلوا واستريحوا .

(٥) شد النهار : وقت ارتفاعه ، وهو مبالغة فى شدة الحر . والعيطل : الطويلة . والنصف : المتوسطة فى السنّ ، وذلك حين استكمال قوتها، وبلوغ أشدها ، فتكون أسرع فى الحركة ، وأمكن فى القوة . والنكد : جمع نكداء ، وهى التى لايعيش لها ولد . والمثاكيل : جمع مثكال بالكسر ، وهى الكثيرة الثكل . فى هذا البيت والبيت السابق الذى أوله « كأن » يشبه سرعة حركة يدى هذه الناقة بسرعة حركة يدى المرأة الطويلة المتوسطة فى السن : فى اللطم على وجهها لشدة حزنها على ولدها ، يجاوبها نسوة لايعيش أولادهن ، فيشتد فعلها ، ويقوى ترجيع يديها عند النياحة ، لرؤية حزن غيرها ، وشدة لطمهن .

نَوّاحة رِخْوَة الضَّبْعين ليس لها ... لَمَّـا نَعَى بِكْرها الناعون مَعْقُولُ (١)
تَفْرِى اللَّبَانَ بكفَّيْها ومِدْرَعُها ... مُشَقَّق عن تَرَاقِيها رَعابيل (٢)
تَسْعى الغُواة جَنَابَيْها وقولُهم ... إنك يا بنَ أبى سُلْمى لَمَقْتُول (٣)
وقال كل صَدِيق كُنْتُ آمُلُه ... لاأُلْهِيَنَّكَ إنى عنك مَشْغُول (٤)
فقُلْت خَـلُّوا سبيلى لا أبالـكُمُ ... فـكُلّ ماقَدَّر الرحمنُ مَفْعُول (٥)
كل ابنِ أُنثى و إن طالت سلامتُه ... يوماً على آلة حَـدْباء مَحْمُول (٦)

ورواية الشطر الأول من هذا البيت فى (ا) .

أَوْبُ يَدَىْ فَاقِدٍ شَمْطَاءَ مُعْوِلَةٍ

والفاقد : التى فقدت ولدها . والشمطاء : التى خالطها الشيب . والمعولة : الرافعة صوتها بالبكاء .

(١) النواحة : الـكثيرة النوح على ميتها . ورخوة الضبعين : مسترخية العضدين . والبكر بالـكسر: أول الأولاد . والناعون : المخبرون بالموت ، النادبون له . والمعقول (هنا): العقل، وهو من المصادر التى جاءت على « مفعول » كمسور وميسور ومفتون . يريد أن هذه المرأة كثيرة النوح على ميتها ، مسترخية العضدين ، فيداها سريعتان فى الحركة ، ولما أخبرها الناعون بموت أول أولادها لم يبق لها عقل ، فهى لاتحس بالإعياء والتعب ، شأن هذه الناقة لاتحس باعياء ولا تعب فى سيرها .

(٢) تفرى : تقطع . واللبان : الصـدر . والمدرع : القميص . ورعابيل : قطع متفرقة ، وهو جمع رعبول . يريد أن هذه المرأة تقطع مدرعها بأناملها لذهاب عقلها ، فقميصها مشقوق عن عظام صدرها قطعا كثيرة . يشبه الناقة بهذه المرأة فى أن كلا منهما مسلوب الإدراك، فلا يحس بمـا يلاقى من مشقة وشدة .

(٣) الغواة : المفسدون ، جمع غاو . جنابيها : حواليها، تثنية جناب (بفتح الجيم) . ومقتول : أى متوعد بالقتل ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد أهدر دمه . ورواية هذا البيت فى ا :

تمشى الغواة بجنبيها وقولهم . . . . الخ .

(٤) آمله : أؤمل خيره وأترجى إعانته لى فى الملمات . وألهينك : أشغلك . و (لا) فيها: نافية ، والتوكيد قليل مع النفى . والمعنى : لا أشغلك عما أنت فيه من الخوف والفزع ، بأن أسهله عليك وأسليك ، فاعمل لنفسك ، فإنى لا أغنى عنك شيئا . وقد يكون الـكلام مثبتا ، واللام فيه للقسم ، أى والله لأجعلنك مشغولا عنى ، فلا تطلب منى نصرة أو معونة . ويروى هذا البيت :

« وقال كل خليل . . . . الخ »

(٥) خلوا سبيلى : اتركوه . وقوله : لا أبا لـكم : ذم لهم ، لـكونهم لم يغنوا عنه شيئا ، أو مدح لهم على سبيل التهكم والاستهزاء .

(٦) الآلة الحدباء : النعش الذى يحمل عليه الميت . يقول : كل إنـسان صائر إلى الموت طالت سلامته أو قصرت ، فلا يشمت بى أحد إذا هلـكت .

نُبِّئْتُ أن رسـولُ الله أَوعَدَنى   والعَفْو عند رسولِ الله مأمُول(1)

مَهلا هداكَ الذى أعطاكَ نافِلَةَ الـــقرآن فيها مواعيظٌ وَتَفْصِيلُ(2)

لا تأخذنِّى بأقْوال الوُشاة ولَمْ   أُذْنِب ولو كَثُرت فى الأقَاوِيل(3)

لقَد أقُوم مقاماً لو يقُوم به   أرَى وأسمعُ مالو يَسْمعُ الفِيل(4)

لظلَّ يَرْعَدُ إلا أَنْ يكون له   من الرَّسول بإذن الله تنْوِيل(5)

حتى وضعتُ يَمينى ما أُنازِعه   فى كَفِّ ذى نَقِمات قِيلُه القيل(6)

فَلَهْوَ أخوفُ عندى إذ أُكلِّمه   وقيل إنك منْسوب وَمسْئُول(7)

---

(1) نبئت : أخبرت. ويروى : «أنبئت» . وأوعدنى : تهددنى بالقتل . ومأمول : مرجو ومطموع فيه .

(2) هداك : زادك هدى ، أو هداك الله للصفح والعفو عنى، فيكون على هذا داعيا لنفسه. والنافلة : الزيادة ، وسمى القرآن نافلة لأنه عطية زائدة على النبوة .

(3) هذا البيت من تتمة الاستعطاف والتلطف فى القول ،فلا، وإن كانت ناهية بحسب وضعها، لكن المراد منها التضرع والتذلل . والمعنى : لاتستبح دمى بسبب أقوال الوشاة الساعين بينى وبينك بالإفساد والكذب والبهتان .

(4) لقد أقوم : معناه : والله لقد أقوم مقاما ، فهو جواب قسم محذوف . ويروى : « إنى أقوم مقاما » والأولى أبلغ للقسم . والمقام (هنا) مجلس النبى . والمراد بالقيام فيه حضوره ، والمعنى على المضى ، أى لقد حضرت مجلسا .

(5) يرعد : تأخذه الرعدة ، ويصح بناؤه للمفعول . والتنويل : التأمين . والمعنى : لصار الفيل يضطرب ويتحرك من الفزع ، وإنما خصه بذلك لأنه أراد التعظيم والتهويل ، والفيل أعظم الدواب جثة وشأنا . إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تأمين يسكن به روعه ، وتثبت به نفسه . ورواية هذا البيت فى :

لظل ترعـد من وجد بوادره   إن لم يكن من رسول الله تنويل

والوجد : شدة الحزن . والبوادر : اللحم الذى بين العنق والكتف .

زادت (ا) بعد هذا البيت :

مازِلتُ أَقْتَطِـعُ البَيْداءَ مُدَّرِعًا   جُنْحَ الظَّلَامِ وثوبُ الليل مَسْبُول

(6) حتى وضعت : أى فوضعت . وخص اليمين لأن الأشـياء الشريفة تفعل باليمين . ولا أنازعه : أى حال كونى طائعا له ، راضيا بحكمه فى ، غير منازع له ولا مخالف . والنقمات (بفتح فكسر) جمع نقمة ، والمراد بصاحب النقمات : النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان ينتقم من الكفار ، فكان شديد السطوة والإغلاظ فيهم . وقيله : قوله . والمراد أن قوله معتد به لكونه نافذا ماضيا . يشير بالبيت إلى حاله مع النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وهو فى المسجد ، ووضع يده فى يده يستأمنه .

(7) أخوف : أشـد إخافة وإرهابا . ومنسوب : أى إلى أمور صدرت منك ، كقولك لأخيك بجير: «سقاك بها المأمون» ...الخ . ومسئول : أى عن سببها ، أومسئول=

مِن ضَيْغَمٍ بِضَراءِ الأرضِ مُخْدَرُهُ ... فى بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ(1)

يَغْدُو فيُلْحِمُ ضِرْغامِينَ عيشُهما ... لحمٌ من الناسِ مَعْفورٌ خَراديلُ(2)

إذا يُساوِرُ قِرْناً لا يَحِلُّ له ... أن يترُكَ القِرنَ إلا وهو مَغْلُولُ(3)

منه تَظَلُّ سِباعُ الجوِّ نافرةً ... ولا تَمَشَّى بواديه الأراجيلُ(4)

ولا يَزالُ بواديه أخو ثِقَةٍ ... مُضَرَّجُ البَزِّ والدُّرْسانِ مأكُولُ(5)

إنَّ الرسولَ لَنُورٌ يُسْتَضاءُ به ... مُهَنَّدٌ من سُيوفِ اللهِ مَسْلُولُ(6)

= عن نسبك ، فكأنه يقول : من قبيلتك التى تجيرك منى ؟ ومن قومك الذين يعصمونك منى؟ فقد تبرءوا منك ، وتخلوا عنك . ويروى : « لذاك أهيب » و « فذاك أهيب » و « لكان أهيب » و « فلهو أخوف » . ويروى : « أرهب » مكان : « أهيب » .

(1) ضيغم : أسد . وضراء الأرض : الأرض التى فيها شجر . والمخدر : غابة الأسد . وعثر (بفتح العين وتشديد المثلثة) : اسم مكان مشهور بكثرة السباع . والغيل : الشجر الكثير الملتف . وغيل دونه غيل : أى أجمة تقربها أجمة أخرى ، فتكون أسدها أشد توحشا ، وأقوى ضراوة . يريد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهيب من أسود عثر فى آجامها . وفى رواية « من خادر » . والخادر : الأسد الداخل فى خدره ، وهو حينئذ يكون أشد قوة وبأسا .

(2) يغدو : يخرج فى أول النهار يتطلب صيدا لشبليه . وفى رواية : « يغذو » بالذال ، أى يطعم . ويلحم : يطعمهما اللحم . والضرغام : الأسد ويريد بالضرغامين شبليه . ومعفور : ملقى فى العفر ، وهو التراب . ووصفه بذلك لكثرته وعدم اكتراثه به لشبعه . وخراديل : قطع صغار . يصف هذا الأسد بكثرة الافتراس ، وعظم الاصطياد .

(3) يساور : يواثب . والقرن (بكسر القاف) : المقاوم فى الشجاعة . وفى ذكر القرن إشارة إلى أن هذا الأسد لايساور ضعيفا ولاجبانا ، وإنما يساور مقاومه فى الشجاعة ، ومساويه فى القوة . والمغلول : المكسور المهزوم .

(4) الجو : اسم موضع ، أوهو ما اتسع من الأودية ، أوما بين السماء والأرض . ونافرة : بعيدة ، ويروى : «ضامزة» والضامز : الذى يمسك جرته بفيه ولا يجتر . ويروى : « ضامرة » أى جياعا لعدم قدرتها على الاصطياد . والأراجيل : الجماعات من الرجال ، وهو جمع أرجال ، وأرجال : جمع رجل ، ورجل : اسم جمع لراجل ، يصف هذا الأسد بالقوة ، حتى خافته السباع والناس .

(5) أخو ثقة : الشجاع الواثق بشجاعته . ومضرج : مخضب بالدماء . ويروى : « مطروح » ، أى مطروح . والبز : السلاح . والدرسان (بضم الدال) : أخلاق الثياب . الواحد دريس . ومأكول : أى طعام لذلك الأسد . يريد أنه لايمر بوادى هذا الأسد شجاع إلا أكله وطرح ثيابه التى مزقها ، فلا يولع إلا بالشجعان ، ولا يلتفت لغيرهم .

(6) يستضاء به : يهتدى به إلى الحق . ويروى : «لسيف» فى مكان «لنور» . وقد كانت عادة العرب إذا أرادوا استدعاء من حولهم من القوم أن يشهروا السيف الصقيل ، فيبرق ، فيظهر لمعانه من بعد ، فيأتون إليه ، مهتدين بنوره ، مؤتمين بهديه . شبه =

فى عُصْبة من قُرَيش قال قائلُهم   بِبَطن مكةَ لما أَسْلَمُوا زُولُوا[1]

زالوا فمازال أنكاسٌ ولا كُشُف   عند اللِّقاء ولا مِيلٌ مَعازِيل[2]

شُمُّ العَرانِين أبطال لَبُوسُهم   من نَسْج داوُد فى الهَيْجا سَرَابيل[3]

بِيضٌ سَوابغ قد شُكَّت لها حَلَق   كأنها حَلَق القَفْعاء مَجْدُول[4]

ليسُوا مَفاريح إن نالت رماحُهُم   قومًا وليسوا مجازيعًا إذا نيلوا[5]

يَمْشُونَ مَشْيَ الجمالِ الزُّهْرِ يَعْصِمهم   ضَرْبٌ إذا عَرَّد السودُ التَّنَابِيلُ[6]

لا يَقَعَ الطَّعْنُ إلا فى نُحورهُم   ومالهم عن حِياض الموت تَهليل[7]

= الرسول بذلك . والمهند : السيف المطبوع فى الهند ، وسيوف الهند قديما أحسن السيوف . ومن سيوف الله : أى من سيوف عظمها الله بنيل الظفر والانتقام . والمسلول: المخرج من غمده.

(١) العصبة : الجماعة . ويروى : « فى فتية » جمع فتى ، وهو السخى الكريم . وزولوا : فعل أمر من زال التامة ، أى تحولوا وانتقلوا من مكة إلى المدينة .

(٢) الأنكاس : جمع نكس (بالكسر) وهو الرجل الضعيف . والكشف (بضم فسكون وحرك للشعر) : جمع أكشف ، وهو الذى لاترس معه ، أوهم الشجعان الذين لاينكشفون فى الحرب ، أى لا ينهزمون . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لاسيف له ، أو هو الذى لايحسن الركوب ، فيميل عن السرج . والمعازيل : الذين لاسلاح معهم ، واحدهم معزال (بكسر الميم) .

(٣) شم : جمع أشم ، وهو الذى فى قصبة أنفه علو ، مع استواء أعلاه . والعرانين : جمع عرنين ، وهو الأنف . وصفهم بهذا الوصف إما على الحقيقة لأن ارتفاع الأنف من الصفات المحمودة فى خلق الإنسان ؛ وإما على المجاز ؛ يريد ارتفاع أقدارهم ، وعلو شأنهم . واللبوس : ما يلبس من السلاح . ونسج داود : أى منسوجه ، وهو الدروع . والهيجا (بالقصر هنا) : الحرب . والسرابيل : جمع سربال ، وهو القميص أو الدرع . ووصفها بأنها من نسج داود دليل على مناعتها .

(٤) بيض : مجلوة صافية مصقولة ، لأن الحديد إذا استعمل لم يركبه الصدأ . والسوابغ : الطوال السوابل ، ويلزم من طول الدروع قوة لابسيها ، إذ حملها مع طولها يدل على القوة والشدة . وشكت : أدخل بعضها فى بعض ، ويروى : « سكت » بمعنى ضيقت . والقفعاء : ضرب من الحسك ، وهو نبات له شوك ينبسط على وجه الأرض ، تشبه به حلق الدروع . ومجدول : محكم الصنعة .

(٥) مفاريح : كثيرو الفرح . ونالوا : أصابوا . ومجازيع : كثيرو الجزع . ويروى : « لايفرحون » ... الخ .

(٦) الزهر : البيض . يصفهم بامتداد القامة ، وعظم الخلق ، والرفق فى المشى ، وبياض البشرة ، وذلك دليل على الوقار والسؤدد . ويعصمهم : يمنعهم . وعرد : فر وأعرض عن قرنه وهرب عنه . والتنابيل : جمع تنبال ، وهو القصير .

(٧) وقوع الطعن فى نحورهم : دليل على أنهم لاينهزمون حتى يقع الطعن فى ظهورهم . =

قال ابن هشام : قال كعب : هــذه القصيدة بعد قدومه على رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم المدينة . و بيته: «حَرْفٌ أخوها أبوها» و بيتُه : «يَمشى القُرَاد» وبيته: « عيْرَانةٌ قُذِفَتْ » و بيته : « تُمِرُّ مثلَ عَسِيبِ النَّخْلِ » و بيته «تَفْرِى اللَّبَان » و بيته: « إذَا يُسَاوِرُ قِرْناً » و بيته : « ولا يَزال بواديه » : عن غير ابن اسحاق .

استرضاء كعب الأنصار بمدحه إياهم

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عُمَر بن قَتَادة :

فلما قالَ كعْبٌ : « إذا عرّد السودُ التنابيل » وإنما يريدُنا معْشَر الأنصارِ، لِمَـا كانَ صاحبنا صنعَ به ماصنع[1] ، وخصّ المهاجِرِينَ من قريش من أصحاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِمِدحته، غضِبَت عليه الأنصارُ ؛ فقال بعد أن أسْلم يَمْدَحُ الأنصار ، ويذكر بلاءهم مع رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، وموضِعَهُم من اليَمَن :

مَنْ سَرّهُ كرمُ الحياةِ فلا يزَل ... فى مِقْنَب من صالحى الإنصارِ[2]
ورِثُوا المـكارمَ كابراً عن كابرٍ ... إنّ الخيار هُمُ بنو الأخيار
المُـكْرِهين السَّمْهرىَّ بأذرعٍ ... كَسَوالِف الهندىّ غـير قصار[3]
والناظرين بأعـيُنٍ مُحْمَرّةٍ ... كالجَمْر غـير كليلة الأبصار
والبائعين نفوسَهم لنبيهم ... للموت يوم تعانُقٍ وكِرَارِ
والقَائدين[4] الناسَ عن أدْيانِهِمْ ... بالمشرَفىّ وبالقنـــا الخطّارِ[5]

= وحياض الموت : موارد الحتف ، يريد بها ساحات القتال . وتهليل : تأخر . ويروى : « فالهم عن حياص الموت » بالصاد المهملة ، جمع حوص بمعنى مضايقه وشدائده .

(١) هذه الـكلمة : « ماصنع » ساقطة فى ا .

(٢) المنقب : الجماعة من الخيل . يريد به القوم على ظهور جيادهم .

(٣) السمهرى : الرمح . وسوالف الهندى : يريد حواشى السيوف ؛ وقد يراد به الرماح أيضا ، لأنها قد تنسب إلى الهند .

(٤) كذا فى م ، ر . وقد شرحها أبوذر على أنها «والذائدين» بمعنى المانعين والدافعين .

(٥) المشرفى : السيف . والقنا : الرماح ، جمع قناة . والخطار : المهتز . وهــذا البيت ساقط من ا .

يتطهَّرون يرونه نُسْكاً لَهُمْ ... بدماء من عَلِقوا من الكُفّار

دَرِبوا كما دَرِبَتْ ببطْن خَفيَّة ... غُلْبُ الرقاب من الأسود ضَوارى (1)

وإذا حَلَلْتَ ليَمْنَعوك إليهمُ ... أصْبَحْتَ عندَ مَعاقل الأَعْفار (2)

ضرَبوا عليًّا يوم بدْرٍ ضربةً ... دانَتْ لوقعتِها جميعُ نِزَار (3)

لو يعلَمُ الأقوامُ علْمِيَ كلَّه ... فيهمْ لصدَّقنى الذين أمارِى (4)

قومٌ إذا خوَتِ النّجومُ فإنهم ... للطارقين النّازلين مَقَارى (5)

فى الغُرّ من غسانَ من جُرْثومةٍ ... أعيتْ محافِرُها على المِنقار (6)

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه سلم قال له حين أنشده « بانت سعاد فقلبى اليوم متبول » : لَوْلا ذكرت الأنصار بخير ، فإنهم لذلك أهل ، فقال كعب هذه الأبيات ، وهى فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وذكر لى عن على بن زيد بن جُدْعان أنه قال :

أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد :

« بانَتْ سعادُ فقلبى اليومَ مَتْبولُ (7) »

---

(1) دربوا : تعودوا . وخفية : اسم مأسدة . وغلب ارقاب : غلاظ الأعناق . وضوارى : متعودات الصيد والافتراس .

(2) المعاقل : جمع معقل ، وهو الموضع الممتنع . والأعفار : جمع عفر ، وهو ولد الوعل ، ويضرب المثل بامتناع أولاد الوعول فى قلل الجبال .

(3) عليا : يريد على بن مسعود بن مازن الغسانى ، وإليه تنسب بنو كنانة ، لأنه كفل ولد أخيه عبد مناة بن كنانة بعد وفاته ، فنسبوا إليه .

(4) أمارى : أجادل .

(5) خوت النجوم : أى سقطت ولم تمطر فى نوئها . والطارقون : الذين يأتون بالليل . والمقارى : جمع مقراة ، وهى الجفنة التى يصنع فيها الطعام للاضياف . يريد أنهم إذا انحبس المطر ، واشتد الزمان ، وعم القحط ، يكونون أصحاب قصاع لقرى الأضياف الذين يطرقونهم، وينزلون بهم .

(6) هذا البيت ساقط من (ا)

(7) إلى هنا ينتهى الجزء السابع عشر من أجزاء السيرة .

غزوة تبوك

في رجب سنة تسع

أمر الرسول الناس بالتهيؤ لتبوك

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد ابن إسحاق المطلبى ، قال :

ثمّ أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحِجّة إلى رجب ثم أمر الناسَ بالتهيُّؤ لغزو الروم . وقد ذكر لنا الزُّهْرى ويزيد بن رُومانَ وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عُمرَ بن قتادة وغيرهم من علمائنا ، كلٌّ حدث فى غزوة تبوكَ مابلغه عنها ، وبعضُ القوم يحدِّث مالايحدِّث بعض :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيُّؤ لغزو الروم ، وذلك فى زَمان من عُسْرة الناس ، وشِدة من الحَرّ ، وجدْبٍ من البلاد ؛ وحين طابت الثمار ، والناس يُحبُّون المُقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويَكرهون الشُّخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ؛ وكانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَلَّما يخرج فى غزوة إلاّ كَنَى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يَصْمِدُ له[1] ، إلا ما كان من غزوة تَبُوكَ ، فإنه بيَّنها للناس، لبعد الشُّقة[2] ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يَصْمِد له ، ليتأهب الناس لذلك أُهْبَتَه ، فأمر الناس بالجِهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم .

تخلف الجد وما نزل فيه

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجَدّ بن قيس أحد بنى سَلِمَة : ياجَدّ ، هل لك العام فى جِلاد بنى الأصفر[3] ؟ فقال : يارسولَ الله ، أَوَ تأذنُ لى ولا تَفْتِنِّى ؟ فوالله لقد عَرَف قومى أنه ما من رجل بأشد عُجْبًا بالنساء منى ، و إنى أخشى إن رأيتُ نساء بنى الأصفر أن لاأصبر ، فأعرض عنه رسول الله

(١) يصمد : يقصد .

(٢) الشقة : بعد المسير .

(٣) بنى الأصفر : يريد الروم .

صلى الله عليه وسلم وقال: قد أذنتُ لك. ففي الجَدِّ بن قيس نزلت هذه الآية: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ). أي إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر، بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرغبة بنفسه عن نفسه، يقول تعالى: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمِنْ وَرَائِهِ.

ما نزل في القوم المثبطين

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ، زهادة فى الجهاد، وشكاً فى الحق، وإرجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم: (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ. فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

تحريق بيت سويلم وشعر الضحاك فى ذلك

قال ابن هشام: وحدثنى الثقة عمن حدثه، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه عن جده، قال:

بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنّ ناساً من المنافقين يجتمعون فى بيت سُوَيْلِم اليهودى، وكان بيته عند جاسومَ[1]، يُثَبِّطون الناسَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبُوكَ، فبعث إليهم النبىُّ صلى الله عليه وسلم طلحةَ بنَ عُبيد الله فى نفر من أصحابه، وأمَرَهُ أن يُحرِّق عليهم بيت سُوَيلم، ففعل طلحة. فاقتحم الضحاك بنُ خليفة من ظهر البيت، فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه، فأفلتوا. فقال الضحاك فى ذلك:

كادت وَبَيْتِ الله نارُ محمدٍ ... يَشِيطُ بها الضَّحَّاكُ وابنُ أُبَيْرِقِ[2]
وظَلْتُ وقد طَبَّقتُ كِبْسَ سُوَيْلِمٍ ... أنوءُ على رِجْلى كَسِيرا ومِرْفَقِى[3]
سلامٌ عليكم لا أعودُ لمثلِها ... أخاف ومن تَشْمل به النارُ يُحْرَقِ

---

(١) جاسوم: اسم موضع.
(٢) يشيط: يحترق.
(٣) طبقت: علوت. والكبس (بكسر الكاف): البيت الصغير.

قال ابن إسحاق :

حث الرسول على النفقة وشأن عثمان فى ذلك

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَدّ فى سفره ، وأمَرَ الناس بالجِهاز والانْكِماش، وحضّ أهلَ الغنى على النَّفقة والحُمْلاَن[1] فى سبيل الله، فحَمَل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا[2] ، وأنفقَ عثمان بن عفّان فى ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحدٌ مِثْلَها .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به :

أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العُسْرَة فى غزوة تَبُوكَ ألف دينار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارْضَ عن عثمان فإنِّى عنه راض .

شأن البكائين

قال ابن إسحاق :

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وهم البكاءون، وهم سبعةُ نفَر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف : سالمُ بن عمير ، وعُلْبَة بن زيد ، أخو بنى حارثة ، وأبو ليلى عبدُ الرحمن بن كعب ، أخو بنى مَازن بن النَّجار ، وعمرو بن حُمام بن الجَموح ، أخو بنى سَلِمة ، وعبدُ الله ابن المغفّل المُزَنىّ ــ وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزنى ــ وهَرَمىُّ بن عبد الله ، أخو بنى واقِف ، وعِرْباضُ بن سارِيَةَ الفَزَارىّ . فاستحملوا[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهلَ حاجة ، فقال : لاأجد ماأحِملُكم عليه، فتولوا وأعينهم تَفيض من الدَّمع حَزَنا ألا يجدوا مايُنفقون[4] .

قال ابن إسحاق :

فبلغنى أنَّ ابنَ يامِينَ بن عُمَيْر[5] بن كعب النضرىّ لَقِىَ أباليلى عبد الرحمن ابن كعب وعبدالله بن مُغَفَّل وهمايبكيان ، فقال : مايُبكيكما ؟ قالا: جئنارسولَ الله

---

(١) الحملان : مصدر حمل يحمل ، وقد يراد به : ما يحمل عليه من الدواب . (انظر اللسان) .

(٢) احتسبوا : أخرجوا ذلك حسبة ، أى جعلوا أجر مابذلوا عند الله .

(٣) استحملوه : طلبوا منه مايحملهم عليه .

(٤) فى تسمية بعض البكائين خلاف فليراجع فى شرح الزرقانى على المواهب الدنية .

(٥) فى الزرقانى على المواهب الدنية : « لقى يامين بن عمرو » .

صلى الله عليه وسلم ليحملنا، فلم نجد عنده مايحملنا عليه ، وليس عندنا مانتقوّى به على الخروج معه ؛ فأعطاهما ناضحًا[1] له ، فارتحلاه ، وزوّدهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شأن المعذرين

قال ابن إسحاق :

وجاءه المعذِّرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذِرهم الله تعالى . وقد ذُكِر لى أنهم نفر من بنى غِفار .

تخلف نفر عن غير شك

ثم استتَبّ[2] برسول الله صلّى الله عليه وسلم سفره، وأجمع السيرَ. وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأتْ بهم النيةُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تخلفوا عنه عن غير شك ولا ارتياب ؛ منهم : كَعْبُ بن مالك بن أبى كعب ، أخو بنى سَلِمة ، ومُرَارَة بن الربيع ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلالُ بن أمية ، أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بنى سالم بن عوْف . وكانوا نفر صِدق، لايتهمون فى إسلامهم.

خروج الرسول واستعماله على المدينة

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكرَه على ثَنِيَّة الوداع[3] .

قال ابن هشام :

واستعْمَلَ على المدينة محمدَ بن مَسْلَمَةَ الأنصاريّ .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْديّ[4] عن أبيه :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة ، مَخْرَجه إلى تَبوكَ ، سِباعَ بن عُرْفُطَة .

قال ابن إسحاق :

تخلف المنافقين

وضرب عبدُ الله بن أبيّ معه على حِدَة عسكرَه أسفل منه، نحو ذُباب[5] ، وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين . فلما سار رسول الله صلّى الله عليه وسلم تخلّف عنه عبد الله بن أبيّ ، فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرَّيْب.

---

(١) الناضح : الجمل الذى يستقى عليه الماء .
(٢) استتب : تتابع واستمر .
(٣) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة .
(٤) فى ا : « الأندراوردى » وهى رواية فيه ، والمشهور ما أثبتناه . (راجع شرح أبى ذر) .
(٥) ذباب : (بالكسر والضم) : جبل المدينة .

شأن على ابن أبى طالب

وخلَّف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب، رضوان الله عليه، على أهْلِه، وأمَرَه بالإقامة فيهم، فأرجَف به المنافقون، وقالوا: ماخلفه إلا استثقالا له، وتخفُّفا منه. فلما قال ذلك المنافقون أخذ علىُّ بن أبى طالب، رضوان الله عليه سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجُرْف(١)، فقال: يا نبى الله، زعَمَ المنافقون أنكَ إنَّما خفَّفْتنى أنك استَثْقَلْتنى وتخففَّتَ منى؛ فقال: كذبوا، ولـكِنَّنى خلَّفْتُك لما تركتُ ورائى، فارجع فاخلُفْـنِى فى أهلى وأهلِك، أفلا ترضى ياعلىُّ أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلاَّ أنه لا نبى بعدى، فرجع علىٌّ إلى المدينة؛ ومَضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على سفره.

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمدُ بن طلحة بن يَزِيد بن رُكانة، عن إبراهيم ابن سعد بن أبى وقّاص، عن أبيه سعد:

أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى هذه المقالة.

شأن أبى خيثمة

قال ابن إسحاق:

ثم رجع علىٌّ إلى المدينة، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره، ثم إن أبا خَيْثمةَ رجع بعد أن سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أيّامًا إلى أهله فى يوم حار، فوجَد امرأتين له فى عريشين(٢) لهُما فى حائِطه(٣)، قد رشت كلٌّ واحدة منهما عريشها، وبرّدت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعاما. فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضِّحّ(٤) والرِّيح والحر، وأبو خيثمة فى ظلٍّ بارد، وطعام مهيأ، وامرأةٍ حسناء، فى ماله مقيم، ماهذا بالنَّصَف! ثم قال: والله لا أدخُلُ عريش واحدة منكما حتى ألحَق برسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(١) الجرف: (بالضم ثم السكون): موضع على ثلاثة أميال من المدينة.
(٢) العريش: شبيه بالخيمة، يظلل ليكون أبرد الأخبية والبيوت.
(٣) الحائط. البستان.
(٤) الضح: (بالكسر): الشمس.

فَهَيَّئا لى زاداً ، ففعلتا . ثم قدم ناضحه فارتحله، ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيرُ بن وهب الجُمحىّ فى الطريق ، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دنوَا من تبوك . قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنباً ، فلا عليك أن تَخَلَّفَ عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعل ، حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مُقْبل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ؛ فقالوا : يارسول الله، هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوْلَى لكَ[1] يا أبا خيثمة . ثم أخبرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا، ودعا له بخير .

قال ابن هشام :

وقال أبو خيثمة فى ذلك شعرا[2] ، واسمه مالك بن قيس :

لَمَّا رأيتُ الناسَ فى الدين نافَقُوا   أتيتُ التى كانَتْ أعفَّ وأكْرَمَا
وبايعتُ باليُمْنَى يدى لمُحَمَّد   فلم أكتسِبْ إثْماً ولم أغْشَ مَحْرما
تركتُ خضيبا فى العَريش وصِرمَة   صَفايا كِراما بُسْرُها قد تحمَّما[3]
وكنتُ إذا شكَّ المنافقُ أسمَحَتْ   إلى الدينِ نفسى شطرَه حيثُ يَمَّمَا[4]

النبي والمسلمون بالحجر

قال ابن إسحاق :

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحِجْر نزلها ، واستقى الناسُ من بئرها . فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتشربوا من

---

(١) أولى لك : كلمة فيها معنى التهديد . وهى اسم سمى به الفعل ، ومعناها فيما قال المفسرون : دنوت من الهلكة .

(٢) هذه الكلمة : « شعرا » ساقطة فى ا .

(٣) الخضيب : المخضوبة . والصرمة : جماعة النخل . وصفايا : كثيرة الحمل ؛ وأصله فى الإبل ، يقال : ناقة صفى ، إذا كانت غزيرة الدر ، وجمعها صفايا . والبسر : التمر قبل أن يطيب . وتحمما : أى أخذ فى الإرطاب فاسود .

(٤) أسمحت : انقادت . وشطره : نحوه وقصده .

ملئها شيئاً، ولا تتوضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فأعْلِفُوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرُجنّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنّ رجلين من بنى ساعدة خرج أحدُهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنق على مَذْهَبه ؛ وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلى طيء . فأُخْبِر بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنْهَكُم أن يخرج منكم أحدٌ إلا ومعه صاحبُه ! ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذى أصيب على مذهبه فشفى ؛ وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيئ ، فإن طيئاً أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس بن سهل ابن سعد الساعدى ؛ وقد حدثنى عبدُ الله بنُ أبى بكر أنْ قد سمّى له العباسُ الرجلين ، ولكنه استودَعه إياهُما ، فأبى عبد الله أن يسمّيَهُما لى .

قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه قال :

لما مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالحِجْر سجّى ثوبَه على وجهه[1] ، واستحَثّ[2] راحلته ، ثم قال : لاتدخلوا بيوتَ الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفا أن يُصيبكم مثلُ ما أصابهم .

قال ابن إسحاق :

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكَوْا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابةً ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتَهم من الماء .

---

(١) سجى ثوبه على وجهه : غطاه به .
(٢) استحث راحلته : استعجلها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل، قال : قلت لمحمود :

هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال: نعم والله ، إنْ كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته ، ثم يَلبَسُ بعضُهم بعضا على ذلك . ثم قال محمود: لقد أخبرنى رجالٌ من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقُه، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الناس[1] بالحجر ما كان ، ودعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السحابةَ ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، قالوا أقبلنا عليه نقول : ويْحَك، هل بعد هذا شيء ! قال : سحابةٌ مارَّة .

ناقة الرسول ضلت وحديث ابن اللصيت

قال ابن إسحاق :

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلتْ ناقته ، فخرج أصحابُه فى طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه، يقال له عُمارة بن حزم، وكان عَقَبيا بَدْرِيًّا، وهو عم بنى عمرو بن حزم، وكان فى رَحْله زيدُ بن اللُّصَيت القَيْنُقَاعى، وكان منافقا .

قال ابن هشام : ويقال ابن لُصيب (بالباء) .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن رجال من بنى عبد الأشهل قالوا[2] :

فقال زيد بن اللصيت ، وهو فى رحل عُمارة ، وعمارة عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبيّ ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لايدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلا قال: هذا محمدٌ يخبركم أنه نبي ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله، وقد دلنى الله عليها، وهى فى هذا الوادى ، فى شِعب كذا

(١) فى ا : « من أمر الماء » . وفى الزرقانى : «من أمر الحجر» نقلا عن ابن إسحاق .
(٢) هذا السند كله ساقط من ا .

وكذا، قد حبستْها شجرةٌ بزمامها، فانطلِقوا حتى تأْتونى بها، فذهبوا، فجاءوا بها. فرجع عُمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعَجَبٌ من شىء حَدَّثَنَاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آنفا، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، لِلّذِى قال زيدُ ابن لُصَيْت؛ فقال رجل ممن كان فى رحل عُمارة ولم يحضُر رسول الله صلى الله عليه وسلم: زيدٌ والله قال هذه المقالة قبــل أن تأتى. فأقبل عُمارة على زيد يَجَا فى عُنقه[1] ويقول: إلىَّ عباد الله، إنّ فى رحلى لداهيةً وما أشعر، اُخرُجْ أىْ عدوَّ الله من رحلى، فلا تَصْحَبْنى.

شأن أبى ذر

قال ابن إسحاق:

فزعم بعضُ الناس أن زيدا تاب بعد ذلك؛ وقال بعض الناس لم يزل مُتَّهَما بِشَرٍّ حتى هلك.

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سائِراً، فجعل يتخلَّفُ عنه الرجُل، فيقولون: يارسول الله، تخلَّف فلان، فيقول: دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقدأراحكم الله منه، حتى قيل: يارسول الله، قد تخلَّف أبو ذَرٍّ، وأبطأ به بعيره؛ فقال: دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقهُ الله بكم، وإن يك غيرُ ذلك فقد أراحكم الله منه؛ وتلوَّم[2] أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثَرَ رسول الله صلى الله عليــه وسلم ماشياً. ونزل رسول الله فى بعض منازله، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال: يارسول الله، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كُنْ أبا ذر[3]. فلما تأمَّله القومُ قالوا: يارسول الله، هو والله أبو ذر؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله أباذر، يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده.

---

(١) يجأ فى عنقه: يطعنه فى عنقه.

(٢) تلوم: تمكث وتمهل.

(٣) كن أبا ذر: لفظه لفظ الأمر، ومعناه الدعاء، أى أرجو الله أن تكون أبا ذر.

وقال ابن إسحاق : فحدثنى بُرَيْدَة بن سفيانَ الأسلمى ، عن محمد بن كعب القُرظى ، عن عبد الله بن مسعود ، قال :

لما نفى عثمانُ أبا ذر إلى الرَّبَذَة[1] ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحدٌ إلا امرأتُه وغلامه ، فأوصاهما أنِ اغسِلانى وكفِّنانى ، ثم ضَعانى على قارعة الطريق ، فأوّل رَكْب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنِه . فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ؛ وأقبل عبدُ الله بن مسعود فى رَهْطٍ من أهل العراق عُمّار ، فلم يَرُعْهم إلا بالجِنازة على ظهر الطريق ، قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذَرّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهلّ عبدالله ابن مسعود يبكى ويقول : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمشى وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبْعَثُ وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فواروهُ ، ثم حدثهم عبد الله ابن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره إلى تبوك .

تخذيل المنافقين المسلمين وما نزل فيهم

قال ابن إسحاق :

وقد كان رَهْطٌ من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت ، أخو بنى عمرو ابن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبنى سَلِمة ، يقال له : مُخَشِّن بن حُمَيِّر — قال ابن هشام : ويقال مَخْشِىّ — يُشيرون إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسِبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضِهم بعضا ! والله لكأنّا بكم غدا مُقَرَّنين فى الحبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين ، فقال مُخشِّن بن حُمَيِّر : والله لوَدِدْتُ أنّى أقاضَى على أن يُضْرب كلّ [رجل][2] منا مئة جلدة ، وأنّا ننفَلِتُ أن يَنزِل فينا قرآن لمقالتكم هذه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — لعَمّار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا[3] ، فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ، قلتم كذا وكذا .

---

(١) الربذة : موضع قرب المدينة .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى م ، ر . واحترقوا : هلكوا ، وذلك الذى كانوا يخوضون فيه . وفى ا « اخترقوا » ٥٢

فانطلق إليهم عمّار ، فقال ذلك لهم ؛ فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبها(1) : يارسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عزوجل : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ » . وقال مُخَشّن ابن حُمَيِّر : يارسول الله ، قعدبى اسمى واسم أبى ؛ وكان الذى عُفِيَ عنه فى هذه الآية مخشّن بن حُمَيِّر ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يُعْلَمَ بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر .

الصلح بين الرسول ويحنة

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تَبُوكَ، أتاه يُحَنَّةَ بن رُؤْبة ، صاحب أَيْلة ، فصالح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجِزْية ، وأتاه أهل جَرباء وأَذْرُح ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابا ، فهو عندهم .

كتاب الرسول ليحنة

فكتب ليُحَنَّةَ بن رؤبة .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ ومحمدٍ النبى رسول الله ليُحَنَّةَ ابن رُؤْبة وأهل أيلة ، سُفُنِهِمْ وسيَّارتهم فى البر والبحر : لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبى ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمَن أحدث منهم حَدَثا ، فإنه لايحول ماله دُونَ نفسه ، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس ، وإنه لايحل أن يُمْنَعوا ماء يَردونه ، ولا طريقا يُريدونه ، من بر أو بحر .

حديث أسر أكيدر ثم مصالحته

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أُكَيْدِر دُومة ، وهو أُكَيْدر بن عبد الملك ، رجل من كِنْدة كان ملكا عليها ، وكان نصرانيا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يَصيد

(1) الحقب (بوزن سبب) : حبل يشد على بطن البعير ، سوى الحزام الذى يشد فيه الرحل.

البَقَر. فخرج خالد ، حتى إذا كان من حِصنه بمنظر العين ، وفى ليلة مُقمِرة صائفة ، وهو على سَطْح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تَحُكُ بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قَطّ ؟ قال : لا ، والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأُسْرِج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له يقال له حسّان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ؛ وقد كان عليه قَباء من دِيباجٍ مُخَوَّص بالذَّهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمرَ بن قتادة ، عن أنس بن مالك، قال: رأيت قَباء أُكيْدِر حين قُدِم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يَلْمِسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا ؟ فوالذى نفسى بيده لَمَناديل سَعْد بن مُعاذٍ فى الجنة أحسن من هذا .

قال ابن إسحاق :

ثم إن خالداً قدم بأُكَيْدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجِزية ، ثم خلّى سبيله ، فرجع إلى قريته ؛ فقال رجل من طيِّئ : يقال له بُجَيرُ بن بُجَرَةَ ، يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يَصيد البقَر، وما صنعت البُقَر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تباركَ سائقُ البقراتِ إنّى رأيتُ الله يَهْدِى كل هادى
فمن يكُ حائداً عن ذى تَبوكٍ فإنّا قَدْ أُمِرْنا بالجِهـــاد

الرجوع إلى المدينة

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتَبوكَ بضع عشرة ليلة ، لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة .

حديث وادى المشقق ومائه

وكان فى الطريق ماء يخرج من وَشَل[1] ، ما يُرْوِى الراكبَ والراكبَيْن والثلاثة، بواد يقال له وادى المُشَقَّق؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سَبقنا إلى ذلك الوادى[2] فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيَه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه ، فلم يرفيه شيئاً . فقال : من سبقنا إلى هذا المـاء ، فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : أو لم أنهم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيه ! ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحتَ الوَشَل ، فجعل يصب فى يده ما شاء الله أن يَصُبّ ، ثم نَضَحه به ، ومَسَحه بيده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمـا شاء اللهُ أن يدعو به ، فانخرق من المـاء ـ كما يقول من سمعه ـ ما إنّ له حِسًّا كحِسّ الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم اومن بقى منكم لتسمعُنّ بهذا الوادى وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

وفاة ذى البجادين وقيام الرسول على دفنه

قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِىّ أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال :

قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شُعْلةً من نار فى ناحية العسكر ، قال : فاتَّبعتُها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، و إذا عبد الله ذو البِجَادين المزنىّ قد مات ، و إذا هم قد حفروا له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيانه إليه ، وهو يقول : أَدْنِيا إلىّ أخاكما ، فدَلَّياه إليه ، فلما هيأه لشِقه قال : اللهم إنى أمسيت راضيا عنه ، فارض عنه . قال : يقولُ عبد الله بن مسعود : يا ليتنى كنتَ صاحب الحُفْرة .

---

(١) الوشل : حجر أو جبل يقطر منه المـاء قليلا قليلا ؛ وهو أيضا القليل من المـاء .

(٢) فى : « ذلك المـاء » .

سبب تسميته ذا البجادين

قال ابن هشام :

وإنما سُمِّى ذا البجادين ، لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه من ذلك ، ويُضيقون عليه ، حتى تركوه فى بِجاد ليس عليه غيره ، والبجاد الكساء الغليظ الجافى ، فهَرَب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريباً منه ، شق بجاده باثنين ، فاتَّزر بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له ، ذو البجادين لذلك ، والبجاد أيضا : المِسْح ، قال ابن هشام : قال امرؤ القيس :

كأن أباناً فى عَرانينِ[1] وَدْقه ... كبيرُ أناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّلِ

سؤال الرسول لأبى رهم عمن تخلف

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى ، عن ابن أُكَيمةَ الليثى ، عن ابن أخى أبى رُهْمٍ الغِفارىّ ، أنه سمع أبا رُهْمٍ كُلْثومَ بنَ الحُصَيْن ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول :

غزوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تَبُوكَ ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألقى الله علينا النُّعاس[2] ، فطَفِقْتُ أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيُفزِعنى دنوها منه ، مخافة أن أصيب رجله فى الغَرْزِ[3] ، فطفقت أَحُوزُ[4] راحلتى عنه ، حتى غَلَبتنى عينى فى بعض الطريق ، ونحن فى بعض الليل ، فزاحمتْ راحلتى راحلةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلُه فى الغَرْز ، فما استيقظت إلا بقوله : حَسِّ[5] ، فقلتُ : يارسول الله ، استغفِر لى . فقال : سر ، فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمن تخلف من

---

(١) فى ا : « أفانين » .
(٢) فى ا : « وألقى على النعاس » .
(٣) الغرز للرحل : بمنزلة الركاب للسرج .
(٤) أحوز : أبعد .
(٥) حسّ : كلمة معناها : أتألم ، يقولها الإنسان إذا أصيب بشىء . قال الأصمعى : هو بمعنى أوّه .

بنى غِفَار ، فأخبره به ؛ فقال وهو يسألنى : مافعل النَّفَر الحُمْر الطِّوال الثِّطاط (١). فحدَّثته بتخلفهم . قال : فما فعل النفر السود الجِعاد القصار ؟ قال : قلت : والله ماأعرف هؤلاء منا (٢) . قال: بلى ، الذين لهم نَعَمٌ بشَبَكَة شَدَخ (٣)؛ فتذكَّرتُهم فى بنى غِفَار، ولم أذكُرْهُم حتى ذكرتُ أنهم رهطٌ من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يارسولَ الله ، أولئك رهطٌ من أسلم،حلفاء فينا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منع أحد أولئك حين تَخَلَّف أن يحمل على بعير من إبله امرأ نشيطاً فى سبيل الله ، إن أعزَّ أهلى علىَّ أن يتخلَّف عنى المهاجرون من قريش والأنصارُ وغفارٌ وأسْلَمُ .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

دعوتهم الرسول للصلاة فيه

قال ابن إسحاق :

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى (٤) أوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعةٌ من نهار ، وكان أصحابُ مسجد الضِّرار قد كانوا أتوه وهو يتجهَّز إلى تبوك ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلّة والحاجة والليلة المَطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نُحب أن تأتينا، فتصلِّى لنا فيه ؛ فقال : إنى على جَناح سَفر ، وحال شُغل ، أوكما قال صلّى الله عليه وسلم، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

---

(١) الثطاط : جمع ثط ، وهو صغير نبات شعر اللحية .

(٢) فى ا : « هؤلاء منى » .

(٣) كذا فى الأصول ومعجم البلدان . وشبكة شدخ : ماء لأسلم من بنى غفار . وفى اللسان والنهاية لابن الأثير (مادة شبك) : « بشبكة جرح » . وفيهما أنها موضع بالحجاز ، فى ديار غفار .

(٤) قال أبو ذر : « كذا وقع فى الأصل بفتح الهمزة ، والخشنى يرويه بضم الهمزة حيث وقع » .

أمر الرسول اثنين بهدمه

فلما نزل بذى أوان أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالكَ بن الدُّخشم ، أخا بنى سالم بن عوف ، ومَعْن بن عدىّ ، أو أخاه عاصم ابن عدىّ ، أخا بنى العَجْلان ، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه، فاهدماه وحرقاه . فخرجا سريعَيْن حتى أتَيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك ابن الدُّخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعفا من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرّقاه وهدّماه ، وتفرّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ إلى آخر القصة .

أسماء بناته

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خِذَام بن خالد ، من بنى عبيد بن زَيْد ، أحد بنى عمرو بن عوف ، ومن داره أُخرج مسجد الشّقاق ، وثعلبة بن حاطب من بنى أُميَّة بن زيد ، ومعتِّب بن قُشَير ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وأبو حَبيبة ابن الأزعر ، من بنى ضُبيعة بن زيد ، وعبَّاد بن حُنَيف ، أخو سهل بن حُنيف ، من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مُجمِّع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونبْتَل بن الحارث ، من بنى ضُبيعة ، وبَحْزَج ، من بنى ضُبيعة ، وبِجاد[1] ابن عثمان ، من بنى ضُبيعة ، ووديعة ابن ثابت ، وهو من بنى أمية [بن زيد[2]] رهط أبى لُبابة بن عبد المنذر .

مساجد الرسول فيما بين المدينة إلى تبوك

وكانت مساجد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومةً مسماة : مسجدٌ بتبوك ، ومسجد بثنية مداران ، ومسجد بذات الزِّراب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الْخِطمِىّ ومسجد بألاء ، ومسجد بطرف البتراء ، من ذنب كواكب ، ومسجد بالشِّق ، شِق تارا ، ومسجد بذى الجِيفَة ، ومسجد بَصَدْر حَوْضَى ، ومسجد بالحِجْر ، ومسجد بالصّعيد ، ومسجد بالوادى ،

---

(١) قال أبو ذر : روى هنا بالباء والنون ، وبجاد (بالباء) قيده الدارقطنى .
(٢) زيادة عن ا .

اليوم ، وادى القُرى ، ومسجد بالرَّقْعة من الشُّقة ، شِقة بنى عُذرة ، ومسجد بذى المَرْوة ، ومسجد بالفَيْفاء ، ومسجد بذى خُشُب

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك

نهى الرسول عن كلام الثلاثة المخلفين

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد كان تخلّف عنه رهطٌ من المنافقين ، وتخلّف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم لأصحابه : لاتكلمُنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلّف عنه من المنافقين، فجعلوا يَحْلفون له و يعتذرون، فصفح عنهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يَعْذِرهم الله ولا رسولُه . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

حديث كعب عن تخلفه

قال ابن إسحاق : فذكر الزُّهرى محمد بن مسلم بن شهاب، عن عبدالرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك : أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصرُه ، قال : سمعت أبى كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال :

ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط، غير انى كنت قد تخلفت عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسولُه أحدا تخلّف عنها ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد عير قُريش ، حتى جمع الله بينه و بين عدوّه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلَم العقبة ، وحين تواثَقْنا على الإسلام ، وما أُحب أنّ لى بها مشهدَ بدر ، و إن كانت غزوةُ بدر هى أذْكر فى الناس منها . قال : كان من خبرى حين تخلّفت عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبوك أنى لم أكن قطّ أقوَى ولا أيسر

منى حين تخلّفت عنه فى تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قطّ حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يُريد غزوةً يغزوها إلا ورّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ، واستقبل غزو عدوّ كثير ، فجلّى للناس أمرَهم، ليتأهبوا لذلك أُهبته ، وأخــــبرهم خبره بوجهه الذى يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لايجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول : لايجمعهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فقَلَّ رجل يريد أن يتغيّب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك ، مالم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسولُ الله صــلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمـار وأُحِبَّت الظلال ، فالناس إليها صُعْر[1] ؛ فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجهز المسلمون معه ، وجعلت أغدو لأتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى ، أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمّر بالناس الجدُّ ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديًا ، والمسلمون معه ، ولم أقضِ من جهازى شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم الحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقضِ شيئًا ، ثم غدوت فرجعت ولم أقضِ شيئاً ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا ، وتَفَرَّطَ[2] الغزو ، فهممتُ أن أرتحل ، فأدركهم ، وليتنى فعلتُ ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعدَ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفتُ فيهم ، يَحزُنى أنى لاأرى إلا رجلاً مغموصاً[3] عليه فى النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صــلى الله عليه وسلم حتى بلغَ تبوكَ ، فقال وهو جالس

(١) صعر : جمع أصعر ، وهو المـائل ، ومنه قوله تعالى : (ولا تصعر خدك للناس) أى لاتعرض عنهم ، ولا تمل وجهك إلى جهة أخرى .

(٢) تفرط الغزو : أى فات وسبق .

(٣) مغموصا عليه : مطعونا عليه .

فى القوم بتبوك : مافعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سَلِمة : يارسول الله ، حبسه بُرْداهُ ، والنظر فى عِطْفيه ؛ فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يارسول الله ماعَلِمنا منه إلا خيراً ؛ فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغنى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد توجّه قافلاً من تبوك ، حضَرنى بَثِّى[1] ، فجعلت أتذكَّر الكَذِب وأقول : بماذا أخرج من سَخْطة رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا ، وأستعين على ذلك كلّ ذى رأى من أهلى ؛ فلما قِيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلّ[2] قادماً زاح[3] عنى الباطلُ ، وعرفت أنى لاأنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقه ، وصبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلَّفون، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيَتَهم وأيمانَهم ، ويستغفر لهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلّمت عليه ، فتبسّم تبسمَ المُغضَب، ثم قال لى : تعاله، فجئت أمشى، حتى جلست بين يديه، فقال لى : ماخلّفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إنى يارسول الله ، والله لوجلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعطيت جَدلا ، ولكن والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديثا كذِباً لترضين عنى ، ولَيُوشكن الله أن يُسْخطك علىّ ، ولئن حدثتك حديثاً صِدقا تَجد علىّ فيه ، إنى لأرجو عُقْباى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر منّى حين تخلّفت عنك . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّا هذا فقد صدقت فيه ، فقُمْ حتى يَقضى الله فيك . فقُمت ، وثار معى رجالُ من

(١) بثى : حزنى .
(٢) أظل : أشرف وقرب .
(٣) زاح عنى : ذهب وزال .

بنى سَلِمة ، فاتّبعونى ، فقالوا لى : والله ما علمناك كنتَ أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزتَ أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمااعتذر به إليه المخلّفون ، قد كان كافيك ذنبَك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك . فوالله مازالوا بى حتى أردت أن أرْجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُكذِّب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ؛ قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة ابن الرّبيع العَمْرى ، من بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن [أبِى[1]] أُمية الواقفى ؛ فذكروا لى رجلين صالحين[2] ، فيهما أُسوة ، فصمَتّ حين ذكروهما لى، ونهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيّها الثلاثة، من بين من تخلّف عنه ، فاجتنبَنا الناسُ، وتغيّروا لنا ، حتى تنكرتْ لى نفسى والأرضُ ، فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأماصاحباى فاستكانا، وقعدا فى بُيوتهما ، وأما أنا فكنتُ أشَبَّ القوم وأجلَدهم ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى، هل حرّك شَفَتيه بردّ السلام علىّ أم لا ؟ ثم أصلّى قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلى ، وإذا التفت نحوَه أعرض عنّى ، حتى إذا طال ذلك علىّ من جفوة المسلمين ، مشَيتُ حتى تسوّرت[3] جدار حائط أبى قَتادة. وهو ابن عمّى ، وأحبُّ الناس إلىّ ، فسلّمت عليه ، فوالله ماردَّ علىّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعدتُ فناشدته، فسكت عنى ، فعُدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله اعلم ، ففاضت عيناى، ووثبت فتسوّرت الحائط، ثم غدوت إلى

(١) زيادة عن .
(٢) فى الزرقانى بعد صالحين : « قد شهدا بدرا ، لى فيهما أسوة » .
(٣) تسورت : علوت .

السوق ، فبينا أنا أمشى بالسوق إذا نَبَطِىّ[١] يسأل عنّى من نَبَط الشام ، ممن قَدِم بالطعام[٢] يَبيعه بالمدينة ، يقول ، من يدلّ على كعب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يُشيرون له إلىّ ، حتى جاءنى ، فدفع إلى كتاباً من ملك غسان ، وكتب كتابًا فى سَرَقة[٣] من حرير ، فإذا فيه : « أما بعد ، فانه قد بلغنا أنّ صاحبك قدجفاك، ولم يَجعلكَ الله بدارهَوان ولا مَضْيعة، فالحقْ بنا نُواسِك»[٤].

قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضاً ، قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فىّ رجلٌ من أهل الشرك . قال: فعَمَدت بها إلى تَنّور،فسَجَرْته[٥] بها . فأقمنا على ذلك ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا رسولُ رسول الله يأتينى ، فقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : قلت : أطلّقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقرَبْها ، وأرسل إلى صاحبىّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك، فكونى عندهم حتى يَقْضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض. قال : وجاءت امرأةُ هلال بن أُمية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت : يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخٌ كبير ضائع لا خادم له ، أفتكره أن أخدمَه ؟ قال : لا ، ولكن لا يَقرَبْنك ؛ قالت : والله يارسول الله مابه من حَرَكة إلىّ ، والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومِه هذا ، ولقد تخوّفت على بصره . قال : فقال لى بعضُ أهلى : لو استأذنتَ رسولَ الله لِامرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال ابن أمية أن تخدمُه ؛ قال : فقلت : والله لا أستأذنه فيها ، ما أدرى مايقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شابّ. قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا . ثم صلّيت الصبح ، صبح

---

(١) النبطى : واحد النبط ، وهم قوم من الأعاجم .
(٢) الطعام (هنا) : القمح .
(٣) السرقة : الشقة من الحرير .
(٤) قال ابن الأثير فى النهاية : « المواساة : المشاركة والمساهمة فى المعاش والرزق . وأصلها الهمز ، فقلبت واوا ، تخفيفا .
(٥) سجرته . ألهبته .

خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منّا ، قد ضاقت علينا الأرضُ بما رَحُبت ، وضاقت علىّ نفسى ، وقد كنت ابتنيت خَيْمة فى ظهر سَلْع ، فكنت أكون فيها ، إذ سمعتُ صوت صارخ أَوْفَى على ظهر سَلْع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفَرَج .

توبة الله عليهم

قال : وآذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس بتَوْبة الله علينا حين صلَّى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبىّ مبشّرون ، وركض رجل إلىّ فرساً ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعت صوتَه يبشرنى نزعت ثوبىّ ، فكسوتهما إياه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقّانى الناس يبشّروننى بالتّوْبة ، يقولون : لِيَهْنِكَ توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناسُ ، فقام إلىّ طلحة بن عُبيد الله ، فحيّانى وهنّأنى ، ووالله ماقام إلىّ رجل من المهاجرين غيرُه . قال : فكان كعب بن مالك لاينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ، ووجهه يبرُقُ من السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذُ ولدتك أُمّك ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتى إلى الله عزّ وجل أن أنخلع من مالى ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال : قلت : إنى أُمْسك سَهْمى الذى بخيبر : وقلت : يا رسول الله ، إن الله قد نجانى بالصدق ، وإن من توبتى إلى الله أن لا أحدّث إلا صدقا ما حييت[1] ، والله

(١) فى ا : « مابقيت » .

ماأعلم أحداً من الناس أبلاه الله فى صِدْق الحديث منذ ذكرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضلَ مما أبلانى الله ، والله ماتعمّدت من كَذْبة منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى .

وأنزل الله تعالى : « لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا » إلى قوله « وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ».

قال كعب : فوالله ما أنعم الله عليّ نعمةً قطّ بعد أن هدانى الإسلام كانت أعظمَ فى نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أن لا أكون كذبته ، فأهلِكَ كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شرّ ماقال لأحد ،قال : (سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ، إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) .

قال : وكنا خلِّفنا أيها الثلاثةُ عن أمر هؤلاء الذين قَبِل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين حلفوا له نعذرهم ، واستغفرلهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَنا ، حتى قضى الله فيه ماقضى ، فبذلك قال الله تعالى : (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) .

وليس الذى ذكرالله من تَخْليفنا لتخلّفنا عن الغزوة ، ولكن لتخليفه إيانا ، وإرجائه أمرنا عمن حلَف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

في شهر رمضان سنة تسع

سلام عروة بن مسعود ورجوعه إلى قومه

قال ابن إسحاق :

وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ من تَبوكَ في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفدُ ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما يتحدّث قومه : إنهم قاتلوك ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ فيهم نَخوةَ الامتناع الذي كان منهم ؛ فقال عروة : يا رسول الله ، أنا أحبّ إليهم من أبكارهم .

قال ابن هشام : ويقال من أبصارهم .

دعاؤه للإسلام ومقتله

قال ابن إسحاق :

وكان فيهم كذلك محبّبا مطاعا ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ، لمنزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على عِلِّية[1] له ، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ، رمَوْه بالنَّبل من كلّ وجه ، فأصابه سهم فقتله ، فتزعُم بنو مالك أنه قتله رجلٌ منهم ، يقال له أوس بن عَوْف ، أخو بَني سالم بن مالك ، وتزعمُ الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بني عتّاب بن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعُروة : ما ترى في دمك ؟ قال : كرامةٌ أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إليّ ، فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم ، فدفنوه معهم فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثَلَه في قومه لكمثل صاحب ياسين في قومه .

(١) العلية (بكسر العين وضمها) : الغرفة .

ائتمار ثقيف على إرسال نفر للرسول

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عُروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب مَنْ حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

حدثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس :

أن عَمْرو بن أمية ، أخا بني علاج ، كان مهاجراً لعبد ياليلَ بن عمرو ، الذي بينهما سيء[(١)] ، وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب فمَشى إلى عبد ياليلَ ابن عمرو ، حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك : اُخرج إلى ؛ قال : فقال عبدُ ياليل للرسول : ويلك ! أعمرو أرسلك إلى ؟ قال : نعم ، وهاهوذا واقفا في دارك ، فقال : إن هذا الشيء ما كنت أظُنّه ، لَعَمْرو كان أمنع في نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحّب به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هِجْرة ، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، قد أسلمت العربُ كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا في أمركم . فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضُهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سِرْب[(٢)] ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتُطِع ، فأتمروا بينهم ، وأجمعوا أن يُرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ، كما أرسلوا عروة ، فكلّموا عبد ياليلَ بن عمرو بن عُمير ، وكان سِنّ عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به إذا رجع كما صُنع بعُروة . فقال : لست فاعلاً حتى تُرسلوا معى رجالا ، فأجمعوا أن يبعثُوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بني مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتِّب ، وشُرَحبيل بن غَيلان بن سَلِمة بن معتِّب ، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بِشر بن عبد دُهمان ، أخا بني يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بني سالم بن عوف ونُمَير بن خَرَشَة بن ربيعة ، أخا بني الحارث .

---

(١) كذا في الأصول . وفي الزرقاني على المواهب اللدنية : « لشيء كان بينهما » .

(٢) السرب : المال الراعي ، وهو (أيضا) : الطريق ، والنفس .

فخرج بهم عبدُ ياليل ، وهو ناب[1] القوم وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صُنع بعُروة بن مسعود ، لكى يشغل كلّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطه.

قدومهم المدينة وسؤالهم الرسول أشياء أباها عليهم

فلما دنَوا من المدينة ونزلوا قناة ، ألفَوا بها المُغيرة بن شُعْبة ، يرعَى فى نَوْبَته رِكابَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رِعْيتها نُوَبًا على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم ترك الرِّكاب عند الثَّقَفِيين ، وضبر[2] يشتد، ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصدّيق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب ثقيف أنْ قد قدموا يريدون البَيْعة والإسلام ، بأن يَشْرُط لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شُروطا ، ويكتتبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فى قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكون أنا أحدِّثه ؛ ففعل المغيرة . فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه، فرَوح الظَّهر معهم ، وعلّمهم كيف يحيّون رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية . ولما قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قُبّة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتتبوا كتابهم . وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يَطْعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية ، وهى اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم

---

(١) ناب القوم : سيدهم والمدفع عنهم .

(٢) ضبر : وثب .

فما برحوا يسألونه سنة سنة، ويأبى عليهم، حتى سألوا شهرا واحدا بعد مَقْدمهم، فأبى عليهم أن يدَعها شيئاً مسمى، وإنما يريدون بذلك فيما يُظهرون أن يَتَسلَّموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريّهم، ويَكْرهون أن يُرَوِّعوا قومَهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام؛ فأبى رسول الله صلّى الله عليه وسلم عليهم إلا أن يبعث أبا سفيان ابن حَرب والمُغيرة بن شعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنُعفيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه؛ فقالوا: يا محمد، فسنؤتيكها، وإن كانت دناءة.

تأمير عثمان بن أبى العاص عليهم

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابَهم، أمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سنا، وذلك أنه كان أحرصَهم على التفقّه فى الإسلام، وتعلم القرآن. فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، إنى قد رأيتُ هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام، وتعلم القرآن.

بلال ووفد ثقيف فى رمضان

قال ابن إسحاق: وحدثنى عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان ابن ربيعة الثقفى، عن بعض وفدهم قال:

كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصُمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقى من رمضان، بِفطرنا[1] وسَحُورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأتينا بالسَّحور، وإنا لنقول: إنا لنرى الفجر قد طلع، فيقول: قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحّر، لتأخير السُّحور: ويأتينا بفطرنا، وإنا لنقول ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد. فيقول: ما جئتكم حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يَضع يده فى الجَفْنة، فيلتقم منها.

قال ابن هشام: بفَطُورنا وسَحورنا.

---

(١) فى شرح السيرة لأبى ذر: «بفطورنا». وهى رواية ابن هشام بعد.

عهد الرسول لابن أبي العاص حين أمره على ثقيف

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هِند ، عن مُطَرِّف بن عبد الله ابن الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال :

كان من آخر ما عهد إليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني على ثقيف أن قال : ياعثمان ، تجاوز في الصلاة ، واقدُر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبيرَ ، والصغير ، والضعيف ، وذا الحاجة .

هدم الطاغية

قال ابن إسحاق :

فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرةَ بن شعبة ، في هدم الطاغية . فخرجا مع القوم ، حتى إذ قدموا الطائف أراد المُغيرة بن شعبة أن يُقَدِّم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : اُدخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذي الهَدْم ، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يَضْربها بالمِعول ، وقام قومه دونه ، بنو مُعتِّب ، خشية أن يُرمى أو يصاب كما أُصيب عُروة ، وخرج نساء ثقيف حُسَّرا(١) يَبْكين عليها ويقلن :

لتُبْكَيَنَّ دُفَّاع أسلمها الرُّضَّاع(٢)
لم يُحْسِنوا المِصَاع(٣)

قال ابن هشام : «لتُبكَيَنَّ» عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق :

ويقول أبو سفيان والمغيرة يَضْربها بالفأس : واهالك ! آهالك(٤) ! فلما هدمها المغيرة وأخذ مالَها وحُليَّها أرسل إلى أبي سفيان وحُليُّها مجموع ، ومالها من الذهب والجَزْع .

إسلام أبي مليح وقارب

وقد كان أبو مُلَيح بن عروة وقارِب بن الأسود قدِما على رَسولِ اللهِ

---

(١) حسرا : مكشوفات الرءوس .
(٢) سميت «دفاع» لأنها كانت تدفع عنهم ، وتنفع وتضر على زعمهم . والرضاع : اللئام .
(٣) المصاع : المضاربة بالسيوف .
(٤) واهالك : كلمة تقال في معنى التأسف والتحزن .

صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف ، حين قُتل عروة ، يريدان فراق ثقيف ، وأن لايجامعاهم على شيء أبدا ، فأسلما ؛ فقال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تولَّيا مَنْ شئتما ؛ فقالا : نتولى الله ورسوله ؛ فقال رسولُ الله صَلى اللهُ عليه وسلم : وخالَكما أبا سفيان بن حرب ؛ فقالا : وخالَنا أبا سفيان بن حرب .

سؤالهما الرسول قضاء دين من أموال الطاغية

فلما أسلم أهلُ الطائف ووجه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمُغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أبو مُليح بن عروة أن يَقضى عن أبيه عُروة ديناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال له قاربِ بن الأسود ، وعن الأسود يا رسول الله فاقضِه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الأسود مات مشركا . فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسولُ الله ، لكن تَصِل مسلماً ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدَّين على ، وإنما أنا الذى أطلب به . فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيانِ أن يَقْضى دينَ عُروة والأسود من مال الطاغية ؛ فلما جمع المُغيرة مالَها قال لأبى سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عُروة والأسود دينَهما ، فقضى عنهما .

كتاب الرسول لثقيف

وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى ، رسول الله ، إلى المؤمنين: إن عِضاه[1] وَجّ وصيدَه لايُعضد[2] ، من وُجد يفعل شيئاً من ذلك فإنهُ يجلد وتُنزع ثيابه ، فان تعدى ذلك فإنه يُؤْخذ فيبلغ به النبى محمد ، وأن هذا أمر النبى محمد رسول الله .

وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلايتعدّه أحد ، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) العضاه : شجر له شوك ، وهو أنواع ؛ واحدته عضة . ووج : موضع بالطائف .
(٢) لايعضد : لايقطع .

حج أبي بكر بالناس سنة تسع

اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضوان الله عليه

بتأدية أول براءة عنه، وذكر براءة والقصص في تفسيرها

تأمير أبي بكر على الحج

قال ابن إسحاق :

ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقيّة شهر رمضان وشوالا وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحجّ من سنة تسع، ليُقيم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حَجّهم. فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين.

نزول براءة في نقض ما بين الرسول والمشركين

ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد، الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يُصَد عن البيت أحدٌ جاءه، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام. وكان ذلك عهدا عامّا بينه وبين الناس من أهل الشرك، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلّى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص، إلى آجال مسماة، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه في تبوك، وفي قول من قال منهم، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يَستَخْفون بغير ما يُظهرون، منهم مَنْ سُمّى لنا، ومنهم مَن لم يُسمّ لنا، فقال عز وجل : (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِين) أى لأهل العهد العام من أهل الشرك (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ، وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) أى بعد هذه الحجّة (فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أى العهد الخاص إلى الأجل المسمى (ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ

يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) يعنى الأربعة التى ضرب لهم أجلا (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم (اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) .

ثم قال : (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ) الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام ، أن لا يُخيفوكم ولا تخيفوهم فى الحرمة ، ولا فى الشهر الحرام (عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش ، وهى الدِّيل[1] من بنى بكر بن وائل ، الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم . فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) .

ثم قال تعالى : (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) أى المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الإل : الحِلْف . قال أوس بن حَجَر ، أحد بنى أُسيِّد بن عمرو بن تميم :

لولا بنو مالك والإلّ مَرْقَبةٌ ... ومالكٌ فيهمُ الآلاء والشَّرفُ[2]

وهذا البيت فى قصيدة له : وجمعه آلال ، قال الشاعر :

فلا إلٌّ من الآلال بَيْنى ... وبينكمُ فلا تألُنّ جُهْدا

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بنو الديل » .
(٢) الآلاء : النعم .

والذمة : العهد ، قال الأجدع بن مالك الهَمْدانى ، وهو أبو مَسروق ابن الأجدع الفقيه :

وكان علينا ذمةٌ أن تُجاوِزُوا من الأرض معروفًا إلينا ومُنْكراً

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له . وجمعها ذِمم .

(يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ . اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) أى قد اعتدوا عليكم (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ، وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) .

اختصاص الرسول عليا بتأدية براءة عنه

قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنَيف ، عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه ، أنه قال :

لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليُقيم للناس الحج ، قيل له : يارسول الله ، لو بعثت بها إلى أبى بكر ، فقال : لا يؤدّى عنى إلا رجل من أهل بيتى ، ثم دعا علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذّن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ، أنه لايدخل الجنة كافر ، ولايحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، فخرج علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم العَضْباء ، حتى أدرك أبابكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا . فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج ، التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأذّن فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لايدخل الجنة كافر ،

ولا يحج بعد العام مُشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ؛ وأجِّل الناس أربعة أشهر من يوم أذّن فيهم، ليرجع كلّ قوم إلى مأمنهم أو بلادهم[1]، ثم لا عهد لمشرك ولا ذِمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة، فهو له إلى مدته. فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عُريان .

ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن اسحاق :

فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

ما نزل في الأمر بجهاد المشركين

قال ابن إسحاق .

ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك ، ممن نقض من أهل العهد الخاص ، وَمَنْ كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلا إلا أن يعدوَ فيها عاد منهم ، فيقتل[2] بعدائه ، فقال : (أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ) أى من بعد ذلك (عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : وليجة: دخيل ، وجمعها : ولائج ؛ وهو من وَلَجَ يَلِج ، أى

---

(1) فى ا : « وبلادهم » .

(2) فى ا : « فيقبل بعدائه »

دخل يدخل ، وفى كتاب الله عز وجل : (حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمِّ الْخِيَاطِ) أى يدخل ، يقول : لم يتخذوا دخيلا من دونه يُسِرُّون إليه غير مايظهرون ، نحو مايصنع المنافقون ، يُظهرون الإيمان للذين آمنوا (وَإِذَا خَلَوْا إِلى شَيَاطِينِهِم قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) قال الشاعر :

واعلم بأنك قد جُعلت وليجةً ساقُوا إليك الحَتْفَ غَيْرَ مَشُوب[1]

ما نزل فى الرد على قريش بادعائهم عمارة البيت

قال ابن إسحاق :

ثم ذكر قول قريش : إنا أهلُ الحرم ، وسُقاة الحاج ، وعمّار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا ؛ فقال : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) أى إن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يعمُر مساجد الله ، أى من عمرها بحقها (مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ) أى[2] فأولئك عُمَّارها (فَعَسَى أُولٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ) وعسى من الله : حق.

ثم قال تعالى : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَيَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ) .

ما نزل فى الأمر بقتال المشركين

ثم القصة عن عدوهم ، حتى انتهى إلى ذكر حنين ، وما كان فيه ، وتولّيهم عن عدوهم ، وما أنزل الله تعالى من نَصْره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى : (إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) وذلك أن الناس قالوا : لتَنْقطعن عنا الأسواق ، فلتهلِكنّ التجارة، وليذهبن ما كنّا نصيب فيها من المرافق فقال الله عز وجل (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) أى من وجه غير ذلك (إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَاحَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) أى فى

---

(١) غير مشوب : غير مخلوط .
(٢) فى ا : « ألا فأولئك » .

هذا عوض مما تخوّفتم من قَطع الأسواق ، فعوّضهم الله بما قطع[1] عنهم بأمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجِزية .

ما نزل في أهل الكتابين

ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشرّ والفرية عليه، حتى انتهى إلى قوله تعالى: (إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » .

ما نزل في النسيء

ثم ذكر النسيء ، وما كانت العرب أحدَثَت فيه . والنسيء ما كان يُحَل مما حرّم الله تعالى من الشهور ، ويُحَرَّم مما أحل الله منها ، فقال : (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) أي لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما ، أي كما فعل أهلُ الشرك (إِنَّمَا النَّسِيءُ) الذي كانوا يصنعون (زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) .

ما نزل في تبوك

ثم ذكر تبوكَ وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزو الروم ، حين دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونفاقَ من نافق من المنافقين ، حين دُعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نعى[2] عليهم من إحداثهم في الإسلام ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) ، ثم القصةَ إلى قوله تعالى : (يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) إلى قوله تعالى: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ

---

(١) في م ، ر : « مما » .

(٢) نعى عليهم : عابهم وعتب عليهم .

فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) .

ما نزل فى أهل النفاق

ثم قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل النفاق: (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ، وَلَـٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ، وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) أى إنهم يستطيعون (عَفَا اللهُ عَنْكَ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) ؟ إلى قوله : (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ، يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أوضعوا خلالكم : ساروا بين أضعافكم ، فالإيضاع : ضرب من السير أسرع من المشى ، قال الأجدع بن مالك الهَمْدانِى :

يَصْطادكَ الوحَدَ المُدِلَّ بشأوه ... بِشَرِيجِ بَيْنَ الشَّدِّ والإيضاع[1]

وهذا البيت فى قصيدة له .

عود الى ما نزل فى أهل النفاق

قال ابن إسحاق :

وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم : عبدالله بن أُبَىّ ابن سَلول ، والجَدّ بن قيس ؛ وكانوا أشرافاً فى قومهم ، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه، فيفسدوا عليه جنده ، وكان فى جنده قومٌ أهل محبة لهم، وطاعةٍ فيما يدعونهم إليه، لشرفهم فيهم . فقال تعالى: (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) أى من قبل أن يستأذنوك ، (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) أى ليُخَذِّلوا عنك أصحابك ، ويردوا عليك أمرك (حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ـ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا)، وكان الذى قال ذلك ، فيما سُمِّى لنا ، الجَدّ بن قيس ، أخو بنى سَلِمةَ ، حين دعاه

---

(١) الوحد : (بفتح الحاء وكسرها) : المفرد ، يريد فرسا . قال أبو ذر : « والجيد رواية من روى (الوحد المدل) بالنصب ، ويعنى به الثور الوحشى ؛ ويضمر فى قوله (يصطاد) ضميرا يرجع إلى فرس متقدم الذكر » . وشأوه : سبقه . والشريج : النوع . يقال : هما شريجان ، أى نوعان مختلفان . والشد (هنا) : الجرى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم. ثم كانت القصة إلى قوله تعالى: (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا، وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم.

ما نزل فى ذكر أصحاب الصدقات

ثم بين الصدقات لمن هى، وسمى أهلها فقال: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ، فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

ما نزل فيمن آذوا الرسول

ثم ذكر غشهم وأذاهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). وكان الذى يقول تلك المقالة، فيما بلغنى، نَبْتَل بن الحارث أخو بنى عمرو ابن عوف، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه كان يقول: إنما محمد أُذُن، مَن حدّثه شيئاً صدّقه. يقول الله تعالى: (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ)، أى يسمع الخير ويصدق به.

ثم قال تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) ثم قال: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) إلى قوله تعالى: (إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً) وكان الذى قال هذه المقالة وَديعة بن ثابت، أخو بنى أمية بن زيد، من بنى عمرو بن عوف، وكان الذى عُفِيَ عنه، فيما بلغنى: مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر الأشجعىّ، حليف بنى سَلِمة، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع.

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا

وَلقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) إلى قوله: (مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ). وكان الذى قال تلك المقالة الجُلَاس بن سُويد بن صامت ، فرفعها عليه رجلٌ كان فى حَجْرِه ، يقال لهُ عمير بن سعد ، فأنكرها ، وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حالُه وتوبته ، فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وكان الذى عاهد الله منهم ثَعلبة بن حاطب ، ومُعَتِّب ابن قُشَير ، وهما من بنى عمر بن عوف .

ثم قال : (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وكان المطَّوِّعون من المؤمنين فى الصدقات عبدَ الرحمن بن عوف، وعاصمَ بن عدى أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَغَّب فى الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبدَ الرحمن بن عوف، فتصدَّق بأربعة آلاف درهم، وقام عاصم ابن عدى، فتصدّق بمئة وَسْق من تمر، فلمزوهما وقالوا : ماهذا إلا رياء ، وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أُنيف ، أتى بصاع من تمر، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغَنِىّ عن صاع أبى عقيل .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأمر بالسّير إلى تبوك ، على شدة الحر وجدب البلاد ، فقال تعالى : (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ. فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) إلى قوله : (وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ) .

ما نزل بسبب صلاة النبي على ابن أبىّ

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال :

سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفى عبد الله بن أُبَىّ دُعِىَ رسول الله

صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يُريد الصلاة ، تحوّلتُ حتى قمت فى صدره ، فقلت : يارسول الله ، أتصلى على عدوّ الله عبد الله ابن أُبَىّ بن سَلول ؟ القائل كذا يوم كذا ، والقائل كذا يوم كذا ؟ أعدِّد أيامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت قال : ياعمر ، أخِّر عنى ، إنى قد خُيِّرت فاخترت ، قد قيل لى : (ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ) فلو أعلم أنى إن زدت على السبعين غُفر له ، لزِدت قال ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فُرِغ منه . قال: فعجِبت لى ولجُرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان : (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

ما نزل فى المستأذنين

قال ابن إسحاق :

ثم قال تعالى : (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) وكان ابن أُبَىّ من أولئك ، فنعَى الله ذلك عليه، وذكره منه ، ثم قال تعالى : (لَـٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَـٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ) إلى آخر القصة وكان المعذرون ، فيما بلغنى ، نفرا من بنى غِفار منهم خُفافُ بن أيماء ابن رَحَضة ، ثم كانت القصة لأهل العُذر ، حتى انتهى إلى قوله : (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) ، وهم البكاءون .

ثم قال تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). والخوالف: النساء. ثم ذكر حَلِفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال: (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ) ، إلى قوله تعالى : (فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) .

ما نزل فيمن نافق من الأعراب

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربُّصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فقال : (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ) أى من صدقة أو نفقة فى سَبِيلِ اللهِ (مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ) .

ما نزل فى السابقين من المهاجرين والأنصار

ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان ، فقال : (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) ، ثم قال تعالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ) أى لجُّوا فيه ، وأبَوْا غيره (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) ، والعذاب الذى أوعدهم الله تعالى مرتين ، فيما بلغنى غمّهم بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غَيظ ذلك على غير حِسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يُردّون إليه ، عذاب النار والخلد فيه . ثم قال تعالى : (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

ثم قال تعالى : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) إلى آخر القصة . ثم قال تعالى : (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) وهم الثلاثة الذين خُلِّفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى

أتت من الله توبتهم . ثم قال تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً) إلى آخر القصة . ثم قال تعالى : (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) . ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءةُ تسمى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وبعدَه المبعثِرة ، لما كشفت من سرائر الناس . وكانت تَبُوكُ آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان الذى عدد فيه المغازى

وقال حسان بن ثابت يُعَدِّد أيام الأنصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

ألستُ خيرَ معدٍّ كلِّها نفراً ... ومعشراً إن هم عُمُّوا وإن حُصِلوا[1]
قَوْم همُ شَهِدوا بدراً بأجمعهم ... مع الرسول فما ألَوْا وما خَذلوا[2]
وبايعُوه فلم يَنْكُث به أحدٌ ... منهم ولم يَكُ فى إيمانهم دَخَل[3]
ويومَ صَبَّحهم فى الشِّعب من أُحُد ... ضَرْبٌ رَصين كحَرِّ النار مُشْتعل[4]
ويوم ذى قَرَد يوم استثَار بهم ... على الجياد فما خامُوا وما نَكلوا[5]

(١) حصلوا : جمعوا ؛ وأراد : « حصلوا » بالتشديد ، فخفف . قال أبو ذر : « ومن قال : (عموا وإن حصلوا) بالفتح ، فقد نسب الفعل إليهم ؛ يريد : وإن عموا أنفسهم وحصلوها » .

(٢) ما ألوا : ما قصروا . ويروى : « ما آلوا » بالمد ، أى ما أبطئوا ؛ كما يروى : « ما ألَّوا » بتشديد اللام ، أى ما قصروا (أيضاً) ، إلا أنه شدد للمبالغة .

(٣) دخل : فساد .

(٤) رصين : ثابت محكم .

(٥) خاموا ونكلوا : جبنوا عن هيبة وفزع .

وذا العُشَـيرة جاسُوها بِخَيْلِهِمُ   مع الرسول عليها البيضُ والأَسَل[1]
وَيومَ وَدّانَ أَجْلَوا أهلَه رَقَصًا   بالخيلِ حتى نهانا الحَزْن والجَبل[2]
وليـلةً طلبُوا فيها عدوَّهم   لله والله يَجْزيهم بما عمـلوا
وغزوةً يومَ نَجْد ثمّ كان لهـم   مع الرسول بها الأَسْلاب والنَّفَل
وليـلةً بحُنين جالدُوا معه   فيها يَعلُّهم بالحَرْب إذ نَهَـلوا[3]
وغزوةَ القاع فرّقنا العـدوّ به   كما تُفرّق دون المَشْرب الرّسَل[4]
ويومَ بُويعَ كانوا أهـلَ بَيْعته   على الجِلاد فآسَـوْه وما عدَلوا
وغزوَةَ الفَتح كانوا فى سَريّته   مُرابطين فما طاشوا وما عجِلوا
ويومَ خَيْـبر كانوا فى كَتيبته   يَمْشون كلُّهمُ مُسْتبسِل بَطَل[5]
بالبِيض تُرْعَش فى الأَيمان عارية   تَعْوَجّ فى الضرب أحيانًا وتعتدل
ويومَ سار رسول الله محتسباً   إلى تبـوكَ وهم راياتُه الأُول
وساسةُ الحَربِ إن حربٌ بدت لهمُ   حتى بدا لهـم الإقبال والقَفَل[6]
أولئـك القوم أنصارُ النبيّ وهمْ   قَوْمى أصير إليهم حين أَتَّصـل[7]
ماتوا كرامًا ولم تُنْكَث عهودهم   وقتلهم فِى سبيل الله إذ قُتـلوا

قال ابن هشام : عجز آخرها بيتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق :

وقال حسان بن ثابت أيضا :

---

(١) جاسوها: وطئوها. ويروى: « داسوها » . والبيض : السيوف ، والأسل : الرماح .
(٢) الرقص (بسكون القاف وفتحها) : ضرب من المشى ، وهو الخبب . والحزن : ما ارتفع من الأرض.
(٣) يعلهم : أى يكررها عليهم . من العلل ، وهو الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول .
(٤) الرسل : الإبل .
(٥) مستبسل : موطن نفسه على الموت .
(٦) القفل : الرجوع .
(٧) حين أتصل : حين أنتسب .

كُنَّا ملوكَ الناسِ قبل محمدٍ   فلما أتى الإسلامُ كان لنا الفَضْلُ
وأ كرَمنا اللهُ الذى ليس غيرَه   إلهٌ بأيامٍ مضتْ مالها شَكْلُ (١)
بنَصْر الإله والرسول (٢) ودِينه   وأَلْبَسَناه أسماً مضى ماله مِثْلُ (٣)
أولئك قومى خيرُ قوم بأسْرِهم   فما عُدّ من خير فقَوْمى له أهل
يَرُبّون بالمعروف معروف من مضى   وليس عليهم دونَ معروفهم قُفْلُ (٤)
إذا اختُبِطوا لم يُفحِشوا فى نديّهم   وليس على سُؤَّالهم عندهم بُخل (٥)
وإن حاربوا أو سالموا لم يُشَبَّهوا   فحَرْبهم حَتْف وسِلْمهمْ سَهْل (٦)
وجارُهم مُوفٍ بعليـــاء بيتِه   له ماثَوى فينا الكرامةُ والبَذْلُ (٧)
وحاملُهم مُـــوفٍ بكل حَمالة   تحمّل لا غُرْم عليها ولا خَذْلُ (٨)
وقائلُهم بالحقّ إن قال قائلٌ   وحِلْمهمُ عَوْد وحُكْمهمُ عَدْلُ (٩)
ومنّا أمين المُسْلمين حياتَه   ومن غسّلته من جَنابته الرُّسْل (١)

قال ابن هشام : وقوله : « وألبسناهُ اسماً » عن غير ابن إسحاق :

---

(١) شكل : مثل .
(٢) فى الديوان : « والنبى » .
(٣) فى الديوان : « وأكرمنا باسم مضى . . . الخ » .
(٤) يربون : يصلحون . ورواية الشطر الثانى فى الديوان : « وليس على معروفهم أبداً قفل »
(٥) اختبطوا : قصدوا فى مجلسهم ؛ والمختبط : الطالب للمعروف . ويروى : «اختطبوا» من الخطبة : ونديهم : مجلسهم .
(٦) جاء هذا البيت فى الديوان قبل آخر بيت فى القصيدة .
(٧) العلياء : الموضع المرتفع . ورواية الشطر الأول فى الديوان : « وجارهم فيهم . . . الخ » وترتيب هذا البيت فى الديوان بعد البيت الذى يليه .
(٨) الحمالة : مايتحمله الإنسان من غرم فى دية .
(٩) عود : قديم متكرر . ورواية هذه البيت فى الديوان :

وقائلهم بالحـــق أول قائل   فحكمهم عدل ، وقولهم فصل

(١) أمين المسلمين : يعنى سعد بن معاذ . ومن غسلته : يعنى « حنظلة » الذى غسلته الملائكة حين استشهد يوم أحد . والرسل (هنا) : الملائكة .

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضاً :

قَوْمى أولئك إن تســـأَلِى ... كرامٌ إذا الضيفُ يوما أَلَمّ (١)
عِظام القُـــدور لأيسارهم ... يَكبُتونَ فيها المُسِنَّ السَّـنِم (٢)
يُؤَاســـون جَارَهم فى الغِنى ... وَيحْمون مـــــولاهُم إن ظُلِم
فكانوا ملوكاً بأرضـــيهمُ ... يُنادون عضــباً بأمر غُشُم (٣)
مُلوكاً على الناس ، لم يُملكوا ... من الدهر يومًا كحِلِّ القَسَم (٤)
فأنبُوا بعادٍ وأشـــياعِها ... ثمـــودَ وبعضِ بقايا إرَم (٥)
بيَــثْرِبَ قد شَيَّدُوا فى النَّخيل ... حُصـــوناً وَدُجِّن فيها النَّعَم (٦)
نَواضـــحَ قد عَلَّمتها اليهو ... دُ (عَلْ) إليـــك وقَولا هَلُمّ (٧)
وفيما اشـــتَهوْا من عَصير القطا ... ف والعيشِ رخواً على غَيْرِ هَمّ (٨)
فسِرْنا إليهـــم بأثقالنـــا ... على كلّ فَحْـــل هِجَانٍ قَطِم (٩)
جَنَبْنا بهـــنَّ جياد الخُيو ... ل قدجَـــلّلوها جِلال الأَدَم (١٠)
فلمـا أناخُوا بجَنْبَىْ صِرَار ... وَشدُّوا السُّرُوج بَلَىِّ الحُزُم

---

(١) ألم . نزل . ورواية الشطر الأول فى الديوان : « أولئك قومى فإن تسألى » . وفى ا : « إن تسألوا » .

(٢) الأيسار : جمع يَسر ، وهو الذى يدخل فى الميسر . والمسن : الكبير . والسنم : العظيم السنام .

(٣) غشم : من الغشم ، وهو أسوأ الظلم . ورواية الشطر الثانى فى الديوان : « يادون غضباً . . . » الخ .

(٤) يريد بحل القسم فترة قصيرة .

(٥) فأنبوا : فأنبئوا ، خفف الهمزة . وإرم : هى عاد الأولى .

(٦) دجن فيها النعم : اتخذت فى البيوت . والداجن : كل ما ألف الناس كالحمام والدجاج ونحو ذلك . والنعم : الإبل والبقر والغنم .

(٧) النواضح : الإبل التى يستقى عليها الماء . وعل (بفتح العين وسكون اللام) : زجر تزجر به الإبل . وهلم : أقبل .

(٨) القطاف : اسم لما يقطف من العنب وغيره . ورواية الشطر الثانى فى الديوان : « وعيش رضى على غيرهم » .

(٩) الهجان : الأبيض . وقطم : هائج يشتهى الضراب .

(١٠) جنبنا : قدنا . وجللوها : غطوها . والأدم : الجلد . ورواية هذا البيت فى الديوان :

جياد الخيول بأجنابهم ... وقد جللوها ثخان الأدم

فما راعهم غيرُ معْجِ الخيو   ل والزَّحْفُ من خلفهم قد دَهِم[1]
فطارُوا سِراعا وقد أُفْزِعوا   وجِئْنا إليهم كأُسْدِ الأُجُم
على كل سَلْهبة فى الصِّيا   ن لا يَشْتكين نُحولَ السَّأَم[2]
وكل كُمَيْتٍ مُطار الفُؤاد   أمينِ الفُصوصِ كمثل الزَّلَم[3]
عليها فوارسُ قد عُوِّدو   قِراعَ الكُماة وضَرْبَ البُهَم[4]
مُلوكٌ إذا غَشَمُوا فى البلا   د لا يَنْكُلون ولكن قُدُم[5]
فأُبنا بساداتِهم والنساء   وأولادُهم فيهمُ تُقْتَسَم[6]
ورِثنا مساكنَهم بعدَهم   وكنا ملوكاً بها لم نَرِم[7]
فلما أتانا الرسولُ الرَّشيد   بالحقّ والنور بعد الظُّلَم
قُلنا صدقتَ رسولَ المليك   هلمَّ إلينا وفينا أَقِمْ
فنشهدَ أنك عبدُ الإله   أُرسِلت نوراً بدين قِيَم[8]
فأنا وأولادُنا جُنَّةٌ   نَقِيكَ وفى مالنا فاحتكم
فنحن أولئك[9] إن كذبوك   فنادِ نداء وَلا تَحْتَشِم

---

(١) معج الخيول : سرعتها . ودهم : جاء غفلة على غير استعداد .

(٢) السلهبة : الفرس الطويلة . والصيان : مايصان به من الجلال . والسأم : الملل .

(٣) مطار الفؤاد : ذكى الفؤاد ، والفصوص : مفاصل العظام، وأمين الفصوص: قويها . والزلم : القدح .

(٤) الكماة الشجعان : جمع كمى ، وهو المتستر فى سلاحه . والبهم : جمع بهمة ، وهو البطل الشجاع .

(٥) غشموا : اشتد ظلمهم . ولا ينكلون : لايرجعون هائبين : ورواية هذا البيت فى الديوان :

ليوث إذا غضبوا فى الحروب . . . . الخ

(٦) أبنا : رجعنا . ورواية هذا البيت فى الديوان :

فأبنا بسادتهم والنسا ء قسرا وأموالهم تقتسم

(٧) لم نرم : لم نتحول .

(٨) بدين قيم : لاعوج فيه .

(٩) تقدير المعنى نحن أولئك الذين نصدقك وننصرك . وفى الديوان : « ولاتك » .

وناد بما كنتَ أخفيتَــــه   نداء جِـــهاراً ولا تـــكتِمِ
فسار[1] الغُواةُ بأســـيافهم   إليه يظنون أنـ يُخْتَرَم[2]
فقُمنا إليهم بأســــيافنا   نجالدُ عنـــه بُغاةَ الأُمَم
بكل صــــقيل له مَيْعةٌ   رقيقِ الذُّباب عَضوضٍ خَذِم[3]
إذا ما يصادِفُ صُمّ العظا   م لم ينْبُ عنها ولم ينثَـــلِم[4]
فذلك ما ورّثَتْنا القُـــرو   مُ مجْداً تليـــداً وعِزًّا أشَمّ[5]
إذا مرّ نسْــلٌ كَفَى نَسلُه   وغادرَ نَسْـــلا إذا ما انفصم[6]
فما إنْ من الناس إلاّ لنا   عليه وإن خاس فضلُ النِّعم[7]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته :

فــكانوا ملوكا بأَرْضِيهم   يُنادون غُضْـــباً بأمر غُشُم

وأنشدنى :

بيثربَ قد شَيّدوا فى النَّخيل   حصـــوناً ودُجِّن فيها النَّعم

وبيته « وكل كُميت مطار الفؤاد » : عنه[8]

---

(١) فى الديوان : « فطار » .
(٢) يخترم : يهلك .
(٣) له ميعه : أى له صقال يشبه الماء فى صفائه . والذباب : حد طرف السيف . وخذم : قاطع . وفى الديوان « غموس خذم » .
(٤) لم ينب : لم يكل .
(٥) القروم : السادة . وفى الديوان : « القرون » . والتليد : القديم . والأشم : المرتفع .
(٦) انفصم : انقطع وانقرض . ورواية هذا البيت فى الديوان :
إذا مر قرن كفى نسله   وخلف قرنا إذا ما انفصم
(٧) خاس : غدر .
(٨) إلى هنا ينتهى الجزء الثامن عشر من أجزاء السيرة .

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق :

لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تَبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفودُ العرب من كل وجه .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عُبيدة : أن ذلك فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

قال ابن إسحاق :

انقياد العرب وإسلامهم

وإنما كانت العرب تَرَبَّص بالإسلام أمرَ هذا الحىّ من قريش ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا يُنكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتُتحت مكة ، ودانت له قريش ، ودوّخها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لاطاقةَ لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عز وجل ، أفواجا ، يضربون إليه من كل وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان توابا .

قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات

رجال الوفد

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفُود العرب ، فقدم عليه عُطارد ابن حاجب بن زُرارة بن عدُس التميمىّ ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع ابن حابس التميمى ، والزِّبرقان بن بدر التميمى ، أحد بنى سعد ،وعمرو بن الأهتم والحَبْحاب بن يزيد[1] .

شىء عن الحتات

قال ابن هشام : الحُتَات ، وهو الذى آخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين مُعاوية بن أبى سفيان ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين ، بين أبى بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين طلحة بن عُبيد الله والزبير بن العوام ، وبين أبى ذَرّ الغفارى والمِقْداد بن عمرو البَهْرانى ، وبين معاوية بن أبى سفيانَ والحُتَات بن يزيد المجاشعى ، فمات الحُتات عند معاوية فى خلافته ، فأخذ معاوية ما ترك وراثة بهذه الأخوة ، فقال الفرزدق لمعاوية :

أبوك وعمّى يامعاوىَ أورثا ... تُراثا فيَحْتاز التُّراثَ أقارِبُهْ

فما بال ميراثِ الحُتات أكلتَه ... وميراثِ حرب جامدٌ لك ذائبه

وهذان البيتان فى أبيات له .

سائر رجال الوفد

قال ابن إسحاق :

وفى وفد بنى تميم نُعيم بن يَزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم ، أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن هشام : وعطارد بن حاجب ، أحد بنى دارم بن مالك بن حنظلة

---

(١) كذا فى الإصابة ، وفيما سيأتى فى جميع الأصول . وفى م ، ر : « زيد » . وفى ا « وعمرو بن الأهتم الحباب » كأنهما شخص واحد .

ابن مالك بن زيد مَناةَ بن تميم ، والأقرع بن حابس ، أحد بنى دارم بن مالك[1] والحُتات بن يزيد ، أحد بنى دارم بن مالك ، والزِّبرقان بن بدر ، أحد بنى بهدلة ابن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن الأهتم ، أحد بنى مِنْقر ابن عُبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقيس ابن عاصم ، أحد بنى مِنْقر بن عُبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق :

ومعهم عُيينة بن حِصنِ بن حذيفة بن بدرٍ الفَزارىُّ ، وقد كان الأقرع بن حابس وعُيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحُنينا والطائف.

صياحهم بالرسول وكلمة عطارد

فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفدُ بنى تميم المسجدَ نادَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجُراته : أن اخرج إلينا يامحمد ، فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صِياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نُفاخِرك ، فأْذن لشاعرنا وخَطِيبنا ؛ قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام عُطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن[2] ، وهو أهلُه ، الذى جعلنا مُلوكا ، ووهب لنا أموالاً عِظَاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عُدَّة ، فمَنْ مِثلنا فى الناس ؟ ألسنا برُءوس الناس وأولى فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليعدّد مِثْل ماعدّدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيا أعطانا ، وأنا نُعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضلَ من أمرِنا . ثم جلس .

كلمة ثابت فى الرد على عطارد

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيْس بن الشّماس ، أخى بنى الحارث ابن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته . فقام ثابت ، فقال :

---

(١) فى م ، ر : « أحد بنى مالك بن دارم بن مالك » .
(٢) هذه الكلمة : « المن » ساقطة فى ا .

الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمرَه ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شيء قطُّ إلا من فضله ، ثم كان من قُدرتِه أن جعلنا ملوكا . واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا . فأنزل عليه كتابَه وأتمنَه على خلقه ، فكان خِيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمانِ به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرمُ الناس حسبا ، وأحسن الناس وجوها ، وخير الناس فِعالا . ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منعَ منّا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا ، وكان قتله علينا يسيرا. أقول قولى هذا واستغفرالله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

شعر الزبرقان فى الفخر بقومه

فقام الزبرقان بن بدر ، فقال :

نحن الكِرام فلا حَىٌّ يُعادلنا ... مِنّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ(١)
وكم قَسَرْنا من الأحياء كلِّهم ... عند النِّهاب وفضلُ العزِّ يُتَّبع
ونحنُ يُطعِمُ عند القَحْط مُطْعِمنا ... من الشِّواء إذا لم يُؤْنَس القَزَع(٢)
بمـا تَرَى الناسَ تأتينا سراتُهم ... من كل أرضٍ هُوِيًّا ثم نَصْطَنِعُ(٣)
فَنَنْحر الكُوم عُبْطا فى أَرُومتنا ... للنازلين إذا ما أُنْزِلوا شَبِعوا(٤)
فـلا ترانا إلى حىّ نُفاخرهم ... إلا استفادوا فكانوا الرأسَ يُقْتطع
فمن يُفاخرنا فى ذاك نَعرفه ... فيَرْجِعُ القومُ والأخبار تُستمع
إنا أبينا ولا يأبى لنا أحـدٌ ... إنا كذلك عند الفَخْر نرتفع

(١) البيع : مواضع الصلوات والعبادات ، واحدها بيعة (بكسر الباء) .
(٢) القزع (بالتحريك) : السحاب الرقيق . يريد إذا لم تمطرهم السماء ، فأجدبت أرضهم .
(٣) هويا : سراعا .
(٤) الكوم : جمع كوماء ، وهى العظيمة السنام من النوق . و عطا : أى عن غير علة . وفى أرومتنا : أى هذا الكرم متأصل فينا .

قال ابن هشام : ويروى :

منا الملوك وفينا تُقسم الرِّبَع (١)

ويروى :

مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوانًا ثُمَّ نَتَّبِعُ

رواه لى بعض بنى تميم ، وأكثر اهل العلم بالشعر ينكرها للزبرقان .

قال ابن إسحاق :

شعر حسان فى الرد على الزبرقان

وكان حسان غائبا ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال حسان : جاءنى رسولُه ، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مَنَعْنَا رسول الله إذ حلّ وسْطَنا ... على أَنْف راضٍ من مَعَدٍّ وراغمِ
منعناه لما حـلّ بين بيُوتنا ... بأسْيافنا من كل باغٍ وظالم
ببيتٍ حَريدٍ عِزّه وثَراؤه ... بجابية الجَوْلان وسْطَ الأعاجمِ (٢)
هل المجدَ إلا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدَى ... وجاهُ الملوك واحتمال العظائم (٣)

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ماقال ، عرضت فى قوله ، وقلت على نحو ماقال . قال : فلما فرغ الزِّبرقان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجلَ فيما قال . فقام حسان ، فقال :

---

(١) وفينا تقسم الربع : أى أنا رؤساء وسادة ، وذلك لأن الرئيس كان يأخذ ربع الغنيمة فى الجاهلية .

(٢) البيت الحريد : الفريد الذى لايختلط بغيره لعزته . وجابية الجولان : بلد بالشام . يريد أن النبي نزل وسط حى من الأنصار ذوى منعة ، وجاههم قديم ، متصل بجاه الغساسنة ملوك الشام . وسيعود الشاعر إلى هذا المعنى فى البيت الذى بعد هذا .

(٣) السؤدد العود : المجد القديم الذى يتكرر على الزمان . وهذه الأبيات من قصيدة لحسان عدة أبياتها أربعة عشر .

إن الذوائب من فِهْرٍ وإخوتهم ... قد بيّنوا سُنّةً للناس تُتبع[1]
يَرْضَى بهم كلّ من كانت سريرتُه ... تقْوى الإله وكلَّ الخير يصْطنع[2]
قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهُمُ ... أو حاولوا النَّفعَ فى أشياعهم نفعوا
سَجيّة تلك مِنهم غيرُ مُحْدَثة ... إن الخلائق فاعلم شرُّها البِدَع[3]
إنّ كان فى النَّاس سبّاقون بعدَهم ... فكل سَبْق لأدنى سبقهم تَبع
لا يَرْقع الناس ماأَوْهَتْ أكفُّهمُ ... عند الدِّفاع ولا يُوهون مارَقعوا[4]
إن سابقوا الناس يومًا فاز سَبْقُهُمُ ... أو وَازنوا أهل مجدٍ بالندى مَتَعوا[5]
أعِفّةٌ ذُكِرَتْ فى الوَحْى عِفّتهم ... لا يَطْبَعون ولا يُرْدِيهم طَمَع[6]
لا يَبْخلون على جارٍ بفَضْلهم ... ولا يَمسُّهُمُ من مَطْمَعٍ طَبع[7]
إذا نَصَبْنا لحيٍّ لم نَدِبَّ لهمْ ... كما يدبُّ إلى الوَحْشيّة الذَّرِع[8]
نَسْمُو إذا الحربُ نالتنا مَخالبها ... إذا الزَّعانفُ من أظْفارها خَشَعوا[9]
لا يَفْخرون إذا نالوا عدوَّهم ... وإن أُصيبوا فلا خُور ولا هُلُعُ[10]
كأنهم فى الوَغَى والموتُ مكتنِعٌ ... أُسْد بحَلْيَةَ فى أرْساغها فَدَع[11]
خُذْ مِنْهُمُ ماأَتَى عَفْواً إذا غَضِبوا ... ولا يكن همُّك الأمرَ الذى مَنعوا[12]

---

(١) الذوائب : السادة ، وأصله من ذوائب المرأة ، وهى غدائرها التى تعلو الرأس .
(٢) رواية الشطر الثانى فى الديوان : « تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا » وسيرويه ابن هشام بهذه الرواية بعد قليل .
(٣) السجية الطبيعة .
(٤) ما أوهت : ماهدمت .
(٥) متعوا : زادوا ، يقال : متع النهار ، إذا ارتفعت شمسه .
(٦) لايطبعون : لايتدنسون .
(٧) الطبع الدنس .
(٨) نصبنا : أظهرنا العداوة ولم نسرها . والذرع : ولد البقرة الوحشية .
(٩) نسمو : ننهض . والزعانف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : تذللوا .
(١٠) الخور : الضعفاء ؛ والهلع (ككتب) الجازعون ، الواحد : هلوع .
(١١) مكتنع : دان . وحلية : مأسدة باليمن . والأرساغ : جمع رسغ ، وهو موضع القيد من الرجل . وفدع : اعوجاج إلى ناحية .
(١٢) عفوا : من غير مشقة .

فإنَّ فى حَرْبهم فاترك عداوتهم … شَرًّا يُخاضُ عليه السَّمُّ والسَّلَعُ[1]
أَكْرِم بقومٍ رسولُ الله شيعَتُهم … إذا تفاوتت الأَهواءُ والشِّيَعُ
أَهدَى لهم مِدْحتى قلبٌ يُؤازره … فيما أُحِبّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ[2]
فإنهم أفضلُ الأحياءِ كلِّهِمِ … إن جدَّ بالناس جِدُّ القول أو شَمَعوا[3]

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد:

يَرضى بها كل من كانت سريرتُه … تقوى الإله وبالأمر الذى شَرَعوا

شعر آخر للزبرقان

وقال ابن هشام: حدثنى بعضُ أهل العلم بالشعر من بنى تميم: أنَّ الزبرقان ابن بدر لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم قام فقال:

أتيناك كيما يعلمَ الناسُ فضلَنا … إذا احتفلُوا[4] عند احتضار المواسِمِ[5]
بأنا فروعُ الناس فى كلِّ موطنٍ … وأنْ ليس فى أرض الحجازِ كدارمِ[6]
وأنَّا نَذُود المُعْلِمِينَ إذا انتَخَوْا … ونضرب رأس الأَصْيَدِ المتفاقِمِ[7]
وأنَّ لنا المِرْباعَ فى كل غارة … نُغِيرُ بنجد أو بأرض الأَعاجِمِ[8]

فقام حسانُ بن ثابت فأجابه، فقال:

شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان

هَلِ المَجْدُ إلا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدَى … وجاهُ المُلوكِ واحتمال العظائم
نَصَرْنا وآوينا النبىَّ محمداً … على أنف راضٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ

---

(1) السلع: نبات مسموم.

(2) صنع: يحسن القول ويجيده.

(3) شمعوا: هزلوا. وأصل الشمع: الطرب واللهو، ومنه جارية شموع، إذا كانت كثيرة الطرب.

(4) فى ا: «اختلفوا».

(5) المواسم: جمع موسم، وهو الموضع الذى يجتمع فيه الناس مرة فى السنة، كاجتماعهم فى الحج، واجتماعهم بعكاظ وذى المجاز وأشباههما.

(6) دارم من بنى تميم.

(7) المعلمون: الذين يعلمون أنفسهم فى الحرب بعلامة يعرفون بها، ويروى: «العالين». وانتخوا، من النخوة، وهى التكبر والإعجاب. والأصيد: المتكبر الذى لا يلوى عنقه يمينا ولا شمالا. والمتفاقم: المتعاظم، من تفاقم الأمر: إذا عظم واشتد.

(8) المرباع (بكسر الميم): أخذ الربع من الغنيمة، يريد أنهم رؤساء. والنجد: ما ارتفع من الأرض، ويريد بنجد: بلاد العرب.

بحيٍّ حَريدٍ أصــــلُهُ وثَراؤه ... بجابية الجَوْلانِ وَسْطَ الأعاجِمِ
نَصَرناه لما حلّ وسْــط ديارِنا ... بأســـيافنا من كل باغٍ وظالم
جعلْنا بنينا دُونَه و بناتِنــــا ... وطِبْنا له نَفْسًـــا بفَيْء المغانم
ونحن ضربنا الناسَ حتى تتابعوا ... على دينه بالمرهَفَاتِ الصَّــوارم(١)
ونحن وَلَدْنا من قُرَيش عظيمَها ... ولدنا نبيّ الخيرِ مِنْ آلِ هاَشِمِ(٢)
بنى دارمٍ لاتفخَرُوا إنّ فَخْرَكُمْ ... يعُود وَبالاً عند ذكر المكارِم(٣)
هَبِلْتُمْ عَلينا تَفخَرون وأنتُمُ ... لنا خَوَلٌ ما بين ظِئْرٍ وخادم؟(٤)
فإن كنتُمُ جئتمْ لِحَقْنِ دِمائكمْ ... وأموالكم أن تُقْسَمُوا فى المَقاسِمِ
فلا تجعلوا لله نِدًّا وأَسْلِموا ... ولا تَلْبَسُوا زِيًّا كزِىّ الأعاجِمِ(٥)

إســـلامهم وتجـــويز الرسول إياهم

قال ابن إسحاق :

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأَبِى ، إن هذا الرجل لَمُؤَتَّى له(٦) ، لخَطيبُه أخطب من خطيبنا ، ولَشاعره أشعرمن شاعرنا ولأصواتهم أحلى(٧) من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسْلموا ، وجَوّزَهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جَوائزَهم .

شــعر ابن الأهتم فى هجاء قيس لتحقيره إياه

وكان عمرو بن الأهتم قد خَلَّفه القوم فى ظهرهم(٨) ، وكان أصغرهم سِنّا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يُبغض عمرو بن الأهتم : يارسول الله ، إنه قد كان

---

(١) المرهفات الصوارم : السيوف القاطعة .

(٢) يشير بهذا البيت إلى أن أم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم كانت جارية من الأنصار .

(٣) الوبال : الثقل .

(٤) هبلتم : فقدتم وثكلتم . والظئر : التى ترضع ولد غيرها ، وقد تأخذ على ذلك أجرا ؛ وأصله الناقة تعطف على ولد غيرها .

(٥) الند : المثل والشبه .

(٦) لمؤتى له : لموفق له .

(٧) فى ا : « أعلى » .

(٨) فى ظهرهم : فى إبلهم .

رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حَدَث ، وأزرى به ، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مثلَ ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيساً قال ذلك ، يهجوه :

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء تَشْتُمُنِي عندَ الرسول فلَمْ تَصْدُقْ ولَمْ تُصِبِ[1]

سُدْنا كُمُ سُودَداً رَهْواً وسُودَدُكُمْ بادٍ نَواجِــذُهُ مُقْعٍ عَلَى الذَّنَبِ[2]

قال ابن هشام : بقى بيت واحد تركناه ، لأنه أقذع فيه .

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

فى الوفادة عن بنى عامر

بعض رجال الوفد

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ بنى عامر ، فيهم عامر ابن الطُّفَيْل ، وأربد بن قيس بن جَزْء[3] بن خالد بن جعفر ، وَجَبَّار بن سَلْمَى ابن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينَهم .

تدبير عامر الغدر بالرسول

فقدم عامرُ بن الطفيل عدوُّ الله ، على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وهو يريد الغدرَ به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنتُ آليتُ أن لا أنتهىَ حتى تَتْبع العربُ عَقِبى ، أفأنا أَتْبعُ عَقِبَ هذا الفتى من قريش ! ثم قال لأربد : إذا قَدِمنا على الرجل، فإنى سأشغل عنك

---

(١) الهلباء : يريد بها دبره ، من الهلب ، وهو الخشن من الشعر .

(٢) الرهو : المتسع . والنواجذ : الأسنان . ومقع على الذنب : جالس على إليتيه ، ضام ساقيه ، بمر ذنبه خلفه .

(٣) كذا فى الأصول . وقال أبوذر : «وأربد بن قيس بن جزى ، كذا وقع هنا فى الأصل، وذكره أبو عبيد عن ابن الكلبى فقال : ابن جزء» .

وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعْله[1] بالسيف، فلما قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل: يا محمد ، خَالِنِي[2] قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده. قال : يا محمد خالِني . وجعل يكلّمه وينتظر من أربد ما كان أمره به، فجعل أرْبد لايُحِيرُ شيئاً ،قال: فلما رأى عامر مايصنع أربد ، قال: يامحمد خالِني ، قال : لا،حتى تؤمن بالله وحده لاشريك له . فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أمَا والله لأَمْلَأَنَّها عليك خَيْلا ورجالا ، فلما وَلّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكْفنى عامرَ بن الطُّفَيْل . فلما خرجوا من عندرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! أينَ ما كنتُ أمرتُك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وأيمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبداً قال : لا أبا لك ! لا تَعْجَلْ علىّ ، والله ما هَمَمْتُ بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخَلْتَ بينى و بين الرجل ، حتى ما أرى غيرَك ، أفأضربك بالسيف ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عُنُقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سَلُول ، فجعل يقول : يا بنى عامر ، أغُدّة[3] كغُدّة البكر[4] فى بيت امرأة من بنى سَلُول !

قال ابن هشام : ويقال أغُدّةً كغدة الإبل ، وموتا فى بيت سُلولية !

قال ابن إسحاق :

موت أربد بصاعقة وما نزل فيه وفى عامر

ثم خرج أصحابه حين وَارَوْه، حين قَدِموا أرض بنى عامر شاتين ، فلما قدموا

---

(١) اعله بالسيف : اقتله به .

(٢) خالنى (بتخفيف اللام) : تفرد لى خاليا حتى أتحدث معك . و (بتشديد اللام) : اتخذنى خليلا وصاحبا ؛ من الخالة ، وهى الصداقة .

(٣) الغدة : داء يصيب البعير فيموت منه ، وهو شبيه بالذبحة التى تصيب الإنسان .

(٤) البكر : الفتى من الإبل. وإنما تأسف عامر أن لم يمت مقتولا ، كما يتأسف الشجعان، وتأسف أيضا على موته فى بيت امرأة من سلول ، لأن بنى سلول قبيل موصوف عندهم باللؤم ، وليس ذلك للؤم أصولهم ، لأن مكانهم من قومهم مشهور، وإنما هو شىء غلب عليهم كما غلب على محارب وباهلة .

أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أرْبد ؟ قال : لا شيء والله ، لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددْتُ أنه عندى الآنَ ، فأرمِيه بالنَّبل حتى أقتُلهُ ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه[1] ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة فأَحْرَقَتْهما وكان أربدُ بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأُمّه .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، قال :

وأنزل الله عز وجل فى عامر وأربد : (اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) إلى قوله (وَمَا لَهُمْ مِنَ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) .

قال : المُعَقِّبَاتُ هى من أمر الله يحفظون محمدا . ثم ذكر أربد وما قتله الله به ، فقال : (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، إلى قوله شَدِيدُ المِحَالِ) .

شعر لبيد فى بكاء أربد

قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكى أربد :

ما إن تُعَدِّى المَنونُ مِنْ أَحَدٍ ... لا والدٍ مُشْفِقٍ ولا ولَدِ[2]
أَخْشَى على أرْبَدَ الحُتوفَ ولا ... أرْهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأَسَدِ
فَعَينِ هَلاَّ بَكَيتِ أَرْبَدَ إذْ ... قُمْنَا وَقَامَ النِّسَاءُ فى كَبَدِ[3]
إِنْ يَشْغَبُوا لاَيُبَالِ شَغْبَهُمُ ... أوْ يَقْصِدُوا فى الحُكومِ يَقْتَصِدِ
حُلْوٌ أريبٌ وفى حَلاَوَتِهِ ... مُرٌّ لَطِيفُ الأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ[4]
وَعَيْنِ هَلاَّ بَكيتِ أرْبَدَ إذْ ... أَلْوَتْ رِياحُ الشِّتَاءِ بالعَضَدِ[5]
وأصبَحَتْ لاَقِحًا مُصَرَّمَةً ... حَتَّى تَجَلَّتْ غَوابِرُ المُدَدِ[6]

---

(1) فى : « يتبعه » .
(2) تعدى : تترك .
(3) كبد : حزن ومشقة .
(4) الأريب : العاقل الداهى .
(5) العضد : الشجر ذهبت الريح بأوراقه . يريد عند الجدب وذبول الأشجار .
(6) المصرمة : التى لا لبن لها . والغوابر : البقايا . وفى ا : « حين تجلت » .

أشجَعُ من ليثِ غابةٍ لَحِمٍ ذو نَهْمَةٍ فى العُـلاَ ومُنْتَقَدِ(١)
لاتبلُغُ العـينُ كُلَّ نَهْمَتِهاَ ليـلةَ تُمْسى الجيادُ كالقِدَدِ(٢)
الباعثُ النَّوْحَ فى مَآتِمـِـهِ مِثلَ الظِّباءِ الأَبْكارِ بالجَرَدِ(٣)
فَجَّعَنِى البَرْقُ والصَّوَاعِقُ بالْـفارسِ يوم الـكَرِيهَةِ النَّجُدِ(٤)
والحارِبِ الجابرِ الحَرِيبَ إذَا جاء نَـكيباً وإنْ يَعُدْ يَعُدِ(٥)
يَعْفُو على الجَهْدِ والسُّؤالِ كَماَ يُنْبِتُ غيثُ الرَّبيع ذو الرَّصَدِ(٦)
كل بنى حُرَّةٍ مَصِـيرُهُمُ قُلٌّ وَإنْ أَكْثَرَتْ مِنَ العَدَدِ(٧)
إنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وَإنْ أَمِرُوا يومًا فهم للهـلاكِ والنَّفَدِ(٨)

قال ابن هشام : بيته : « والحارب الجابر الحريب » عن أبى عُبيدة ، وبيته « يعفو على الجهد » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضاً يبكى أَرْبد :

ألاَ ذَهَبَ المُحافِظُ والمُحَامِى ومانِعُ ضيْمِها يومَ الخِصَامِ(٩)
وأيْقَنْتُ التَّفَرُّقَ يومَ قالُوا تُقُسِّمُ مالُ أَرْبَدَ بِالسِّهامِ

---

(١) اللحم : الكثير أكل اللحم . وذو نهمة : طموح إلى بلوغ الغايات . ويروى : « ذو نهية » أى عقل . ومنتقد : أى بصر بالأمور .

(٢) القـدد : جمع قدة ، وهى السير يقطع من الجلد ، يشبه الخيل بالسير فى النحول والضعف .

(٣) النوح : جماعة النساء اللائى ينحن . والمآتم : جماعات النساء يجتمعن فى المناحات . والجرد : الأرض التى لانبات فيها .

(٤) النجد (بفتح النون المشددة ، وضم الجيم) : الشجاع .

(٥) الحارب : السالب . والحريب : المسلوب . والنكيب : المنكوب المصاب .

(٦) يعفو على الجهد : يكثر عطاؤه ويزيد عند الجهد والمشقة ، والرصد (محركة) : كلا قليل .

(٨) قلّ (كقفل) : قليل .

(٨) إن يغبطوا إن تستحسن أحوالهم . ويهبطوا : تغير أحوالهم الأعراض . وأمروا : كثروا . والنفد : انقطاع الشىء وذهابه .

(٩) الضيم : الذل .

تُطِيرُ عَدَائِدَ الأَشْراكِ شَفْعًا ... وَوِتْرًا والزَّعامة للغُلامِ [1]
فَوَدِّعْ بالسلام أبا حُرَيْزٍ ... وقلَّ وَدَاعُ أَرْبَدَ بالسَّلامِ
وكنتَ إمامَنا ولنا نِظامًا ... وكان الجَزْعُ يُحْفَظُ بالنِّظامِ [2]
وأَرْبدُ فارس الهَيْجا إذا ما ... تَقَعَّرَتِ المشاجرُ بالفِئامِ [3]
إذا بَكَر النِّساء مُرَدَّفاتٍ ... حَوَاسِرَ لا يُجِئْنَ على الخِدامِ [4]
فَوَاءَلَ يَوْمَ ذلكَ مَن أتاه ... كما وَأَلَ المُحِلُّ إلى الحَرَامِ [5]
ويَحْمَدُ قِدْرَ أرْبَدَ مَنْ عَرَاهَا ... إذا ما ذُمَّ أربابُ اللِّحامِ [6]
وجارَتُهُ إذا حَلَّتْ لَدَيْهِ ... لها نَفَلٌ وحَظٌّ مِنْ سَنَامِ [7]
فإنْ تَقْعُدْ فَمُكْرَمَةٌ حَصَانٌ ... وإنْ تَظْعَنْ فَمُحْسِنَةُ الكَلامِ [8]
وهَلْ حُدِّثْتَ عَنْ أَخَوَيْنِ دَامَا ... على الأيام إلا ابْنَى شَمَامِ [9]
وإلاَّ الفَرْقَدَيْنِ وآلَ نَعْشٍ ... خَوالدَ ما تُحَدَّثُ بانْهِدَامِ [10]

قال ابن هشام : وهى فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق :

وقال لبيد أيضا يبكى أربد :

---

(1) العدائد : الأنصباء . والأشراك : الشركاء . والزعامة : الرياسة ، وقيل : أفضل مال الموروث .

(2) الجزع : الخرز اليمانى .

(3) المشاجر : ضرب من الهوادج . والفئام : ماينبسط فى الهودج ويوطأ به .

(4) حواسر : كاشفات عن وجوههن . ويروى : « جوائر » أى صائحات ، من جأر ، إذا رفع صوته بالصياح . ولا يجئن : أى لايغطين . ويروى : « لايجبن » : أى لايسترن ، كما يروى : « لايجن » أى لايستر (بالبناء للمجهول فيهما) . والخدام : جمع خدمة ، وهى الساق .

(5) واءل : ألجأ إلى موئل .

(6) اللحام : جمع لحم ..

(7) النفل : العطية .

(8) حصان : عفيفة لم يتعرض لها . وتظعن : ترحل .

(9) ابنا شمام : جبلان .

(10) الفرقدان وآل نعش (بنات نعش) : من النجوم .

انعَ الكريمَ للكريم أَرْبَدَا   انعَ الرئيسَ واللَّطيف كَبِدَا[1]
يُحذِى وَيُعْطِى مالَهُ ليُحْمَدَا   أُدْمًا يُشَبَّهْنَ صِوَارًا أُبَّدَا[2]
السَّابِلَ[3] الفضْلِ إذا ماعُدِّدَا   ويَمْلَأُ الجَفْنَةَ مَلْئًا مَدَدا
رِفْهًا إذا يأتى ضَرِيكٌ وَرَدَا   مِثْلُ الذى فى الغِيلِ يَقْرُو جُمُدا[4]
يَزْدَادُ قُرْبًا مِنْهُمُ أَنْ يُوعَدَا   أَوْرَثْتَنَا تُرَاثَ غَيْرِ أَنْكَدَا[5]
غِبًّا ومالاً طَارِفًا وَوَلَدَا   شَرْخًا صُقُورا يافِعا وأَمْرَدَا[6]

وقال لبيد أيضا :

لَنْ تُفْنِيَا خَيْرَاتِ أَرْ   بَدَ فابْكِيا حَتَّى يَعُودا
قُولاَ هُوَ البطل المُحا   مِى حين يُكْسَوْن الحديدا[7]
ويَصُدُّ عنا الظالميـ   ـن إذا لَقِينا القوم صِيدا[8]
فاعتاقَه ربّ البريّـ   ـة إذ رأى أن لا خُلودا[9]
فثَوى ولم يُوجَعْ ولم   يُوصَب وكان هو الفقيدا[10]

وقال لبيد أيضاً :

---

(١) انع : أعلم بموته .
(٢) يحذى : يعطى ، من الحذاء ، وهى العطية . ويروى : « يجدى » وهو بمعناه . والأدم (بسكون الدال) الإبل البيض : والصوار (بضم الصاد وكسرها) : القطيع من بقر الوحش . وأبدا : جمع آبد ، وهو المستوحش النافر .
(٣) فى م ، ر : « السائل » .
(٤) رفها : أى يفعل ذلك دائما كل يوم . والضريك : الفقير . والغيل : أجمة الأسد ويريد بالذى فى الغيل: الأسد . ويقرو : يتتبع . قال أبو ذر : « وجمد اسم جبل ؛ ومن رواه (جهدا) فهو من الجهد ، وهى الطاقة » .
(٥) يوعد : يهدد . والتراث : الميراث . وغير أنكد : أى تراث رجل غير معسر .
(٦) غبا : بعد موتك . والطارف : المال المستحدث. وشرخا : شبابا . وصقورا : كالصقور واليافع : الذى قارب الحلم . والأمرد : الذى لم تنبت لحيته .
(٧) يريد بالحديد : الدروع . ويكسون الحديد ، أى حين يلبسون الدروع للحرب .
(٨) الصيد : جمع أصيد ، هو المائل بعنقه كبرا .
(٩) اعتاقه : منعه من بلوغ أمله . ويروى « فاعتافه » : أى قصده . ورواية هذا البيت فى ا: « فاعتاقه ريب . . . . الخ »
(١٠) لم يوصب : لم يصبه وصب ، وهو الألم .

يُذَكِّرُنى بأربدَ كلُّ خصمٍ ... ألدَّ تخالُ خُطَّتَه ضِرارا(١)
إذا اقتصدُوا فمقتصدٌ كريمٌ ... وإن جارُوا سواءَ الحق جارا(٢)
ويَهْدِى القومَ مطّلِعاً إذا ما ... دليلُ القوم بالمَوْماة حارا(٣)

قال ابن هشام : آخرُها بيتاً عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضا :

أصبحتُ أمشى بعد سلمى بنِ مالكٍ ... وبعد أبى قَيْس وعُرْوة كالأجَبْ(٤)
إذا ما رأى ظِلَّ الغُراب أضجّه ... حِذاراً عَلَى باقِى السَّناسنِ والعَصَبْ(٥)

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى أبيات له .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق :

وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم رجلاً منهم، يقال له ضِمام بن ثعلبة .

سؤاله الرسول أسئلة ثم إسلامه

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نُوَيْفِع عن كُرَيب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال :

بعث بنو سعد بن بكر ضِمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم عليه، وأناخ بعيرَه على باب المسجد، ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ فى أصحابه ؛ وكان ضِمام رجلاً جَلْداً أشعرَ ذا غَدِيرتين(٦)

---

(١) ألد : شديد الخصومة . والضرار : الضر .
(٢) اقتصدوا : عدلوا .
(٣) الموماة : الفلاة . يصف أخاه بالبصر بالأمور .
(٤) الأجب : البعير المقطوع السنام .
(٥) أضجه ، من الضجيج وهو الصياح . والسناسن : عظام الظهر ، وهى فقاره .
(٦) الغديرة : الذؤابة من الشعر .

فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه، فقال : أيكم ابنُ عبدالمطلب ؟ قال : فقال رسول‌الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبدالمطلب. قال : أمحمد ؟ قال : نعم؛ قال : يا بن عبد المطلب ، إنى سائلك ومُغلِّظ عليك فى المسئلة ، فلاتَجِدَنّ[1] فى نفسك ، قال : لا أجد فى نفسى ، فَسَلْ عما بدا لك. قال : أنشُدك الله إلهك و إله من كان قبلك ، و إله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللَّهُمَّ نعم؛ قال : فأَنشُدك الله إلهك و إله من كان قبلك ، و إله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لانُشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يَعْبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأَنشُدك الله إلهك و إله من كان قبلك ، و إله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلِّى هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم؛ قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، يَنْشُدُه عند كل فريضة منها كما ينشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ؛ وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب مانهيتنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيره راجعاً . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق ذو العَقِيصتَين[2] دخل الجنة .قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست[3] اللاتُ والعزّى ! قالوا : مه يا ضِمام ! اتق البَرَص ، اتق الجُذام ، اتق الجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لايضرّان ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً

دعوته قومه للإسلام

(١) كذا فى ؛ وفى سائر الأصول : « فلا تحدث بها على » .

(٢) العقيصتان : الضفيرتان من الشعر .

(٣) كذا فى شرح المواهب . وفى الأصول « باست » .

عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، ومانها كم عنه ، قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره[1] رجلٌ ولا امرأة إلا مسلما .

قال : يقول عبد الله بن عبّاس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة .

قدوم الجارود فى وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق :

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حَنَش أخو عبد القيس .

قال ابن هشام : الجارود بن بشر بن المُعَلّى فى وفد عبد القيس وكان نصرانيا.

قال ابن إسحاق : حدّثنى من لا أتهم عن الحسن[2] قال :

ضمان الرسول دينه وإسلامه

لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلّمه ، فعرض عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إنى قد كنت علىّ دين ، وإنى تارك دِينى لدينك ، أفتضمن لى دَينى ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا ضامن أن قد هداك اللهِ إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُمْلانَ ، فقال[3] : والله ما عندى ما أحملكم عليه . قال : يارسول الله ، فإن بيننا وبين بلادنا ضَوالّ من ضوال الناس : أفنتبلّغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا، إياك وإياها . فإنما تلك حَرَق النار .

---

(١) الحاضر : الحى .

(٢) فى م ، ر : « الحسين » .

(٣) الحملان : مايركبون عليه من دواب

موقفه من قومه فى الردة

فخرج من عنده الجارود راجعا إلى قومه ، وكان حسن الاسلام ، صُلْباً(١) على دينه ، حتى هلك وقد أدرك الرِّدة ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغَرور(٢) بن المنذر بن النعمان بن المنذر ، قام الجارود فتكلم ، فتشهّد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأُكفِّر من لم يشهد .

قال ابن هشام : ويروى : وأكفى من لم يشهد .

قال ابن إسحاق :

إسلام ابن ساوى

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَ العَلاء بن الحَضْرمىّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوَىٰ العَبْدى ، فأسلم فحسُن إسلامه ، ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البَحْرين ، والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البَحْرين .

قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حَنيفة ، فيهم مُسيلِمة ابن حَبيب الحنفىّ الكذاب.

قال ابن هشام : مُسَيلِمة بن ثُمامة ، ويكنى أبا ثمامة .

ما كان من الرسول لمسيلمة

قال ابن إسحاق :

فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار ، فحدّثنى بعضُ علمائنا من أهل المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ فى أصحابه ،

(١) فى ا : « صليبا » .
(٢) الغرور : اسمه المنذر ، سمى كذلك لأنه غر قومه يوم حرب الردة (السهيلى) .

معه عَسِيب[1] من سَعَف النخل ، فى رأسه خُوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يَشْترونه بالثياب ، كلّمه وسأله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو سألتنى هذا العسيبَ ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق :

وقد حدّثنى شيخٌ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا . زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلّفوا مسيلمة فى رحالهم ؛ فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله ، إنّا قد خلّفنا صاحباً لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ؛ وقال : أمَا إنه ليس بشرّكم مكانا؛ أى لحِفظه ضَيْعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ارتداده وتنبؤه

قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدوّ الله وتنبأ وتَكذّب لهم ، وقال : إنى قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له : أما إنه ليس بشرّكم مكانا ؛ ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أُشركت فى الأمر معه ؛ ثم جعل يَسْجع لهم الأساجيع[2] ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة[3] للقرآن : «لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صِفاق[4] وحَشَى» . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبى ، فأصفقت[5] معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أىُّ ذلك كان .

---

(١) العسيب : جريدة النخل .

(٢) فى ا : « السجعات » .

(٣) مضاهاة : مشابهة .

(٤) الصفاق مارق من البطن .

(٥) أصفقوا على ذلك : أجمعوا عليه .

قدوم زيد الخيل فى وفد طيء

إسلامه وموته — قال ابن إسحاق :

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلّموه وعرض عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحسن إسلامهم ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدّثنى من لا أتهم من رجال طيء : ماذكر لى رجلٌ من العرب بفضل ثم جاءنى ، إلا رأيته دون مايُقال فيه ، إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كلّ ما كان فيه . ثم سمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيدَ الخير ، وقطع له فَيْدًا[1] وأرَضِينَ معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعًا إلى قومه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ينجُ زيد من حُمَّى المدينة فإنه ؛ قال : قد سمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى ، وغير أم مَلْدم ، فلم يثبته ــ فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فَرَدة أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد بالموتِ قال :

أمرتحلٌ قومى المشارقَ غُدوةً ... وأُترَكُ فى بيتٍ بفَردة منجدِ[2]

ألا ربّ يوم لو مَرِضتُ لعادنى ... عوائدُ من لم يَبْرَ منهنّ يَجْهَدِ[3]

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتُبه ، التى قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحرّقتها بالنار .

---

(١) فيد : اسم مكان .
(٢) منجد : أى بنجد .
(٣) يبرى (بالبناء المجهول) أى يبريه السفر ويضعفه .

أمر عدى بن حاتم

هربه إلى الشام فرارا من الرسول

وأما عدىّ بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : مامن رجل من العرب كان أشد كراهيةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرأ شريفا ، وكنت نَصْرانيا ، وكنت أسيرُ فى قومى بالمِرْباع[1] ، فكنتُ فى نفسى على دِين ، وكنت ملكا فى قومى ، لما كان يُصنع بى . فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربىّ ، وكان راعيا لإبلى : لا أبالك ، أعدِدْ لى من إبلى أجمالا ذُلُلا[2] سِمانا ، فاحتبسْها قريبا منى ، فإذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذِنّى ؛ ففعل ؛ ثم إنه أتانى ذات غداة، فقال : ياعدىّ ، ما كنتَ صانعا إذا غشيتْك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرِّب إلىّ أجمالى ، فقربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألْحقُ بأهل دينى من النصارى بالشام ، فسلكتُ الجَوْشية[3] ، ويقال: الحَوشية فيما قال ابن هشام ــ وخلفت بنتاً لحاتم فى الحاضر[4] ، فلما قدمت الشام أقمتُ بها .

أسر الرسول ابنة حاتم ثم إطلاقها

وتُخالفنى خيل لرسول الله صلَّى الله عليه وسلّم ، فتُصيب ابنةَ حاتم ، فيمن أصابت ، فقُدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيِّئ ، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام ، قال : فجُعِلتْ بنت حاتم فى حظيرة[5] بباب المسجد ، كانت السبايا يُحبَسْن فيها ، فمرّ بها رسولُ الله

---

(١) أسير بالمرباع : أى آخذ الربع من الغنائم ، لأنى سيدهم .

(٢) ذلل : جمع ذلول ، وهو الجمل السهل الذى قد ريض .

(٣) الجوشية : جبل للضباب قرب ضرية . من أرض نجد .

(٤) بنت حاتم هذه: هى سفانة كما رجحه السهيلى، إذ لا يعرف له بنت غيرها . والحاضر : الحىّ .

(٥) الحظيرة : شبيهة بالزرب الذى يصنع للإبل والغنم ليكفها .

صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزْلة ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد[١] ، فامْنُنْ عليّ مَنّ الله عليك . قال : ومَنْ وافدك ؟ قالت : عَدِيّ بن حاتم . قال : الفارّ من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد مرّ بي ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي وقد يئست منه ، فأشار إليّ رجل من خلفه أنْ قومي فكلّميه ؛ قالت : فقمت إليه . فقلت: يارسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عليّ منّ الله عليك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلتُ ، فلا تعجَلي بخروج حتى تجِدي مِنْ قومك من يكون لك ثِقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذِنيني . فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن أكلمه ، فقيل : عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بَلِيّ أو قُضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتِيَ أخى بالشام . قالت : فجئت رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قد قَدِم رَهْط من قومى لى فيهم ثِقة وبَلاغ . قالت : فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحَمَلنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قَدِمت الشام .

إشارة ابنة حاتم على عدى بالإسلام

قال عدى : فوالله إنى لقاعدفى أهلى إذ نظرت إلى ظَعينة[٢] تَصُوب[٣] إليّ تَؤُمُّنا ، قال : فقلت ابنة حاتم . قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت عَلَيّ انْسَحَلَتْ[٤] تقول : القاطع الظالم ، احتملتَ بأهلك وولدك وتركت بقية والدِك عورَتك ! قال : قلت : أىْ أُخَيّة ، لاتقولى إلاخيرا ، فوالله مالى من عُذر ، لقد صنعتُ ما ذكرت . قال : ثم نزلتْ فأقامتْ عندى ، فقلت لها ، وكانت امرأة حازمة ، ماذا تَرَيْن فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تَلْحق

(١) الوافد : الزائر .
(٢) الظعينة : المرأة فى هودجها ، وقد تسمى ظعينة وإن لم تكن فيه .
(٣) تصوب إلىّ : تقصد وتؤم .
(٤) انسحلت : أخذت فى اللوم ومضت فيه بجدة .

به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملِكا فلن تَذِلّ في عز اليمن ، وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا الرأى .

قدوم عدى على الرسول وإسلامه

قال : فخرجت حتى أَقْدَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ،فسلّمت عليه ، فقال: مَنِ الرجل ؟ فقلت : عدىّ بن حاتم؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بى إليه ، إذ لَقِيته امرأةٌ ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تُكلّمه فى حاجتها ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ماهذا بملك ؛ قال : ثم مضى بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بى بيته ، تناول وِسادة من أَدَم محشوّة لِيفا ، فقذفها إلىّ؛ فقال : اجلسْ على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : بل أنت ، فجلست عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض؛ قال : قلت فى نفسى ، والله ما هذا بأمر ملك ؛ ثم قال : إيهِ يا عدىُّ بنَ حاتم ، ألم تك رَكُوسِيًّا[1] ؟ قال : قلت . بلى . [قال[2]] أولم تكن تسيرُ فى قومك بالمِرْباع ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يَحِل لك فى دينك ؛ قال : قلت : أجَل والله ، وقال : وعرفت أنه نبى مُرْسَل ، يعلم مايُجْهَل ؛ ثم قال : لعلك ياعدى إنما يمنعك من دُخولٍ فى هذا الدين ما تَرى من حاجتهم ، فوالله لَيُوشِكَنّ المالُ أن يَفيض فيهم حتى لايُوجَد من يأخذه ؛ ولعلّك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ماترى من كَثْرة عدوّهم وقلة عددهم ، فوالله ليُوشِكَنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسيّة على بعيرها [حتى[2]] تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وايْمُ الله لَيُوشِكن أن تسمع بالقُصورِ البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم ؛ قال : فأسلمت .

وقوع ماوعد به الرسول عديا

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونَنّ ، قدرأيت القصور البيض من أرض بابلَ قد فُتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية

(١) الركوسى : من الركوسية ، وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين .
(٢) زيادة عن ا .

على بعيرها لاتخاف حتى تحج هذا البيت ، وايْم الله لتكونن الثالثة ، ليَفِيضَنّ المـالُ حتى لا يُوجد من يأخذه .

قدوم فروة بن مسيك المرادى

قال ابن إسحاق :

وقَدِم فروة بن مُسَيك المُرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مفارقا لملوك كِندة ، ومباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يوم الردم بين مراد وهمدان

وقد كان قُبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعة ، أصابت فيها هَمْدان من مرادَ ما أرادوا ، حتى أثخنوهم(١) في يوم كان يقال له : يوم الرَّدْم ، فكان الذى قادهَمْدان إلى مراد الأجدعُ بن مالك فى ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذى قاد هَمْدان فى ذلك اليوم مالك بن حَرِيم الهَمْدانى .

شعر فروة فى يوم الردم

قال ابن إسحاق : وفى ذلك اليوم يقول فَروة بن مُسيك :

مَرَرْنَ على لَفَاتَ وهن خُوصٌ ... يُنازِعن الأعنّـــةَ ينتحينا(٢)
فإن نَغْلِب فغلاَّبون قِدْما ... وإن نُغْلَب فغـيرُ مُغلَّبينا
وما إن طِبُّنا جُبْن ولـكن ... مَنَايانا وطُعْـــمةُ آخرينا(٣)
كذاك الدهر دولتُه سِجَال ... تَكُرّ صروفُه حِينا فحِينا(٤)
فبينْا ما نُسرّ بِهِ ونَرْضى ... ولو لُبِسِت غَضارته سِنينا(٥)

---

(١) أثخنوهم : أكثروا القتل فيهم والجراحات .

(٢) لفات (ضم أوله ، كما فى معجم البلدان) : من ديار مراد . وفى معجم ما استعجم البكرى : « مررن على لفات وهى خوص » بالكسر ، على أنه جمع « لفت » بفتح أوله أو كسره : موضع بين مكة والمدينة . وخوص : غائرات العيون، وينتحين : يعترضن ويتعمدن .

(٣) طبنا : قال فى لسان العرب : «يجوز أن يكون معناه : مادهرنا وشأننا وعادتنا ، وأن يكون معناه شهوتنا . ومعنى هذا الشعر : إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم فغلبتنا ، فغير مغلبين ، والمغلب : الذى يغلب مراراً ، أى لم نغلب إلا مرة واحدة » . ورواية اللسان « ودولة آخرينا » . والدولة (بفتح الدال وضمها) : العقبة فى المال والحرب سواء .

(٤) سجال : تارة للإنسان ، وتارة عليه . وهو من المساجلة على البئر ، يستق هذا مرة ، وذلك مرة

(٥) غضارة الشيء : طراوته ونعمته .

إذِ انقلبت به كَرّاتُ دهرٍ ... فألفيتَ الألى غُبِطوا طَحِينا[١]

فمن يُغْبَط بَرَيْبِ الدهرِ منْهم ... يَجِدْ ريبَ الزمان له خَئُونا

فلو خَــلَدَ الملوكُ إذنْ خَلَدنا ... ولو بقِى الـكرامُ إذنْ بقِينا

فأفنى ذلكم سَرَواتِ قَوْمى ... كما أفنى القــرونَ الأولينا[٢]

قال ابن هشام: أول بيت منها ، وقوله : «فإن نغلب» عن غير ابن إسحق.

قدوم فروة على الرسول وإسلامه

قال ابن إسحاق :

ولما توجه فَروة بن مُسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً لملوك كِندة قال :

لما رأيتُ ملوكَ كِندة أعرضَتْ ... كالرّجل خانَ الرجلَ عرقُ نَسائها[٣]

قرَّبتُ راحلتى أؤم محمداً ... أرجو فواضلَها وحُسْنَ ثَرائها

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة : « أرجو فواضله وحسن ثنائها » .

قال ابن إسحق :

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرَّدْم ؟ قال : يارسولَ الله ، مَنْ ذا يصيب قومَه مثل ماأصاب قومى يومَ الردم لايسوءه ذلك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : أمَا إن ذلك لم يزد قومَك فى الإسلام إلا خيرا .

واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على مراد وزُبيد ومَذْحِجَ كلها ، وبعث معه خالدَ بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) غبطوا : استحسنت حالهم .

(٢) سروات القوم : أشرافهم .

(٣) النسا : عرق مستبطن فى الفخذ ، وهو مقصور ، ومد (هنا) للشعر .

قدوم عمرو بن معديكرب فى أناس من بنى زبيد

وقدم على رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن مَعديكربَ فى أناس من بنى زُبيد، فأسلم؛ وكان عمرو قد قال لقيس بنَ مَكشوح المُرادىّ، حين انتهى إليهم أمرُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذُكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز، يقول إنه نبى، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبيًا كما يقول، فإنه لن يخفى عليك، وإذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه، فأبى عليه قيس ذلك، وسفّه رأيه، فركب عمرو بن مَعْديكربَ حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم، وصدّقه، وآمن به.

فلما بلغ ذلك قيس بنَ مكشوح أوعد عَمْراً، وتحطّم[1] عليه، وقال: خالفنى وترك رأيى؛ فقال عمرو بن معديكربَ فى ذلك:

أمَرْتكَ يوم ذى صَنْعا ء أمراً باديًا رَشَــدُهْ[2]
أمرتك باتّقــاء اللــه والمعـروف تَتَعِدُهْ
خرجت من المُنَى مثلَ الـحُمَيِّر غَـرّه وَتِدُهْ
تمنّــانى على فرس عليه جالساً أســدُهْ
علىّ مُفاضــةٌ كالنِّهْــى أخلص ماءه جَددُهْ[3]
تردّ الرمح مُنْثنِىَ[4] الســنان عوائراً قِصَدُهْ[5]
فلو لاقيــتَنى لَقِيــت ليثاً فوقه لِبدُهْ[6]

---

(١) تحطم عليه: اشتد عليه.
(٢) دوصنعاء: موضع.
(٣) المفاضة: الدرع الواسعة. والنهى: الغدير من الماء. والجدد: الأرض الصلبة.
(٤) فى ا: «مثنى».
(٥) عوائر: متطايرة. والقصد جمع قصدة، وهى ما تكسر من الرمح.
(٦) اللبد: جمع لبدة، وهى ما على كتفى الأسد ورأسه من الشعر.

تُلاقِي شَنبثًا شَثْن البَرَاثِن ناشِزاً كَتَدُهْ[1]
يُسامِي القِرْن إن قِرْنٌ تيمّمه فيَعْتَضِدُهُ[2]
فيأخذه فيَرْفعه فيَخفضُه فيقتصِدُه[3]
فَيَدْمَغُهُ فيَحْطِمُهُ فيَخْضِمه فيَزْدرِدُهْ[4]
ظَلُوم الشِّرك فيما أحرزت أنيابُه ويَدُه

قال ابن هشام : أنشدني أبو عُبيدة :

أمرتك يوم ذي صنعا ء أمراً بيِّنا رَشَدُه
أمرتك باتقاء اللـ ـهِ تأتيه وتَتَّعِدُه
فكنت كذي الحُمَيِّرِ غرّ ه مما به وتِدُه

ولم يَعرف سائرها .

ارتداده وشعره في ذلك

قال ابن إسحاق :

فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زُبيد ، وعليهم فروة بن مُسيك . فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عمرو بن معديكربَ ، وقال حين ارتد :

وجدْنا مُلْكَ فَروة شرَّ مُلْك حِماراً سافَ مُنْخُرهُ بثَفْرِ[5]
وكنتَ إذا رأيتَ أبا عُمير ترى الحُوَلاء من خَبَثٍ وغَدْرِ[6]

قال ابن هشام : قوله « بثفر » عن أبي عُبيدة .

---

(١) الشنبث : الذي يتمس بقرنه ولا يزايله . والشثن : الغليظ الأصابع . والبراثن للسباع بمنزلة الأصابع للإنسان . وناشز : مرتفع . والكتد ما بين الكتفين .

(٢) يعتضده : يأخذه تحت عضده ليصرعه .

(٣) يقتصده : يقتله .

(٤) يدمغه : يصيب دماغه . ويحطمه : يكسره . ويخضمه : يأكله وفي ا : « يخضمه » وهي بمعناها . ويزدرده : يبتلعه .

(٥) ساف : شم . والثفر في البهائم : بمنزلة الرحم من الإنسان .

(٦) الحولاء (بضم الحاء وكسرها وفتح الواو) : جلدة ماؤها أخضر تخرج مع الولد وفيها أغراس وعروق وخطوط خضر وحمر . يشبه المهجو بما فيه من خبث وغدر بهذه الحولاء دناءة وقذارة .

قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة

قدومهم وإسلامهم

قال ابن إسحاق :

وقدم على رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأشعثُ بن قيس ، فى وفد كِندة ، فحدثنى الزّهرىّ بن شِهاب أنه قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمانين راكباً من كِندة ، فدخلوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم مسجده ، وقد رَجّلوا(١) جُمَمَهُم(٢) وتَكَحَّلُوا ، عليهم جُبَب الحِبَرَة ، وقد كففوها(٣) بالحَرِير ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألم تُسْلِمُوا ؟ قالوا : بَلَى ؛ قال : فما بال هذا الحرير فى أعناقكم ؟ قال : فشقّوه منها، فألقَوْه .

انتساب الوفد إلى آكل المرار

ثم قال له الأشعث بن قيس : يارسول الله : نحن بنو آكل المُرار ، وأنت ابن آكل المُرار ؛ قال فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ناسبُوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعَةَ بن الحارث ، وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين ، وكانا إذا شاعا فى بعض العرب، فسئلا ممن هما . قالا : نحن بنو آكل المُرار ، يتعززان بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النضْر بن كنانة ، لانَقْفُو(٤) أمّنا ، ولاننتفى من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس: هل فرغتم يامعشر كندة ؟ والله لاأسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين .

نسب الأشعث إلى آكل المرار

قال ابن هشام :

الأشعث بن قيس من ولد آكل المُرار من قبل النساء ، وآكل المُرار : الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن مُعاوية بن ثور

---

(١) رجلوا : سرحوا ومشطوا .

(٢) الجمم : جمع جمة ، وهى مجتمع شعر الناصية الذى يصل إلى المنكبين .

(٣) جعلوا لها سجفا من الحرير .

(٤) لا نقفو أمنا : لا نتبع نسب أمنا . وقد كان من جدات الرسول صلى الله عليه وسلم من هى من ذلك القبيل ، منهن دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث الكندى المذكور ، وهى أم كلاب بن مرة ، وقيل : بل هى جدة كلاب، أم أمه هند ، وقد ذكر ابن إسحاق هندا هذه ، وذكر أنها ولدت كلابا (عن السهيلى) .

ابن مُرَتّع بن معاوية بن كندى ؛ ويقال كندة ، وإنما سمى آكلَ المرار ، لأن عمرو بن الهَبولة الغسّانى أغار عليهم ، وكان الحارث غائبا ، فغنم وسبى ، وكان فيمن سبى أُمُّ أُناس بنت عوف بن محلِّم الشيبانى ، امرأة الحارث بن عمرو ، فقالت لعمرو فى مسيره : لكأنى برجل أَدْلَمَ[1] أسود ، كأن مشافرَه مشافر بعير آكل مُرار[2] قد أخذ برقبتك ، تعنى الحارث ، فسمى آكل المُرار ، والمُرار : شجر . ثم تبعه الحارث فى بنى بكر بن وائل ، فلحقه ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب . فقال الحارث بن حِلِّزةَ اليَشْكرىُّ لعمرو بن المنذر ، وهو عمرو ابن هند اللخمِىّ :

وَأَقَدْناك ربّ غسّان بالمُنـــــذِرِ كَرْها إذ لاتُكال الدِّماء

لأن الحارث الأعرج الغسّانى قتل المنذرُ أباه ، وهذا البيت فى قصيدة له . وهذا الحديث أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القَطْع . ويقال: بل آكل المُرار : حُجر بن عمرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ؛ وإنما سمى آكل المُرار ، لأنه أكل هو وأصحابه فى تلك الغزوة شجراً يقال له المرار .

قدوم صرد بن عبد الله الأزدى

إســلامه

قال ابن إسحاق :

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صُردُ بن عبد الله الأزدىّ ، فأسلم ، وحسن إسلامه ، فى وفد من الأزد ، فأمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على

---

(١) الأدلم : المسترخى الشفتين .

(٢) المرار (بضم الميم) : نبت إذا أكلته الإبل تقبضت مشافرها ، لمرارته .

من أسلم من قومه ، وأمروه أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبل اليمن .

قتاله أهل جرش

فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل بجُرَش(1) ، وهى يومئذ مدينةٌ مغلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضَوت(2) إليهم خَثْعَم ، فدخلوها معهم حين سَمِعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شَكَر ، ظن أهل جُرَشَ أنه إنما ولّى عنهم منهزمًا ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عَطَف عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا ،

إخبار الرسول وافدى جرش بما حدث لقومها

وقد كان أهل جُرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان و ينظران ، فبينما هما عند رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عشيةً بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأى بلاد الله شَكْر ؟ فقام إليه الجُرشيان فقالا : يارسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كَشْر ؛ وكذلك يسميه أهلُ جَرش ، فقال : إنه ليس بكَشْر ، ولكنه شَكْر ؛ قالا : فما شأنه يارسول الله ؟ قال : إن بُدْنَ الله لتُنْحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما ، ويحكما ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن لينْعَى لكما قومكما(3) ، فقوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاسألاه أن يدعوَ الله أن يرفع عن قومكما ؛ فقاما إليه ، فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجِعَيْن إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يومَ أصابهم صُرَد ابن عبد الله ، فى اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر .

إسلام أهل جرش

وخرج وفدُ جُرَشَ حتى قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، وحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة والمثيرة ، بقرة الحَرْث ، فمن رعاه من الناس فماله سُحْت . فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد :

---

(1) جرش (بوزن عمر) : مخلاف من مخاليف اليمن (كورة) .
(2) ضوت إليهم : لجأت إليهم .
(3) أى يخبركما بقتلهم .

وكانت خَثْعَم تُصِيب من الأزد فى الجاهلية ، وكانوا يَعْدُون[1] فى الشهر الحرام :

يا غزوةً ماغزونا غيرَ خائبـــةٍ فيها البغالُ وفيها الخَيْل والحُمُرُ
حتى أتينا حُمَــيْرا فى مصانعها وجَمْعُ خثعم قد شاعت لها النُّذُر[2]
إذا وضعتُ غليلاً كنت أحمله فما أُبالى أدانُوا بعدُ أم كفروا[3]

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

قدوم رسول ملوك حمير

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوك حِمْيَر ، مَقْدَمَهُ من تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كُلال ، ونُعَيم بن عبد كُلال ، والنعمانُ قيلُ[4] ذِى رُعين ومَعافرَ وهَمْدان ؛ وبعث إليه زُرْعةُ ذو يَزَنٍ مالكَ بن مرة الرَّهاوى بإسلامهم ، ومُفارقتهم الشركَ وأهله .

فكتب إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

كتاب الرسول إليهم

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبى إلى الحارث بن عبد كُلال وإلى نعيم بن عبد كُلال ، وإلى النعمان ، قَيلِ ذى رُعين ومَعافرَ وهَمْدان . أما بعد ذلكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولُكم مُنْقَلَبَنَا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة، فبلَّغ ما أرسلتم به، وخبَّر ما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهُداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمُس الله ، وسَهمَ

---

(1) يعدون : يعتدون .

(2) حمير : تصغير ترخيم لحمير . وفى الزرقانى : «أتينا جريشا» . والمصانع : القرى والحصون والأبنية الضخمة . وشاعت : ذاعت وانتشرت . وفى ا : « ساغت » أى سهلت .

(3) الغليل حرارة الجوف ، من عطش أو نحوه . ودانوا : خضعوا للدين .

(4) القيل : واحد الأقيال ، وهم الملوك الذين دون الملك الأكبر .

الرسول وصَفيه[1]، وما كُتب على المؤمنين من الصدقة من العَقار[2]، عشر ماسَقت العين وسقت السماء، وعلى ماسقى الغَرْب[3] نصف العشر، وأن فى الإبل الأربعين ابنة لَبون، وفى ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر، وفى كل خمس من الإبل شاة، وفى كل عشر من الإبل شاتان، وفى كل أربعين من البقر بقرة، وفى كل ثلاثين من البقر تَبِيع، جَذَع أوجذَعة، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها، شاة، وأنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة، فمن زاد خيرا فهو خير له، ومن أدّى ذلك، وأشهد على إسلامه، وظاهر[4] المؤمنين على المشركين، فإنه من المؤمنين، له مالهم، وعليه ماعليهم، وله ذمة الله وذمة رسوله، وإنه من أسلم من يَهُودىّ أو نصرانىّ، فإنه من المؤمنين، له مالهم، وعليه ماعليهم، ومن كان على يهوديّته أو نصرانيّته فإنه لايُرَد عنها، وعليه الجزية، على كل حالم ذكرا أو أنثى، حر أو عبد، دينارٌ واف، من قيمة المعافر[5] أو عِوَضُه ثيابا، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله.

أما بعد فإن رسول الله محمدا النبى أرسل إلى زُرعة ذى يزن أنْ إذا أتاكم رُسُلِى فأُوصيكم بهم خيرا: معاذُ بن جَبَل، وعبدُ الله بن زيد، ومالكُ بن عُبادة، وعُقبة بن نمر، ومالك بن مُرّة، وأصحابهم، وأنِ اجمعوا ماعندكم من الصدقة والجِزية من مخاليفكم، وأبْلغوها رُسلى، وأن أميرهم مُعاذ بن جبل، فلا ينقلِبَنَّ إلاّ راضِيا. أما بعد فإن محمدا يشهد أن لاإله إلاالله وأنه عبده ورسوله، ثم إن مالك ابن مُرّة الرّهاوى قد حدّثنى أنك أسلمتَ من أول حمير، وقتلتَ المشركين، فأَبْشر بخير، وآمرك بحمير خيرا، ولاتخونوا ولاتخاذلوا، فإنّ رسولَ الله هو ولىّ[6]

(١) الصفىّ: مايصطفيه الرئيس من الغنيمة لنفسه قبل أن تقسم المغانم.
(٢) العقار: الأرض.
(٣) الغرب: الدلو.
(٤) ظاهر: عاون وقوى.
(٥) المعافر: ثياب من ثياب اليمن.
(٦) فى ا: «مولى».

غنيّكم وفقيركم ، وأن الصدقة لاتحل لمحمّد ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاةٌ يُزَكّى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وأن مالكا قد بلّغ الخبَر ، وحفِظ الغَيب ، وآمركم به خيرا ، وأنّى قد أرسلتُ إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم، وآمرك بهم خيرا ، فإنهم[1] منظور إليهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصية الرسول معاذا حين بعثه إلى اليمن

بعث الرسول معاذا على اليمن وشيء من أمره بها

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدّث :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بَعَث مُعاذا ، أوصاه وعَهِد إليه ، ثم قال له : يَسّر ولا تعسر ، وبَشّر ولا تنفّر ، وإنك ستقدَم على قوم من أهل الكتاب، يَسْئلونك مامِفْتاح الجنة ؛ فقل شهادة أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ؛ قال : فخرج معاذ ، حتى إذا قَدِم اليمن قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : ياصاحب رسول الله ، ماحقُّ زوج المرأة عليها ؟ قال : ويْحَك ! إن المرأة لاتقدر على أن تؤدى حق زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه مااستطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتعلم ماحق الزوج على المرأة . قال : ويحك ! لو رجعت إليـــه فوجدتِه تَنْثعب[2] مَنْخِراه قَيْحا ودما ، فمَصِصْت ذلك حتى تُذْهبيه ماأدّيت حقه

إسلام فروة بن عمرو الجذامى

إســــلامه

قال ابن إسحاق :

وبعث فروةُ بن عمرو بن النافرة الجُذامى ، ثم النُّفَاثى ، إلى رسول الله

(١) فى ا : فإنه » .
(٢) تنثعب منخراه : تسيل .

صلى الله عليه وسلم رسولاً بإسلامه ، وأهدى له بغلةً بيضاء ، وكان فروة عاملاً للروم على مَن يَليهم من العرب ، وكان منزله مُعان وما حولها من أرض الشام .

حبس الروم له وشعره فى حبسه

فلما بلغ الرومَ ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال فى مَحْبِسه ذلك :

طرقتْ سُلَيمى مَوهِناً أصحابى ... والرومُ بين البابِ والقِرْوَانِ[1]
صدّ الخيالُ وساءه ماقد رأى ... وهممتُ أنْ أُغفِي وقد أبكانى[2]
لا تَكحُلِنّ العينَ بعدىَ إثمداً ... سَلْمى ولا تَدِنِنَّ للإتْيان[3]
ولقد علمتَ أبا كُبَيشة أننى ... وسْطَ الأعزة لايُحَص لسانى[4]
فلئن هلكتُ لتفقِدُنّ أخاكم ... ولئن بَقيتُ لتَعْرِفُن مكانى
ولقد جمعت أجلّ ماجمع الفتى ... من جَوْدَة وشجاعة وبَيان

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عَفْراء[5] بفِلَسْطِين ، قال :

ألا هل أتى سلمى بأن حَليلَها ... على ماء عَفْرا فوق إحدى الرّواحل[6]
على ناقة لم يَضْرِب الفحلُ أمَّها ... مُشَذَّبة أطرافُها بالمَنَاجل[7]

فزعم الزهرىُّ بن شهاب :

مقتله

أنهم لما قدّموه ليقتلوه ، قال :

بَلِّغ سَراةَ المسلمين بأننى ... سَلْم لربّى أعظُمى ومَقامى

ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك الماء ، يرحمه الله تعالى .

---

(١) الموهن : بعد ساعة من الليل . والقروان : جمع قرو (بالكسر) وهو حويض من خشب تسقى فيه الدواب ، وتلغ فيه الكلاب .

(٢) أغفى : أنام نوما خفيفا .

(٣) الإثمد : ضرب من الكحل .

(٤) لايحص : لايقطع .

(٥) فى شرح المواهب للزرقانى : « عفراء » بفتح العين وسكون الفاء وألف مدها همزة ، فيكون ممدودا وقصره فى الشعر ضرورة . وفى الأصول : « عفرا » بالقصر .

(٦) الحليل : الزوج . والرواحل فى الأصل : الإبل . ويريد بإحدى الرواحل : الخشبة التى صلبوه عليها . وسيعود إلى ذكر هذا فى البيت الآتى .

(٧) المشذبة : التى أزيلت أغصانها .

إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد

لما سار إليهم

قال ابن إسحاق :

دعوة خالد الناس إلى الإسلام وإسلامهم

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بنى الحارث بن كعب بنَجران[(١)] ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتِلهم . فخرج خالدٌ حتى قَدِم عليهم ، فبعث الرُّكبان يَضْربون فى كل وَجْه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس ، أسلموا تسلموا . فأسلم الناسُ ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلّمهم الإسلام وكتابَ الله وسنةَ نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

كتاب خالد إلى الرسول يسأله رأيه فى البقاء أو المجىء

ثم كتب خالدُ بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم : لمحمد النبىّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، يا رسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم[(٢)] ، وقبلت منهم ، وعلّمتهم معالمَ الإسلام وكتابَ الله وسنة نبيّه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنى قدِمت عليهم فدعَوتُهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيام ، كما أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم رُكبانا قالوا : يا بنى الحارث ، أسلِموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مُقيم بين أظهُرِهم ، آمُرهم بما أمرهم الله به

(١) نجران : بلد بين اليمن وهجر .
(٢) هذه العبارة : « أقمت فيهم » ساقطة فى : .

وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلّمهم معالم الإسلام وسنة النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

كتاب الرسول إلى خالد يأمره بالمجيء

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد ، فإن كتابك جاءني مع رسولك تُخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى مادعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقْبِلْ وليُقْبلْ معك وفدُهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قدوم خالد مع وفدهم على الرسول

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفدُ بنى الحارث ابن كعب ، منهم قيس بن الحُصَين[1] ذى الغُصة ، ويزيد بن عبد المَدان ، ويزيد بن المحجّل ، وعبد الله بن قُراد الزّيادى ؛ وشدّاد بن عبد الله القَنانى ، وعمرو بن عبد الله الضِّبابى[2] .

حديث وفدهم مع الرسول

فلما قدموا على رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فرآهم ، قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل : يا رسول الله . هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب ؛ فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّموا عليه وقالوا : نشهد أنك رسولُ الله ، وأنه لا إله إلا الله ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا ، فسكتوا ، فلم يراجِعْه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدان : نعم ،

(١) سمى ذا الغصة ، لأنه كان إذا تكلم أصابه كالغصص .

(٢) ضِباب (بكسر الضاد) فى بنى الحارث بن كعب ، وفى قريش ، وفى بنى عامر ابن صعصعة . و (بالفتح) فى نسب النابغة الذبيانى . و (بالضم) فى بنى بكر (انظر السهيلى) .

يا رســـول الله ، نحن الذين إذا زُجروا استقدموا ، قالَها أربعَ مِرار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن خالداً لم يكتب إلىّ أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ؛ فقال يزيد بن عبد المَدان : أمَا والله ما حَمِدناك ولا حمدنا خالداً ؛ قال : فمن حَمِدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله ؛ قال : صدقتم . ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهليــة ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا ؛ قال : بلى ، قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ؛ قالوا : كنا نغلب مَنْ قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نَفْتَرِق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ؛ قال : صدقتم . وأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث بن كعب قيسَ بن الحُصَين .

فرجع وفدُ بنى الحارث إلى قومهم فى بقيّة من شوال، أو فى صدر ذى القِعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومِهم إلا أربعة أشهر ، حتى تُوُفِّىَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ورحم وبارك ، ورضى وأنعم .

بعث الرسول عمرو بن حزم بعهده إليهم

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بعث إليهم بعد أن ولّى وفدُهم عمرَو بن حزم ، ليفقّههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا عَهِد إليه فيه عهدَه ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا بيان من الله ورسوله ، يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبىّ رسول الله لعمرو بن حَزْم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتَقْوى الله فى أمره كلّه ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمره الله ، وأن يبشّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويُعَلِّم الناس القرآن ، ويفقّههم فيه ، وينهى الناس ، فلا يمسّ القرآن إنسان إلاّ وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلينَ للناسِ فى الحق، ويشتدّ عليهم فى الظلم، فإن الله كره الظلم، ونَهى عنه ، فقال : « ألاَ لعنةُ الله عَلَى الظَّالِمِين » ، ويبشّر الناس بالجنّة وبعَمَلِها ، ويُنْذِر

الناس النارَ وعلَها ، و يستأنِف الناس حتى يُفقِّهُوا فى الدين ، ويعلّم الناس معالم الحجّ وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العُمرة ؛ ويَنْهى الناس أن يصلّى أحدٌ فى ثوب واحد صغير، إلا أن يكون ثوبًا يثنى طرفيه على عاتقيه ؛ وينهى الناس أن يحتبىَ أحد فى ثوب واحد يُفضى بفَرْجه إلى السماء ، وينهى أن يعقِص أحد شعر رأسه فى قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هَيْج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحدَه لاشريك له ، فمن لم يَدْع إلى الله، ودعا إلى القبائل والعشائر فليُقْطَفُوا بالسيف، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لاشريك له، و يأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، و يمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، و إتمام الركوع والسجود[1] والخشوع ، و يُغَلِّس بالصبح ، و يهجِّر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مُدْبِرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لايؤخر حتى تبدُوَ النجوم فى السماء ، والعِشاء أول الليل ؛ وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نُودِىَ لها ، والغُسْلِ عند الرَّواح إليها ؛ وأمره أن يأخذ من المغانم خُمُس الله ؛ وما كُتب على المؤمنين فى الصدقة من العَقار عُشرُ ما سَقَت العين وسقت السماء ، وعلى ماسَقَى الغَرْبُ نصف العُشر ؛ وفى كل عَشر من الإبل شاتان ، وفى كل عشرين أربع شياه ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبيع ، جَذَع أوجَذَعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له ؛ وأنه من أسلم من يهودىّ أونصرانىّ إسلامًا خالصا من نفسه ، ودان بدين الإسلام، فإنه من المؤمنين ، له مثل مالهم ، وعليه مثل ماعليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها ، وعلى كل حالم : ذكر أو أنثى ،

(١) هذه الكلمة « السجود » ساقطة فى ا

حُر أو عبد ، دينارٌ وافٍ أو عِوَضُه ثِيابا .

فمن أدَّى ذلك فإن له ذمةَ الله وذمةَ رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا ؛ صلوات الله على محمد، والسلام عليه ورحمة الله و بركاته.

قدوم رفاعة بن زيد الجذامى

إسلامه وحمله كتاب الرسول إلى قومه

وقَدِم على رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فى هُدنة الحُدَيْبية ، قبل خيبر ، رفاعة بن زيد الجُذامىّ ثم الضُّبَيْبِىّ ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه سلم غلاما، وأسلم ، فحسن إسلامه ، وكتب له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم كتاباً إلى قومه . وفى كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد . إنى بعثته إلى قومه عامّة ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله و إلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففى حِزْب الله وحِزْب رسوله ، ومن أَدْبر فله أمان شهرين .

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحَرّة : حَرّة الرَّجْلاء ، ونزلوها .

قدوم وفد همدان

قال ابن هشام .

أسماؤهم وكلمة ابن نمط بين يدى الرسول

وَقدم وفد هَمْدانَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنى من أثق به عن عمرو بن عبد الله بن أُذينة العبدى، عن أبى(١) إسحاق السَّبيعى ، قال :

---

(٢) فى ا : « ابن إسحاق السبيعى » . وهو تحريف .

قدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم مالك بن نَمَط ، وأبو ثور ، وهو ذو المِشعار ، ومالكُ بن أَيْفع ، وضِمَام بن مالك السَّلْماني ، وعَميرة ابن مالك الخارفيّ ، فلقُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرْجِعَه من تبوك ، وعليهم مُقَطَّعَات الحِبَرَات[١] ، والعمائم العدنية ، برحال المِيس[٢] على المَهْرِيَّة[٣] والأَرْحَبِيَّة[٤] ، ومالك بن نَمَط ورجل آخر يرتجزان بالقوم ، يقول أحدهما :

هَمْدان خيرُ سُوقةٍ وأَقْيالْ ... ليس لها في العالَمِين أمثالْ[٥]
محلّها الهَضْب ومنها الأبطال ... لها إطَابات بها وآكال[٦]

ويقول الآخر :

إليك جاوَزن سوادَ الرِّيفِ ... في هَبوات الصَّيف والخَرِيفِ[٧]
* مُخطَّماتٍ بحبال اللِّيفِ[٨] *

فقام مالك بن نَمَط بين يديه ، فقال : يارسول الله ، نَصِيَّة[٩] من هَمْدانَ ، من كل حاضر وباد ، أتَوْكَ على قُلُص نَوَاج[١٠] ، متصلة بحبائل الإسلام ، لاتأخذهم في الله لومةُ لائم ، من مِخْلاف[١١] خارف ويام وشاكر[١٢] أهل السود والقود[١٣] ،

---

(١) مقطعات : ثياب مخيطة . والحبرات : برود يمنية .
(٢) الميس : خشب تصنع منه الرحال التي تكون على ظهور الإبل .
(٣) المهرية : الإبل النجيبة ، تنسب إلى مهرة ، قبيلة باليمن .
(٤) الأرحبية : إبل تنسب إلى أرحب . وهم قبيلة من همدان ، أو فحل ، أو مكان تنسب إليه النجائب .
(٥) السوقة : من دون الملوك من الناس . والأقيال . الملوك دون الملك الأكبر ، واحدهم قيل .
(٦) الهضب : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة : هضبة . يصف علو منزلتها . والإطابات : الأموال الطيبة . والآكال : ما يأخذه الملك من رعيته وظيفة له عليهم .
(٧) السواد (هنا) : القرى الكثيرة الشجر والنخل . والريف : الأرض التي تقرب من الأنهار والمياه الغزيرة . والهبوات : جمع هبوة ، وهى الغبرة .
(٨) مخطمات : جعل لها خطم ، وهى الحبال التي تشد في رءوس الإبل على آنافها .
(٩) النصية : خيار القوم .
(١٠) القلص (ككتب) : الإبل الفتية ؛ الواحد : قلوص (كرسول) . ونواج : مسرعة .
(١١) المخلاف : المدينة ، بلغة اليمن .
(١٢) خارف ، ويام ، وشاكر : قبائل من اليمن .
(١٣) السود : الإبل . والقود : الخيل .

أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا الآلهاتِ[1] الأنصاب[2] ، عهدهم لا يُنقَض ما أقامت لَعْلَع[3] ، وماجرى اليعفور[4] بصَلَع[5]

كتاب الرسول بالنهي

فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من رسول الله محمد ، لمخلاف خارف وأهل جَناب الهَضْب وحِقَاف[6] الرمل ، مع وافدها ذى المِشْعار مالك بن نَمَط ، ومن أسلم من قومه ، على أنَّ لهم فِراعها[7] ووِهاطَها[8] ، ما أقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاة ، يأكلون عِلافَها[9] ويَرْعون عافِيَها[10] ، لهم بذلك عهدُ الله وذِمام رسوله ، وشاهدُهم المُهاجرون والأنصار . فقال فى ذلك مالك بن نَمَط :

ذكرت رسولَ الله فى فَحْمةِ الدُّجى ... ونحنُ بأعلى رَحْرَحانَ وصَلْدَدِ[11]
وهُن بنا خُوصٌ طلائحُ تَغْتلى ... برُكبانِها فى لاحِبٍ مُتمدِّدِ[12]
على كل فَتْلاَءِ الذِّراعين جَسْرَةٍ ... تمرّ بنا مرّ الهِجَفِّ الخَفَيْدَدِ[13]
حلفتُ بربِ الراقصاتِ إلى مِنًى ... صوادرَ بالرُّكبان من هَضْبِ قَرْدَدِ[14]

---

(١) الألهات : جمع إلهة .
(٢) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون لها وفى ا : « الإلهات والأنصاب »
(٣) لعلع : جبل .
(٤) اليعفور : ولد الظبية .
(٥) كذا فى م ، ر . وصلع : اسم موضع . وفى ا : « بضلع » أى بقوة .
(٦) الحقاف : جمع حقف ، وهو الرمل المستدير .
(٧) الفراع : أعالى الأرض .
(٨) الوهاط : المنخفض المطمئن من الأرض .
(٩) العلاف : ثمر الطلح .
(١٠) عافيها : نباتها الكثير ؛ يقال : عفا النبت وغيره إذا كثر .
(١١) الفحمة : السواد . والدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة . ورحرحان وصلدد : موضعان .
(١٢) الخوص : الغائرة العيون ، الواحدة : خوصاء . وطلائح : معيية . وتغتلى (بالغين المعجمة) : تشتد فى سيرها . واللاحب : الطريق البين .
(١٣) الجسرة : الناقة القوية على السير . والهجف : الذكر الضخم من النعام والخفيدد ، بمعنى الهجف .
(١٤) الراقصات : الإبل . والرقص والرقصان : ضرب من السير فيه حركة وصوادر : رواجع . والقردد : ماارتفع من الأرض .

بأنّ رسولَ الله فينا مُصَــدَّق ... رسولٌ أتى من عند ذى العَرْش مُهْتدِى
فما حملتْ من ناقةٍ فوق رَحْلِها ... أشــــدَّ على أعدائه من محمّد
وأعطى إذا ما طالبُ العُرْف جاءه ... وأمْضَى بحــــدِّ المَشْرفىِّ المهنّد

ذكر الكذابين مسيلمة الحنفى والأسود العنسى

قال ابن إسحاق :

وقد كان تكلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابان ، مُسَيلِمة ابن حَبيب باليمامة فى بنى حنيفة ، والأسود بن كعب العَنْسى بصَنعاء .

رؤيا الرسول فيهما

قال ابن إسحاق : حدّثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيط ، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على مِنْبَرِه ، وهو يقول : أيُّها الناس ، إنى قد رأيت ليلة القدر ، ثم أُنسيتها ، ورأيت فى ذراعىَّ سوارين من ذهب ، فكرِهتهما ، فنفختُهما فطارا ، فأوَّلتهما هذين الكذابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

حديث الرسول عن الدجالين

قال ابن إسحاق: وحدّثنى من لا أتهم عن أبى هُريرة أنه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا ، كلهم يدّعى النبوة .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

لأمراء وأسماء العمال وما تولوه

قال ابن إسحاق :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كل ما أوطأ الإسلامُ من البُلْدان ؛ فبعث المهاجرَ بن أبى أميّة بن المغيرة إلى

صَنعاء ، فخرج عليه العَنْسِىّ وهو بها ، و بعث زياد بن لَبيد ، أخا بنى بَيَاضَــة الأنصارى ، إلى حضرموت وعلى صدقاتها ، وبعث عدى بن حاتم على طَيِّئ وصدقاتها ، وعلى بنى أسد ؛ و بعث مالك بن نُويرة ـ قال ابن هشام : اليربوعى ـ على صدقات بنى حنظلة ، وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم ، فبعث الزِّبرقان بن بدر على ناحية منها ، وقيسَ بن عاصم على ناحية ، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمىّ على البحرين ، و بعث علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نَجْرانَ ، ليجمع صدقتَهم ويَقْدَم عليه بجِزْيَتِهِمْ .

كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مسيلمة بنُ حبيب ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ؛ سلام عليك ؛ أما بعد فإنى قد أُشركت فى الأمر معك ، و إن لنا نصفَ الأرض ، ولقُريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يَعتدون .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سَلَمة بن نُعيم بن مسعود الأشجعى ، عن أبيه نعيم ، قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرُّسُل لا تُقتل لضربت أعناقَكما ، ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مُسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإن الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

وذلك فى آخر سنة عَشْر .

حجة الوداع

تجهز الرسول واستعماله على المدينة أبا دجانة

قال ابن إسحاق :

فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القِعدة ، تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة .

قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دُجانة الساعدى ، ويقال : سِباع ابن عُرْفُطَة الغفارى .

ما أمر الرسول عائشة فى حيضها

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت :

لايذكر ولا يذكر الناس إلا الحَجّ[(١)] ، حتى إذا كان بسَرِف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهَدْى وأشرافٌ من أشراف الناس ، أمر الناس أن يُحِلوا بعمرة ، إلا من ساق الهدى ؛ قالت : وحِضْت ذلك اليوم ، فدخل علىّ وأنا أبكى ؛ فقال : مالك ياعائشة ؟ لعلك نَفِسْت ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى هذا فى هذا السفر ؛ فقال : لا تقولن ذلك ، فإنك تَقْضِين كل مايقضى الحاج إلا أنك لا تطُوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، فحل كلّ من كان لاهدى معه ، وحل نساؤه بعُمرة ، فلما كان يوم النحر أُتيتُ بلحم بقر كثير ، فطُرِح فى بيتى ، فقلت : ماهذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى

(١) هذا الكلام موصول بقولها السابق : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة » .

إذا كانت ليلة الحَصْبة، بعث بى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبدالرحمن ابن أبى بكر، فأعمرنى من التَّنعيم، مكان عُمرتى التى فاتتنى.

قال ابن إسحاق: وحدثنى نافع، مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله ابن عمر عن حَفْصة بنة عمر، قالت:

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يَحْلِلن بعُمرة، قُلْن: فما يمنعك يارسول الله إن تَحل معنا؟ فقال: إنى أهديتُ ولبَّدْت[1]، فلا أُحِلّ حتى أنحر هَدْيِى.

موافاة علىّ فى قفوله من اليمن رسول الله فى الحج

ما أمر به الرسول عليا من أمور الحج

قال ابن إسحاق: وحدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث عليًا رضى الله عنه إلى نجران، فلقيه بمكّة وقد أحرم، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها، فوجدها قد حلّت وتهيّأت، فقال: مالك يا بنت رسول الله. قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نَحِلّ بعمرة فحللنا. ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من الخَبر عن سَفره، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، انطلق فطُف بالبيت، وحِلّ كما حَل أصحابك؟ قال: يا رسول الله، إنى أهللتُ كما أهللتَ؛ فقال: ارجع فاحلِلْ كما حلّ أصحابُك؛ قال: يا رسول الله، إنى قلت حين أحرمتُ: اللهم إنى أُهِلّ بما أَهَلّ به نبيُّك وعبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم؛ قال: فهل معك من هَدْى؟ قال: لا. فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هَدْيه، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما.

(١) لبدت: أى وضعت فى شعرى شيئا من صمغ عند الاحرام لئلا يشعث ويقمل. وإنما يلبد من يطول مكثه فى الاحرام. (عن النهاية لابن الأثير).

شكا عليا جنده إلى الرسول لانتزاعه عنهم حللا من بز اليمن

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بنُ ركانة قال :

لما أقبل علىّ رضى الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلف على جُنده الذين معه رجلاً من أصحابه ، فعمَد ذلك الرجل فكَسا كلّ رجل من القوم حُلّة من البَزّ الذى كان مع على رضى الله عنه . فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحُلل ؛ قال : ويلك ! ماهذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا فى الناس ؛ قال : ويلك ! انزِع قبل أن تنتهَى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فانتزع الحُلل من الناس ، فردّها فى البزّ ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صُنِع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم ، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجْرة عن عَمته زينب بنت كعب ، وكانت عند أبى سَعيد الخُدْرِىّ ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال .

اشتكى الناس عليّا رضوانُ الله عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً ، فسمعته يقول : أيها الناس ، لا تشكوا عليًّا ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، أو فى سبيل الله ، من أن يشكَى .

خطبة الرسول فى حجة الوداع

قال ابن إسحاق :

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجّه ، فأرى الناسَ مناسِكهم ، وأعلمهم سُنَن حَجِّهم ، وخطب الناس خطبته التى بيّن فيها ما بيّن ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرِى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً ؛ أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقَوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستَلْقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلّغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدِّها

إلى من ائتمنه عليها ، وإن كلّ ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون . قضى الله أنه لا ربا ، وإن رِبَا عبّاس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دمُ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مُسترضعا فى بنى ليث ، فقتلته هُذَيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئِس من أن يُعْبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنّه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تَحْقِرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النسىء زيادة فى الكُفْر يُضَلُّ بِهِ الَّذِين كفرُوا يُحِلُّونهُ عامًا وَيُحَرِّمُونهُ عامًا ، لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَاحَرَّمَ اللهُ ، فيُحِلُّوا ما حرّم اللهُ ، ويحرّموا ما أحلّ اللهُ ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يومَ خلق اللهُ السمواتِ والأرضَ ، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حُرُم ، ثلاثة متوالية ، ورجب[1] مضر ، الذى بين جُمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشَكُمْ أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبيِّنة ، فإن فعلن فإن اللهَ قد أذن لكم أن تهجروهن فى المَضاجع وتَضْربوهن ضربا غيرُ مُبَرِّح[2] ، فإن انتهين فلهن رزقُهن وكُسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عندكم عَوَانٍ[3] لايمْلكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجَهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قَوْلى ، فإنى قد بلّغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا ، كتابَ الله وسنة نبيه . أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلَمُنّ أن كل مسلم أخ

---

(١) ورجب مضر : إنما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم رمضان ، وتسميه رجبا ، فبين عليه السلام أنه رجب مضر لارجب ربيعة . وأنه الذى بين جمادى وشعبان .

(٢) غير مبرح : غير شديد .

(٣) عوان : جمع عانية ، وهى الأسيرة .

المسلم ، وأن المُسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه الا ما أعطاه عن طِيب نفس منه ، فلا تظلِمُن أنفسكم ؛ اللهم هل بلغت ؟

فذكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .

اسم الصارخ بكلام الرسول وما كان يردده

قال ابن إسحاق: وحدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد قال: كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو بعرفة ، ربيعةَ بنَ أمية بن خلف . قال : يقول له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : قل : يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ؛ فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحُرمة شهركم هذا ؛ ثم يقول : قل : يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرونَ أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ؛ قال : فيقولون البلد الحرام ؛ قال ؛ فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا ؛ قال : ثم يقول : قل : يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم . فيقولون : يوم الحج الأكبر ؛ قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقَوا ربكم كحُرمة يومكم هذا .

رواية ابن خارجة عما سمعه من الرسول فى حجة الوداع

قال ابن إسحاق : حدّثنى ليثُ بن أبى سُليم عن شَهْر بن حوْشب الأشعرى عن عمرو بن خارجة قال :

بعثنى عَتَّاب بن أُسَيد إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعَرَفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لُغامها[1] ليقع على رأسى ، فسمعته وهو يقول:

---

(١) اللغام : الرغوة التى تخرج على فم البعير .

أيها الناس، إن الله قد أدّى إلى كل ذى حق حقه ، وإنه لاتجوز وصيّة لوارث، والولد للفراش ، وللعاهر الحَجَر ، ومن ادّعى إلى غير أبيه أوتولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه صَرْفاً ولا عدلا .

بعض تعليم الرسول فى الحج

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبدُ الله بن أبى نجيح :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة قال : هذا الموقف ، للجَبَل الذى هو عليه ، وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قُزَح[1] صبيحة المزدلفة : هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بِمنًى قال : هذا المنحر ، وكل منى منحر . فقضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحجَّ وقد أراهم مناسكهم ، وأعلَمهم مافرَض الله عليهم من حجّهم: من الموقف، ورَمْى الجمار، وطواف بالبيت، وما أحلّ لهم من حجّهم، وما حُرّم عليهم، فكانت حِجةَ البلاغ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لم يحجّ بعدها .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق :

ثم قفل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرّم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمّر عليهم أُسامة بن زيد بن حارثه مولاه ، وأمرَه أن يوطئْ الخيل تخوم البَلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهّز الناس ، وأوعب[2] مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

---

(١) قزح (بضم ففتح) جبل بالمزدلفة .

(٢) أوعب المهاجرون : جمعوا ما استطاعوا من جمع .

خروج رسل رسول الله إلى الملوك

تذكير الرسول قومه بما حدث للحواريين حين اختلفوا على عيسى

قال ابن هشام :

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدّثني من أثق به عن أبي بكر الهذلي قال :

بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرَج على أصحابه ذات يوم بعد عُمرته التي صُدّ عنها يوم الحُديبية ، فقال : أيها الناس ، إن الله قد بعثني رحمة وكافّة ، فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ؛ فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مَبْعثًا قريبا فرَضي وسَلِم ، وأما من بعثه مَبعثًا بعيداً فكره وجهه وتثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون وكلٌّ واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث إليها .

أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم

فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دِحْية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، ملك الروم ؛ وبعث عبد الله بن حُذافة السَّهمي إلى كسرى ، ملك فارس ؛ وبعث عمروَ بن أُمية الضَّمْري إلى النجاشي ، ملك الحبشة ؛ وبعث حاطَب ابن أبي بَلْتعة إلى المُقوقِس ، ملك الإسكندرية ؛ وبعث عمرو بن العاص السَّهمي إلى جَيْفرٍ وعِياذ ابني الجُلُندى الأزْديين ، ملكي عُمان ؛ وَبعث سَلِيط بن عمرو ، أحد بني عامر بن لؤي ، إلى ثُمامة بن أُثال ، وهَوْذة بن علي الحنفيين ، ملكي اليمامة ؛ وبعث العلاء بن الحَضْرمي إلى المُنذر بن ساوَى العَبْدي ، ملك البحرين ؛ وبعث شجاعَ بن وهب الأسدي إلى الحارث ابن أبي شِمْر الغساني ، ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شجاعَ بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغسّانى ، وبعث المهاجر بن أبى أمية المخزومى إلى الحارث بن عبد كُلال الحميرى ، ملك اليمن.

قال ابن هشام : أنا نسيت سَلِيطا وثُمامة وهَوْذَة والمنذر.

رواية ابن حبيب عن بعث الرسول رسله

قال ابن إسحاق : حدّثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى :

أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم . قال : فبعثت به إلى محمد ابن شهاب الزهرى فعرفه ، وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم: إن الله بعثنى رحمةً وكافّة، فأدّوا عنى يرحمكم الله ، ولا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ؛ قالوا : وكيف يارسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من قَرَّب به فأحبّ وسلم ، وأما من بعد به فكره وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وُجّه إليهم .

أسماء رسل عيسى

قال ابن إسحاق :

وكان مَنْ بَعَثَ عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع ، الذين كانوا بعدهم فى الأرض : بُطْرُسَ الحَوارِىّ ، ومعه بُولُس ، وكان بُولُسُ من الأتباع ، ولم يكن من الحَواريين إلى رُومية ؛ وأنْدَرَائِس وَمَنْتا إلى الأرض التى يأكل أهلُها الناس ؛ وتُوماسَ إلى أرض بابل ، من أرض المشرق ؛ وفِيلِبُسَ إلى قَرْطاجَنَّة، وهى إفْرِيقية ؛ ويُحَنَّسَ ، إلى أفسوس ، قرية الفِتْية ، أصحاب الكهف؛ وَيعقُوبُسَ إلى أُورَاشَلِم، وهى إيلياء ، قرية بيت المقدس، وابنَ ثَلْمَاءَ[1] إلى الأعرابية ، وهى أرض الحِجاز ؛ وسِيمُنَ إلى أرض البَرْبر ، ويَهُوذا ، ولم يكن من الحواريين ، جُعل مكان يُودِسَ[2] .

---

(١) فى م ، ر : « تلمالى » .

(٢) إلى هنا انتهى الجزء التاسع عشر من أجزاء السيرة .

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبى :

وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ، منها غزوة وَدَّانَ ، وهى غَزْوة الأبواء ، ثم غزوة بُواط ، من ناحية رَضْوَى ، ثم غزوة العُشَيْرة ، من بطن يَنْبُع ، ثم غزوه بدر الأولى ، يطلب كُرْزَ ابن جابر ، ثم غزوة بدر ، الكبرى التى قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بنى سُلَيْم ، حتى بلغ الكُدْر ، ثم غزوة السَّويق ، يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزووة غَطَفَانَ ، وهى غزة ذى أَمِر ، ثم غزوة بَحْرَان ، معدِن بالحجاز ، ثم غزوة أُحُدٍ ، ثم غزوة حَمْراءِ الأَسَد ، ثم غزوة بنى النَّضِير ، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخِرة ، ثم غزوة دُومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قُرَيْظة ، ثم غزوة بنى لِحْيان ، من هُذَيْل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى المصْطَلِق من خُزَاعة ، ثم غزوة الحُدَيْبِية ، لايريد قتالا ، فصدّه المشركون ، ثم غزوة خَيبر ، ثم عُمْرَةُ القضاء ، ثم غزوة الفَتْح ، ثم غزوة حُنَيْن ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تَبُوكَ . قاتل منها فى تسع غَزَوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمُصْطَلِق ، وخَيْبَر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسَرَاياه ثمانيا وثلاثين ، من بين بَعْثٍ وسَرِيّة : غزوةُ عُبَيْدة بن الحارث أسفل من ثنية المَرَة[١] ، ثم غزوة حَمْزة ابن عبد المطلب ساحل البحر ، من ناحية العِيص ؛ وبعض الناس يقدم غَزْوَة حمزة قبل غزوة عُبَيْدَة ؛ وغزوةُ سعد بن أبي وقّاص الخَرّارَ ، وغزوة عبد الله بن جَحْشٍ نَخْلَة ، وغزوة زيد بن حارثة القَرَدة ، وغزوة محمد بن مَسْلَمَة كَعْبَ بن الأشرف ، وغزوة مَرْثَد بن أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيّ الرَّجيع ، وغزوة المُنْذِر ابن عمرو بئرَ مَعُونة ، وغزوة أبي عُبَيْدَةَ بن الجَرّاحِ ذا القَصّة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخَطّاب تُرْبَةَ من أرض بنى عامر ، وغزوة على بن أبي طالب اليَمَنَ ، وغزوة غالبِ بنِ عبد الله الكَلْبِيّ ، كَلْبِ لَيْث ، الكَدِيد ، فأصاب بنى المُلَوّح .

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوح

شأن ابن البرصاء

وكان من حديثها أن يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثنى عن مُسلم بن عبد الله بن خُبَيْب الجُهَنِيّ ، عن المنذر[٢] ، عن جُندَب بن مَكِيثٍ الجُهَنِيّ ، قال :

---

(١) فى م ، ر : « ثنية ذى المروة » . وهو تحريف .
(٢) فى ا : « الجهنى عن جندب » .

بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الْكلبيّ، كَلْب بن عوف ابن لَيْث، فى سرية كنت فيها، وأمره أن يَشُنّ الغارةَ على بنى الْمُلَوَّح، وهم بالكَدِيد، فخرجنا، حتى إذا كنا بقُدَيْد لقينا الحارث بن مالك، وهو ابن البَرْصاء الليثى، فأخذناه، فقال: إنى جئت أريد الإسلام، ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقلنا له: إن تك مسلماً فلن يَضِيرك رِباطُ ليلة، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك، نشددناه رِباطا، ثم خَلَّفْنا عليه رجلا من أصحابنا أسود، وقلنا له: إن عازَّك[1] فاحتزّ رأســه.

بلاء ابن مكيث فى هذه الغزوة

قال: ثم سرنا حتى أتينا الكَدِيد عند غروب الشمس، فكنا فى ناحية الوادى، وبعثنى أصحابى رَبيئة[2] لهم، فخرجت حتى آتى تَلاًّ مشرفا على الحاضر[3]، فأسندت[4] فيه، فعلوتُ على رأسه، فنظرت إلى الحاضر، فوالله إنى لمنبطح على التلّ، إذ خرج رجل منهم من خِبائه، فقال لامرأته: إنى لأرى على التل سواداً ما رأيته فى أول يومى، فانظرى إلى أَوْعيتك هل تَفْقِدين منها شيئا، لا تكون الكلاب جرّت بعضها؛ قال: فنظرتْ، فقالت: لا، والله ما أفقد شيئاً؛ قال: فناولينى قوسى وسهمين، فناولتْه، قال: فأرسل سهما، فوالله ما أخطأ جنبى، فأنزِعُه، فأضعه، وثَبَتُّ مَكانى، قال: ثم أرسل الآخر، فوضعه فى مَنْكِبى، فأنزِعُه فأضعه، وثَبَتُّ مكانى، فقال، لامرأته: لو كان رَبيئة[5] لقوم لقد تحرك، لقد خالطه سَهْمَاى، لا أبالك، إذا أصبحتِ فابتغيهما، فخذيهما، لا يَمْضُغْهُما عَلَىّ الكلاب. قال: ثم دخل.

نجاة المسلمين بالنعم

قال: وأمهَلناهم، حتى إذا اطمأنوا وناموا، وكان فى وجه السحر، شَنَنّا[6]

(١) عازك: غالبك.
(٢) الربيئة: الطليعة.
(٣) الحاضر: الجماعة النازلون على الماء.
(٤) أسندت: ارتقيت.
(٥) يروى: «زائلة» أى لو كان ممن يزول.
(٦) شننا عليهم الغارة: فرقنا عليهم الخيل المغيرة.

عليهم الغارةَ ، قال : فقتلنا ، واستقنا النَّعَم ، وخرج صَرِيخ[1] القوم ، فجاءنا دَهْم[2] لاقِبَل لنا به ، ومضينا بالنَّعَم ، ومَرَرْنا بابن البَرْصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ؛ قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا و بينهم إلا وادى قُدَيد ، فأرسل الله الوادىَ بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من غير سحابة نراها ، ولا مطر، فجاء بشىء ليس لأحد به قوة، ولا يقدر على أن يجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا ، و إنَّا لنسوقُ نَعَمَهُمْ ، ما يستطيع منهم رجل أن يُجيز[3] إلينا ، ونحن نَحْدُوها[4] سِراعا ، حتى فُتْناهم ، فلم يقدِرُوا على طلبنا .

شعار المسلمين فى هذه الغزوة

قال : فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى رجل من أَسْلَم ، عن رجل منهم :

أن شِعار[5] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلةَ : أَمِتْ أَمِت . فقال راجِزٌ من المسلمين وهو يَحْدُوها :

أبَى أبو القاسم أَنْ تَعزَّبى[6] فى خَضِلٍ نباتُه مُغْلَوْلِبِ[7]
صُفْرٍ أعاليه كَلَوْن المُذْهَبِ

قال ابن هشام : ويروى : « كلون الذّهب » .

تم خبر الغزاة . وعدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبُعوث[8]

تعريف بعدة غزوات

قال ابن إسحاق :

وغزوة على بن أبى طالب رضى الله عنه بنى عبد الله بن سعد من أهل

---

(١) صريخ القوم : مستغيثهم .
(٢) الدهم : الجماعة الكثيرة .
(٣) فى ا : « يجوز » .
(٤) نحدوها : نسوقها .
(٥) الشعار : العلامة التى كان يعرف بها بعضهم بعضا فى الحرب .
(٦) كذا فى الأصول ، وتعزبت الإبل : غابت فى المرعى ولم ترجع . ويروى تعربى (بالراء المهملة) أى تردى (بالبناء للمجهول) يقال : عربت عليه القول : إذا رددته عليه .
(٧) الخضل . النبات الأخضر المبتل . والمغلولب الكثير الذى يغلب على الماشية حين ترعاه .
(٨) هذه العبارة ، من قوله « تم خبر » إلى قوله « والبعوث » : ساقطة من .

فَدَكَ ؛ وغزوة أبي العَوْجاء السُّلَمِيّ أرض بنى سُلَيم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا ؛ وغزوة عُكّاشة بن مِحْصَن الغَمرة ؛ وغزوة أبى سَلَمَة بن عبد الأسد قَطَنا ، ماء من مياه بنى أسد ، من ناحية نجد ، قُتِل بها مسعود بن عُرْوة ؛ وغزوة محمد بن مَسْلَمَة ، أخى بنى حارثة ، القُرَطَاء من هَوَازن ؛ وغزوة بَشِير بن سَعْدِ بنى مُرّة بفَدَك ؛ وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجمومَ من أرض بنى سُلَيْم ، وغَزوة زيد بن حارثة جُذَام ، من أرض خُشَيْن .

قال ابن هشام : عن نفسه ، والشافعي عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق : من أرض حِسْمَى .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام

سببها

قال ابن إسحاق :

وكان من حديثها كما حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُذَام ، كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجُذَامىّ ، لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن قدم دِحْيَةُ بن خَليفة الكَلْبيُّ من عند قَيْصَرَ صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بوادٍ من أوديتهم يقال له شَنَار ، أغار على دِحْية بن خَليفة الهنيدُ بن عُوص ، وابنه عُوْص بن الهُنيد الضُّلَعيّان . والضُّلَيعُ : بطن من جُذَام ، فأصابا كل شىء كان معه ، فبلغ ذلك قوما من الضُّبَيْب ، رهطِ رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بنى الضُّبيب النُّعمان بن أبى جِعال ، حتى لقُوهم ، فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قُرَّة بن أشقر الضَّفارىّ ثم الضُّلَعِيّ ، فقال : أنا ابن لُبْنَى ، ورمى

النُّعمان بن أبى جِعَالٍ بسهم ، فأصاب رُكْبته ؛ فقال حين أصابه : خذها وأنا ابن لُبْنَى، وكانت له أم تدعى لُبْنَى، وقد كان حسّان بن مِلَّة الضُّبَيْبِيّ قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك ، فعلمه أُمَّ الـكِتاب .

قال ابن هشام : ويقال ، قُرَّةُ بن أشْقَرَ الضَّفارىّ ، وحَيَّان بن مِـلَّة .

تمكن المسلمين من الكفار

قال ابن إسحاق : حدثنى من لاأتهم ، عن رجال من جُذام ، قال :

فاستنقذوا ما كان فى يد الهنيد وابنه ، فردوه على دِحْية ، فخرج دحية ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الهُنيد وابنه ، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذى هاج غزوةَ زيدٍ جُذَامَ ، و بعث معه جيشا ، وقد وَجَّهتْ غطفانُ من جُذَامَ ووائلٌ ومن كان من سَلاَمَانَ وسعد بن هُذَيْم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزلوا الحَرَّة : حَرَّةَ الرَّجْلاء ، ورفاعة بن زيد بكُراع رَبَّة ، لم يعلم ، ومعه ناس من بنى الضُّبَيْب ، وسائر بنى الضُّبَيْب بوادى مِدَان ، من ناحية الحَرَّة ، مما[1] يسيل مُشَرِّقًا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقِص من قِبَلِ الحرة ، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهُنَيْد وابنه ورجلين من بنى الأحنف .

قال ابن هشام : من بنى الأخْنف[2] .

شأن حسان وأنيف ابنى ملة

قال ابن إسحاق فى حديثه :

ورجلا من بنى الخَصيب . فلما سَمِعَتْ بذلك بنو الضُّبيب والجيش بفَيفاء مَدَانٍ ركب نفر منهم ، وكان فيمن ركب معهم حَسَّان بن مَلَّةَ ، على فرس لسُويد ابن زيد ، يقال لها العَجَاجة ، وأُنيف بن مَلَّةَ على فَرَسٍ لِمَـلَّةَ يقال لها : رِغَال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس له يقال لها شَمِر ، فانطلقوا حتى إذا دنوا

(١) فى م ، ر : « من ماء » .

(٢) فى م ، ر هنا : « الأخيف » . وفيما يأتى : « الأحنف »

مِن الجيش ، قال أبو زيدُ وحسّان لأنيف بن مَلَّة : كُفَّ عَنَّا وانصرِفْ ، فإنا نَخْشى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يَبْعُدَا منه حتى جعلت فَرَسُه تبحث بيديها وتَوَثَّب ، فقال : لأنا أضَنُّ بالرجلين منكِ بالفرَسَيْن ، فأَرْخَى لها ، حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذ فَعَلْتَ مافعلتَ فكُفَّ عنا لسانَك ، ولا تشأَمْنا اليومَ ، فتواصَــوْا أن لايتكلم منهم إلا حَسَّان بن مِلّة ، وكانت بينهم كلِمَة فى الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بُورى أو ثُورى ، فلما برزوا على الجيش ، أقبل القوم يبتدرونهم ، فقال لهم حسان : إنا قوم مُسْلمون ، وكان أول من لقيهم رجل على فَرَس أدهم ، فأقبل يسوقهم ، فقال أنيف: بُورِى ، فقال حسان مَهْلا ، فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حَسَّان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد ، فاقرءوا أُمّ الكتاب ، فقرأها حَسَّان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا فى الجَيْش أن الله قد حَرَّم علينا ثُغْرةَ[1] القوم التى جاءوا منها إلا من خَتَرَ[2]

قال ابن إسحاق :

قدومهم على الرسول وشعر أبي جعال

وإذا أخت حَسَّان بن ملّة ، وهىامرأة أبى وَبْر بنعَدِىّ بنأميَّة بنالضُّبَيْب فى الأسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأخَذَتْ بِحَقْوَيْهِ[3] فقالت أم الفِزْر الضُّلَعِية : أتَنْطَلِقُونَ ببناتِكم وتَذَرُونَ أمّهاتِكُمْ ؟ فقال أحد بنى الخَصِيب : إنها بنو الضُّبَيْب وسِحْرُ أَلْسِنَتِهِمْ سائرَ اليوم . فَسَمِعَها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد ابن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، فَفُكَّت يداها من حَقْوَيه ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكُنَّ حُكْمَه ، فرجعوا ، ونَهَى الجيشَ أن يَهْبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأمسَوا فى أَهْلِيهم ، واستعتَموا ذَوْدا[4] لسُويد

---

(١) ثغرة القوم : ناحيتهم التى يحمونها .

(٢) ختر : نقض العهد .

(٣) بحقويه : بخصريه .

(٤) الذود : مابين الثلاث إلى العشر من الإبل . واستعتموا ذودا : انتظروه إلى عتمة من الليل .

ابن زيد ، فلما شربوا عَتَمَتَهُم[1] رَكبوا إلى رفاعة بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلةَ ، أبو زيد بن عمرو ، وأبو شمّاس بن عمرو ، وسويد ابن زيد ، و بَعْجَةُ بن زيد ، و بَرْذع بن زيد ؛ وثعلبة بن زيد[2] ، ومُخَرِّبة ابن عَدِيّ ، وأُنَيفُ بن ملَّة ، وحسّان بن ملَّة ، حتى صَبَّحُوا رِفاعة بن زيد بكُراعِ رَبَّة ، بظهرالحَرّة ، على بئرهنالك من حَرَّة لَيْلى ؛ فقال له حسان بن ملَّة : إنك لجالس تحلُب المِعْزَى ونساء جُذَام أُسَارَى قد غرَّها كتابك الذى جئت به ! فدعا رفاعة بن زيد بجمل له ، فجعل يشُدّ عليه رحله وهو يقول :

هَلَ أنْتَ حَيٌّ أوْ تُنادِي حَيًّا

ثم غدا وهم معه بأمية بن ضَفارة أخى الخَصِيبِيّ المقتول ، مبكرين من ظهر الحَرة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ، فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لاتُنيخوا إبلَكم ، فَتَقَطَّعَ أيديهنّ، فنزلوا عنهنّ وهن قيام ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ألاح[3] إليهم بيده : أن تعالَوا من وراء الناس ، فلما استفتح رِفاعة بن زيد المَنْطِق، قام رجل من الناس فقال : يارسول الله ، إن هؤلاء قوم سَحَرَة ، فردَّدها مرتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يَحْذُنا[4] فى يومه هذا إلَّاخيرا . ثم دفع رِفاعة بن زيد كتابَه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان كتبه له . فقال : دونك يا رسول الله قديمًا كتابُه ، حديثًا غَدْرُه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأه ياغلام ، وأعلِنْ ، فلما قرأ كتابه استخبره ، فأخبروهم الخبر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع بالقتلى؟ (ثلاث مرات[5]). فقال رفاعة : أنت يارسول الله أعلم ، لانحرّم عليك حَلالا ، ولا نُحلِّل لك حَرَاما . فقال

(١) عتمتهم : لبنهم الذى انتظروه إلى ذلك الوقت .

(٢) فى م ، ر : « عمرو » .

(٣) ألاح : أشار .

(٤) كذا فى الأصول ، ولم يحذنا : لم يعطنا . وتروى : « لم يجدنا » : لم ينفعنا

(٥) فى : « مرار »

أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يارسول الله من كان حيّا ، ومن قُتِلَ فهو تحت قَدَمِي هذه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق أبو زيد ، اركب معهم ياعلى ، فقال له على رضى الله عنه : إن زيدا لن يُطيعنى يا رسول الله ، قال : فخذ سيفى هذا ، فأعطاه سيفه ، فقال علىٌّ : ليس لى يا رسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو ، يقال له مِكْحال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وَبْر ، يقال لها الشَّمِر ، فأنزلوه عنها ، فقال : يا على ، ما شأنى ؟ فقال: مالهُم، عَرَفوه فأخذوه ، ثم ساروا فلقُوا الجَيْش بفَيفاء الفحلتين ، فأخذوا ما فى أيديهم ، حتى كانوا ينزعون لُبَيد المرأة من تحت الرحل ، فقال أبو جِعال حين فرغوا من شأنهم :

وعاذلةٍ ولم تعـــذُل بطِبٍّ ... ولولا نحنُ حُشَّ بها السَّعيرُ(١)
تُدَافِع فى الأُسارَى بابنَتَيها ... ولا يُرْجَى لها عِتْق يَسِــير
ولو وُكِلَتْ إلى عُوصٍ وأوسٍ ... لحارَ بها عن العِتْقِ الأُمُور(٢)
ولو شَهِدَتْ رَكَائبَنَا بِمِصْرٍ ... تُحاذِرُ أن يُعَلَّ بها المَســير(٣)
وَرَدْنا ماءَ يَثْرِبَ عن حِفاظٍ ... لرَبْعٍ إنه قَرَبٌ ضَرِير(٤)
بكلِّ مُجَرَّب كالسِّـيد نَهْدٍ ... على أقتاد ناجية صَـــبُور(٥)
فِدًى لأبى سُلَيْمَى كُلُّ جَيْش ... بيَثْرِبَ إذ تناطحت النُّحُور(٦)
غداةَ تَرَى المُجَرَّب مستكِينا ... خــلافَ القومِ هامتُه تَدور

---

(١) بطب برفق . وحش : أوقد .

(٢) حار : رجع .

(٣) يعل : يكرر .

(٤) الحفظ : الغضب . والربع : أن ترد الإبل الماء لأربعة أيام . والقرب : السير فى طلب الماء . وضرير : مضر .

(٥) السيد : الذئب . والنهد : الغليظ . والأقتاد : أدوات الرحل . والناجية : السريعة . وصبور : صابرة . وتروى : « ضبور » . والضبور : الموثقة الخلق .

(٦) النحور : الصدور .

قال ابن هشام : قوله : « ولا يُرْجَى لها عِتْقٌ يَســيرُ » . وقوله : « عن العِتْقُ الأمورُ » عن غير ابن إسحاق .

تمت الغَزاة ، وعُدنا إلى تفصيل ذكر السَّرايا والبعوث .

قال ابن إسحاق :

وغزوة زيد بن حارثة أيضا الطَرَفَ من ناحية نَخْل ، من طريق العراق .

غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة ومصاب أم قرفة

بعض من أصيب بها

وغزوةُ زيد بن حارثة أيضا وادى القُرى، لقِيَ به بنىفَزَارة، فَأُصِيبَ بها ناس من أصحابه ، وارْتُثَّ[1] زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب وَرد بن عَمْرو بن مَداش ، وكان أحدَ بنى سعد بن هُذيل ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن هشام : سعد بن هُذَيم .

قال ابن إسحاق :

معاودة زيد لهم

فلما قدم زيد بن حارثة آلى أن لايمس رأسَه غِسل من جَنابة حتى يغزوَ بنى فَزارة ؛ فلما استبلّ من جِراحته بعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى بنىفزارة فى جيش ، فقتلهم بوادى القُرى ، وأصاب فيهم ، وقَتَل قيسُ بن المسحَّر اليَعْمَرى مَسْعدةَ بن حَكَمَة بن مالك بن حُذَيفة بن بدر ، وأُسِرَتْ أمقِرْفَة فاطمةُ بنت رَبيعة ابن بدر، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر، و بنت لها ، وعبد الله[2] ابن مسعدة ، فأمر زيدُبن حارثة قيسَ بن المسحَّر أن يَقْتُل أمقِرْفة ، فقتلها قتلا عنيفا ؛ ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة ، و بابن مسعدة .

شأن أم قرفة

وكانت بنت أم قرفة لسَلَمَة بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ،

---

(١) ارتث : (بالبناء للمجهول) حمل من المعركة رثيثا ، أى جريحا وبه رمق .

(٢) فى م : « عبيد الله » :

وكانت فى بيت شَرَف من قومها ؛ كانت العرب تقول : (لو كنتَ أعز من أم قِرفة مازدت) . فسألها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَلَمَةُ ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حَزْنَ بن أبى وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

شعر ابن المسحر فى قتل مسعدة

فقال قيس بن المسحَّر فى قتل مسعدة :

سَعَيْتُ بوَرْدٍ مثلَ سَعْيِ ابنِ أُمِّهِ ... وَإِنِّى بوَرْدٍ فى الحياةِ لَثَائِرُ[1]
كَرَرْتُ عَلَيْهِ الْمُهْرَ لَمَّا رأَيْتُهُ ... عَلَى بَطَلٍ مِنْ آلِ بَدْرٍ مُغَاوِرِ[2]
فركَّبْتُ فيهِ قَعْضَبِيًّا كَأَنَّهُ[3] ... شِهابٌ بِمَعْرَاةٍ[4] يُذَكَّى لِنَاظِرِ[5]

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام

وغزوة عبد الله بن رَوَاحة خيبَر مرتين : إحداهما التى أصاب فيها اليُسير ابن رِزام .

قال ابن هشام : ويقال ابن رازم[6]

مقتل اليسير

وكان من حديث اليُسير بن رِزام أنه كان بخيبر يجمع غَطَفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن رَواحة فى نفر من أصحابه ، منهم عبد الله بن أُنَيْس ، حليف بنى سَلِمة ، فلما قدِموا عليه كلّموه ، وقرّبُوا له ، وقالوا له : إنك إن قَدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به حتى خرج معهم فى نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أُنَيْسٍ على بعيره ، حتى إذا كان بالقَرْقَرَة من خيبر ، على ستة أميال ،

(١) ثائر : آخذ بثأره . وفى هذا الشعر إقواء .
(٢) المغاور : الكثير الإغارة .
(٣) قعضبيا : سنانا منسوبا إلى قعضب ، رجل كان يصنع الأسنة .
(٤) كذا فى ر ، م . والمعراة : الموضع الذى لا يستره شىء . وفى ا : « بعزاه » .
(٥) ويذكى : يشعل .
(٦) وردت هذه العبارة فى ا بعد « ابن رزام » التى فى السطر التالى .

نذم اليُسير بن رِزام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطَن له عبدالله ابن أُنَيْس ، وهو يريد السيف ، فاقتحم به ، ثم ضربه بالسيف ، ، فقطع رجله ، وضربه اليُسير بمخْرش[1] فى يده من شوحَط[2] ، فَأَمَّه[3] ، ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحدا أفلت على رجليه ؛ فلما قدم عبد الله بن أُنَيْس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل[4] على شَجّتِه ، فلم تَقِحْ ولم تُؤذِه .

غزوة ابن عتيك خيبر

وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر ، فأصاب بها أبا رافع بن أبى الحُقَيق .

غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى

مقتل ابن نبيح

وغزوة عبد الله بن أُنَيْس خالد بن سفيان بن نُبَيح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلةَ أو بعُرَنة ، يجمع لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم الناس ليغزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبَيْر ، قال : قال عبد الله ابن أُنَيْس :

دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه قد بلغنى أنّ ابن سفيان ابن نُبيح الهُذَلِيّ يجمع لى الناس ليغزونى ، وهو بنخلة أو بعُرَنة ، فأْته فاقتله . قلت : يارسول الله ، انْعَتْهُ لِي حتى أعرفه . قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية مابينك و بينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشَعْرِيرَة[5] .

---

(١) كذا فى ا . وفى م ، ر : « بمخراش » . والمخرش والمخراش : المحجن ، وهو عصا معقوفة يجذب بها البعير ونحوه .

(٢) الشوحط : شجر من النبع .

(٣) أمه : جرحه فى رأسه .

(٤) تفل : بصق بصاقا خفيفا .

(٥) قشعريرة : رعدة .

قال : فخرجت مُتَوَشِّحاً سَيْفِي ، حتى دُفِعْت إليه وهو فى ظُعُنٍ[1] يرتادلهن منزلا[2]، وحيث كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ماقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القُشَعْرِيرَة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكونَ بينى و بينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة ، فصلّيت وأنا أمشى نحوه ،أُومئ برأسِي ، فلما انتهيت إليه قال : مَنِ الرَّجُـــل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك و بجمعك لهذا الرجل . فجاءك لذلك . قال : أَجَلْ ، إنى لفى ذلك[3] . قال فمَشَيْت معه شيئا ، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظعائنه مُنْكَبَّات عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنى ، قال : أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يارسول الله . قال : صدقت

إعطاء الرسول عصا لابن أنيس

ثم قام بى ، فأدخلنى بيته ، فأعطانى عَصًا ، فقال : أَمْسِكْ هذه العصا عندك يا عبدَ الله بن أُنَيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرنى أن أمسكها عندى . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَتَسْأَلَهُ لِمَ ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله ، لم أعطيتنى هذه العَصَا ؟ قال : آيةٌ بينى و بينك يوم القيامة . إن أقل الناس المتخصِّرُون[4] يومئذ ، قال : فقَرَنَها عبد الله بن أُنَيْس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمَّتْ فى كفنه ، ثم دُفِنا جميعا .

شعر ابن أنيس فى قتله ابن نبيح

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أُنيس فى ذلك :

تَرَكْتُ ابنَ ثورٍ كالحُوَارِ وَحَوْلَهُ ... نوائحُ تَفْرِى كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ[5]
تَنَاوَلْتُه والظُّعْنُ خَلْفِى وَخَلْفَهُ ... بأبيضَ مِنْ ماءِ الحديدِ مُهَنَّدِ[6]

---

(١) الظعن (كـكتب) : النساء فى الهودج . جمع ظعينة .
(٢) يرتاد لهن منزلا : يطلب لهن موضعا .
(٣) فى ا : « أنا فى ذلك » .
(٤) المتخصرون : المتكئون على المخاصر ، وهى العصى ، واحدتها مخصرة .
(٥) الحوار ولد الناقة إذا كان صغيراً . وتفرى : تقطع .
(٦) الأبيض السيف . والمهند : المنسوب إلى الهند .

عَجُومٍ لِهـــامِ الدَّارِعِينَ كَأَنَّهُ شِهابُ غضًى من مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ(١)
أَقُولُ له والسيفُ يَعْجُم رَأْسَـــهُ أَنَا ابنُ أُنَيْسٍ فارسًا غيرَ قُعْدُدِ(٢)
أنا ابن الذى لم يُنْزِلِ الدهرَ قِدْرَه رحيبُ فناءِ الدارِ غـــيرُ مُزَنَّدِ(٣)
وقلتُ له خُــذْها بضربة ماجدٍ حَنيف على دين النبى محمـــدِ(٤)
وكنتُ إذا همّ النـــبىّ بكافر سبقتُ إليــــه باللسانِ و باليد

تمت الغزاة وعُدنا إلى خبر البعوث(٥) .

قال ابن إسحاق :

غزوات أخر

وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة مُؤْتَةَ من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعا ، وغزوة كعب بن عُمير الغِفارى ذاتَ أطلاح ، من أرض الشام ، أُصيب بها هو وأصحابه جميعا. وغزوة عُيينة بن حِصْن بن حذيفةَ ابن بدرٍ بنى العَنْبر من بنى تميم .

غزوة عيينة بن حصن بنى العنبر من بنى تميم

وعد الرسول عائشة باعطائها سبياً منهم لتعتقه

وكان من حديثهم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ، فأغارعليهم ، فأصاب منهم أُناسا ، وسَبَى منهم أُناسا .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إن عَلَىَّ رَقَبَةً من ولد إسماعيل . قال : هذا سَبْىُ بنى العَنبر يَقدَم الآن ، فنعطيك منهم إنسانا فتعتُقينه .

---

(١) عجوم : عضوض . يقال : عجمه ، إذا عضه . والهام : الرءوس . والشهاب : القطعة من النار . والغضى : شجر يشتد التهاب النار فيه .
(٢) القعدد : اللئيم .
(٣) رحيب : متسع . والمزند : الضيق البخيل .
(٤) الماجد : الشريف : والحنيف (هنا) : الذى مال عن دين الشرك إلى دين الإسلام.
(٥) هذه العبارة ساقطة فى ا .

بعض من سبى ومن قتل وشعر سلمى فى ذلك

قال ابن إسحاق :

فلما قُدِمَ بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ركب فيهم وفد من بنى تميم ، حتى قدموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، منهم رَبيعة بن رُفيع ، وَسَبْرة بن عمرو ، والقَعقاع بن معبد ، ووَرْدَان بن مُحْرِز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وفِراس بن حابس ؛ فكلّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فأعتق بعضا ، وأفْدى بعضا ، وكان ممن قُتل يومئذ من بنى العَنبر : عبدُ الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشدَّاد ابن فِراس ، وحنظلةُ بن دارم ، وكان ممن سُبِيَ من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكاس بنت أرِىّ ، ونَجْوة بنت نَهد ، وجُمَيْعة بنت قيس ، وعَمْرة بنت مَطَر . فقالت فى ذلك اليوم سَلْمَى بنت عَتَّاب :

لَعَمْرى لقد لاقت عدىُّ بنُ جندَب ... من الشر مَهواةً شديدا كَئودها[1]

تكنّفها الأعداء من كل جانبٍ ... وغُيِّبَ عنها عِزُّها وجُدُودها[2]

شعر الفرزدق فى ذلك

قال ابن هشام : وقال الفرزدق فى ذلك :

وعندَ رسولِ اللّهِ قام ابنُ حابسٍ ... بخُطَّةِ سَوَّارٍ إلَى المجْدِ حازِمِ[3]

له أطْلَقَ الْأَسْرَى الَّتِى فى حِبَالِهِ ... مُغَلَّلَةً أعناقُها فى الشَّكَائِمِ

كَفَى أمهاتِ الخالفينَ[4] عليهمُ ... غِلاءُ المُفادِى أو سِهَامَ الْمَقَاسِمِ

وهذه الأبياتُ فى قصيدة له . وعدىُّ بن جُنْدَب من بنى العَنْبر ، والعنبر ابن عمرو بن تميم .

---

(١) المهواة : موضع منخفض بين جبلين . والكئود : عقبة صعبة .

(٢) الجدود : جمع جدّ (بالفتح) وهو السعد والبخت .

(٣) الخطة : الخصلة . والسوار : الذي يرتقى ويثب .

(٤) قال أبو ذر : « الخالفين : يريد الذين تخلفوا فى أهلهم » . وفى ا ، م ، ر : « الخائفين » .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة

مقتل مرداس

قال ابن إسحاق :

وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى ـ كَلْب ليث ـ أرضَ بنى مرة ، فأصاب بها مرداسَ بن نهِيك ، حليفاً لهم من الحرقة ، من جهينة، قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن هشام : الحُرَقة ، فيما حدثنى أبو عُبيدة[1]

قال ابن إسحاق :

وكان من حديثه عن أسامة بن زيد قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شَهرنا عليه السلاح ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله . قال : فلم نَنْزِع عنه حتى قتلناه ؛ فلما قَدِمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرَه ؛ فقال : يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما قالها تعوّذا بها من القتل . قال : فمن لك بها يا أسامة ؟ قال : فوالذى بعثه بالحق مازال يرددها علىّ حتى لوددت أن ما مضى من إسلامى لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ؛ قال : قلت : أنظرنى يا رسول الله، إنى أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا ، قال : تقول بعدى يا أسامة ؛ قال : قلت بعدك .

---

(1) كذا فى ا . وسياق هذه العبارة فى م ، ر مضطرب . فقد جاء فيهما : « من الحرقة قال ابن هشام : الحرقة من جهينة ، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار ، فيما حدثنى أبو عبيدة ».

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل

إرسال عمرو ثم إمداده

وغزوة عمرو بن العاص ذاتَ السلاسل من أرض بنى عُذْرة . وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه يستنفر العربَ إلى الشام . وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأةً من بلىّ ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يَسْتألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام ، يقال له السَّلْسل ، وبذلك سمّيت تلك الغزوة ، غزوة ذات السلاسل ، فلما كان عليه خاف ، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمدّه ، فبعث إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا عُبيدة بن الجَرّاح فى المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ؛ وقال لأبي عبيدة حين وجهه : لاتختلفا ؛ فخرج أبو عُبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو : إنما جئتَ مددًا لى ؛ قال أبوعُبيدة : لا ، ولكنى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه . وكان أبوعبيدة رجلا لينا سهلا، هينا عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لى ؛ فقال له أبو عبيدة : ياعمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى: لاتختلفا ، و إنك إن عصيتَنى أطعتُك ؛ قال : فإنى الأمير عليك ، وأنت مددٌ لى ، قال : فدونك . فصلى عمرو بالناس .

وصية أبي بكر رافع ابن أبي رافع

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رافع بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدّث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرأً نصرانيا ، وسميت سَرْجِس ، فكنت أدَلّ الناس وأهداهم بهذا الرّمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أُغير على إبل الناس ، فإذا أدخلتها الرملَ غلبتُ عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمرّ بذلك الماء الذى خَبأت فى بيضِ النعام فأستخرجه ، فأشرب منه ؛ فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ؛ قال : فقلت : والله لأختارن لنفسى صاحبا ؛ قال : فصحبت أبا بكر ،

قال : فكنت معه فى رَحْله ؛ قال : وكانت عليه عباءة له فَدَكية[1] ، فكان إذا نزلنا بَسطها ، وإذا ركبنا لبسها ، ثم شَكّها عليه[2] بخلال له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدّوا كفارا : نحن نبايع ذا العَباءة ! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال : قلت : يا أبا بكر ، إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلّمنى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال : آمرك أن توحّد الله ولا تشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمّر على رجلين من المسلمين أبدا . قال : قلت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فإنى أرجو أن لا أشرك بالله أحدا أبدا ؛ وأما الصلاة فلن أتركها أبدا إن شاء الله ؛ وأما الزكاة فإن يك لى مال أؤدها إن شاء الله ؛ وأما رمضان فلن أتركه أبدا إن شاء الله ؛ وأما الحج فإن أستطع أحجّ إن شاء الله تعالى ؛ وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله ؛ وأما الإمارة فإنى رأيت الناس يا أبا بكر لا يَشْرُفُون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلمَ تنهانى عنها ؟ قال : إنك إنما استجْهدتنى لأجْهَدَ لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عُوّاذَ الله وجيرانه ، وفى ذمته ، فإياك لا تُخفِر الله[3] فى جيرانه ، فيتبعَك الله فى خُفرته ، فإن أحدكم يُخْفَر فى جاره ؛ فيظل ناتئا عضله[4] ، غَضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير ، فالله أشد غضبا لجاره . قال : ففارقته على ذلك .

---

(١) العباءة : الكساء الغليظ ، ويقال فيها عباية بالياء . والفدكية : المنسوبة إلى فدك ، وهى بلدة بخيبر .

(٢) شكها عليه : أنفذها بالخلال الذى كان يخللها به .

(٣) لا تخفر الله : لا تنقض عهده .

(٤) الناتئ : المرتفع المنتفخ . والعضل : جمع عضلة ، وهى القطعة من اللحم الشديدة .

قال: فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأُمِّرَ أبو بكر على الناس، قال: قدمت عليه، فقلت له: ياأبا بكر، ألم تك نهيتَنى عن أن أتأمّر على رجلين من المسلمين؟ قال: بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك؛ قال: فقلت له: فما حملك على أن تَلِى أمر الناس؟ قال: لاأجد من ذلك بُدًّا، خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفُرقة.

تقسيم عوف الأشجعى الجزور بين قوم

قال ابن إسحاق: أخبرنى يزيد بن أبى حبيب أنه حُدِّث عن عوف ابن مالك الأشجعى، قال:

كنت فى الغَزاة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاسل، قال: فصَحِبت أبا بكر وعمر، فمررتُ بقوم على جَزُور لهم قد نحروها، وهم لايقدرون على أن يُعَضُّوها[1]، قال: وكنت امْرَأً لَبِقا[2] جازرا، قال: فقلت: أتعطوننى منها عَشيرا[3] على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، قال: فأخذت الشَّفرتين، فجزّأتها مكانى، وأخذت منها جزءا، فحملته إلى أصحابى، فاطّبخناه فأكلناه. فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما: أنَّى لك هذا اللحم ياعوف؟ قال: فأخبرتهما خبره؛ فقالا: والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيّآن ما فى بطونهما من ذلك؛ قال: فلما قفل الناس من ذلك السفر، كنت أول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فجئته وهو يصلّى فى بيته؛ قال: فقلت: السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته؛ قال: أعوفُ بن مالك؟ قال: قلت: نعم، بأبى أنت وأمى؛ قال: أصاحب الجَزور؟ ولم يَزدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئا[4].

---

(١) يعضوها: يقسموها.

(٢) اللبق: الحاذق الرفيق فى العمل.

(٣) العشير: النصيب، لأن الجزور كانت تقسم على عشرة أجزاء، فكل جزء منها عشير. (عن أبى ذر).

(٤) زادت ا: «ولم يزدنى على السلام».

غزوة ابن أبى حدرد بطن إضم، وقتل عامر ابن الأضبط الأشجعى

وغزوة ابن أبى حدرد وأصحابه بطن إضم ، وكانت قبل الفتح

مقتل ابن الأضبط وما نزل فيه

قال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسيط، عن القَعْقَاع بن عبد الله ابن أبى حَدْرد ، عن أبيه عبد الله بن أبى حدرد ، قال :

بَعَثنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى إِضَم فى نفر من المسلمين، فيهم أبو قَتادة الحارث بن رِبْعِىّ ، ومحلِّم بن جَثَّامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم . مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعى، على قَعود[1] له، ومعه مُتَيِّع[2] له، ووطْب[3] من لبن . قال : فلما مرّ بنا سلّم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلّم بن جَثّامة، فقتله لشىء كان بينه و بينه، وأخذ بعيرَه، وأخذ مُتَيِّعَه. قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر، نزل فينا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فى سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا ولاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا) إلى آخر الآية .

قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : (وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا) لهذا الحديث .

ابن حابس وابن حصن يختصمان فى دم ابن الأضبط إلى الرسول

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد بن ضُمَيْرة[4] بن سعد السُّلَمىّ يحدّث عن عروة بن الزبير عن أبيه عن جده ، وكانا شهدا حُنينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

---

(١) القعود : البعير تقتعده الراعى فى كل حاجة .

(٢) المتيع : تصغير متاع .

(٣) الوطب : وعاء اللبن .

(٤) قال أبو ذر : « كذا وقع هنا فى الأصل بالميم ، ويروى أيضا : « ضبيرة » بالباء . والصواب : « ضميرة » بالميم . وكذلك ذكره البخارى » .

صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر، ثم عمد إلى ظل شجرة، فجلس تحتها، وهو بحُنين، فقام إليه الأقرع بن حابس، وعُيينة بن حِصْن بن حُذيفة ابن بدر، يختصمان فى عامر بن الأضبط الأشجعى: عُيينة يطلب بدم عامر، وهو يومئذ رئيس غَطَفان، والأقرع بن حابس يدفع عن محلِّم بن جَثّامة، لمكانه من خِنْدف، فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نسمع، فسمعنا عُيينة بن حِصْن وهو يقول: والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحُرْقة[1] مثل ما أذاق نسائى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا، وخمسين إذا رجعنا، وهو يأبى عليه، إذ قام رجلٌ من بنى ليث، يقال له: مُكَيْتِر، قصير مَجْموع — قال ابن هشام: مُكيتل — فقال: والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القتيل شبها فى غُرّة الإسلام[2] إلا كغَنَم وردت فرُميت أولاها، فنفرت أُخراها، اسْنُن[3] اليوم، وغَيِّر[4] غدا. قال: فرفع رسولُ الله صَلى الله عليه وسلم يَده. فقال: بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا. قال: فقبلوا الدية. قال: ثم قالوا: أين صاحبكم هذا، يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: فقام رجل آدم ضَرْب[5] طويل، عليه حُلة له، قد كان تهيأ للقتل فيها، حتى جلس بين يدى رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فقال له: ما اسمك؟ قال: أنا محلِّم ابن جَثّامة، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، ثم قال: اللهم لا تغفر لمحلِّم بن جثامة، ثلاثا. قال: فقام وهو يتلقى دَمعه بفضل ردائه. قال: فأما نحن فنقول فيما بيننا: إنا لنرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له،

---

(١) فى ا: «من الحر».
(٢) غرة الإسلام: أوله.
(٣) اسنن اليوم: احكم لنا اليوم بالدم فى أمرنا هذا، واحكم غدا بالدية لمن شئت.
(٤) وغير: من الغيرة، وهى الدية (هنا) وذلك أن قتله عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خطأ لا عمدا. ويروى: «غبر» بالباء الموحدة، أى أبق حكومة الدية إلى وقت آخر. (عن أبى ذر).
(٥) ضرب: خفيف اللحم.

وأما ماظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا .

موت محلم وما حدث له

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرىّ ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : أَمَّنْتَه بالله ثم قتلتَه ! ثم قال له المقالة التى قال ؛ قال . فوالله مامكث محلم بن جَثّامة إلا سبعا حتى مات ، فلفظته[1] ، والذى نفس الحسن بيده ، الأرضُ ، ثم عادوا له ، فلفظته الأرض، ثم عادوا فلفظته ، فلما غُلب قومُه عمدوا إلى صُدَّين[2] ، فسطَحوه بينهما، ثم رَضَمُوا[3] عليه الحجارة حتى وارَوْه . قال : فبلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلّم شأنُه ، فقال : والله إن الأرض لتطَّابق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يَعِظَكم فى حُرْمِ مابينكم بما أراكم منه .

دية ابن الأضبط

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النضْر أنه حُدِّث :

أن عُيينة بن حِصْن وقيسا حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم ، يامعشر قيس ، مَنَعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قَتيلا يَسْتصلح به الناس ، أفأمنتم أن يلعَنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيلعَنكم الله بلعنته ، أو أن يغضَب عليكم فيغضَبَ الله عليكم بغَضبه ؟ والله الذى نفس الأقرع بيده لتُسْلِمُنَّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليَصْنَعَنَّ فيه ما أراد ، أو لآتينَّ بخمسين رجلا من بنى تميم يشهدون بالله كلُّهم: لَقُتِل صاحبكم كافرا ، ماصلّى قط . فلأُطُلَّنَّ[4] دمه فلما سمعوا ذلك قبلوا الدية .

قال ابن هشام : محلّم فى هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق ، وهو محلم ابن جَثّامة بن قيس الليثى .

وقال ابن إسحاق : ملجَّم ، فيما حدثناه زياد عنه .

---

(1) لفظته الأرض : ألقته على وجهها .
(2) الصد (بضم الصاد وفتحها وتشديد الدال) : الجبل .
(3) رضموا عليه الحجارة : جعلوا بعضها فوق بعض .
(4) فلأطلن دمه : فلا يؤخذ بثأره .

غزوة ابن أبى حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمى

سببها

قال ابن إسحاق :

وغزوة ابن أبى حدرد الأسلمىّ الغابَة .

وكان من حديثها فيما بلغنى ، عمن لا أتهم ، عن ابن حدرد ، قال : تزوجتُ امرأةً من قومى ، وأصدقتها مئتى درهم ، قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نِكاحى ؛ فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مئتى درهم يارسول الله ، قال : سبحان الله ! لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد مازدتم ، والله ماعندى ما أُعينك به . قال : فلبثتُ أياما ، وأقبل رجل من بنى جُشَم بن معاوية ، يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة ، فى بطن[1] عظيم من بنى جُشَم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم فى جُشَمَ وشرف . قال : فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معى من المسلمين ، فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارفا عجفاء[2] ، فحُمل عليها أحدُنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دَعَمَها[3] الرجالُ من خلفها بأيديهم ، حتى استقلّت[4] وما كادت ، ثم قال : تبلّغوا عليها واعْتَقِبُوها[5] .

انتصار المسلمين ونصيب ابن أبى حدرد من فىء استعان به على الزواج

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النّبْل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر عُشَيْشِيةً[6] مع غروب الشمس . قال : كَمَنْتُ فى ناحية ، وأمرت صاحبىّ ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ؛ وقلت لهما : إذا سمعتمانى

(١) البطن : أصغر من القبيلة .

(٢) الشارف : الناقة المسنة . والعجفاء المهزولة .

(٣) دعمها الرجال : قووها بأيديهم .

(٤) استقلت : نهضت .

(٥) اعتقبوها : اركبوها معاقبة ، أى واحداً بعد الآخر .

(٦) عشيشية : تصغير عشية على غير قياس .

قد كبَّرت وشددتُ فى ناحية العسكر فكبّرا وشُدَّا معى . قال : فوالله إنّا لكذلك ننتظر غِرّة[1] القوم ، أو أن نُصِيب منهم شيئا . قال : وقد غشينا الليل حتى ذهبت فَحْمة[2] العِشاء ، وقد كان لهم راعٍ قد سرّح فى ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوّفوا عليه . قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعةُ بن قيس ، فأخذ سَيفه ، فجعله فى عنقه ، ثم قال : والله لَأَتّبعنّ أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شر ؛ فقال له نفر ممن معه : والله لا تذهبْ ، نحن نَكْفيك ؛ قال : والله لايذهب إلا أنا ؛ قالوا : فنحن معك ؛ قال : والله لايتبعنى أحد منكم . قال : وخرج حتى يمرّ بى . قال : فلما أمكننى نفحته[3] بسهمى ، فوضعته فى فؤاده . قال : فوالله ما تكلّم ، ووثبت إليه ، فاحتززت رأسه . قال : وشددت فى ناحية العسكر ، وكبّرت ، وشدّ صاحباى وكبّرا . قال : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه ، عندكِ، عندكِ[4] ، بكل ماقدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وما خفّ معهم من أموالهم . قال : واستقْنا إبلاً عظيمة ، وغنماً كثيرة ، فجئنا بها إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : وجئت برأسه أحمله معى . قال : فأعاننى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا فى صَداق ، فجمعتُ إلىّ أهلى .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

شىء من وعظ الرسول لقومه

قال ابن إسحاق :

وحدثنى من لا أتهم عن عَطاء بن أبى رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل

---

(١) الغرة : الغفلة .

(٢) فحمة العشاء : أول ظلام الليل .

(٣) نفحته بسهمى : رميته به .

(٤) عندك عندك : كلمتان بمعنى الإغراء .

البصرة يسأل عبدَ الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العِمامة من خلف الرجل إذا اعتمّ ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومُعاذ بن جبل ، وحُذيفة ابن اليمان ، وأبو سعيد الخُدْرى ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتًى من الأنصار ، فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس ، فقال : يارسول الله ، صلى الله عليك ، أى المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقا ؛ قال : فأى المؤمنين أكْيَس ؟ قال : أكثرهم ذكرا للموت ، وأحسنهم استعدادا له ، قبل أن ينزل به أولئك الأكياس ؛ ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يامعشر المهاجرين ، خمسُ خصال إذا نزلن بكم ، وأعوذ بالله أن تُدركوهن : إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قطُّ حتى يُعْلِنوا بها[1] إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع ، التى لم تكن فى أسلافهم الذين مَضَوا ؛ ولم يَنقُصُوا المكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسنينَ[2] وشدة المُؤْنة وجَوْر السلطان ؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا مُنعوا القَطر من السماء ، فلولا البهائم ما مُطِروا ؛ وما نقضوا عهدَ الله وعهدَ رسولِه إلا سُلِّط عليهم عدوّ من غيرهم ، فأخذ بعضَ ما كان فى أيديهم ؛ وما لم يَحْكُم أئمتهم بكتاب الله وتجبّروا[3] فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسَهم بينهم » .

تأمير ابن عوف واعتمامه

ثم أمَرَ عبدَ الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتمّ بعمامة من كرابيس[4] سوداء ، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ثم نقضها ، ثم عمّمه بها ، وأرسل من خلفه أربعَ أصابع أو نحوا من ذلك ، ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتمّ ، فإنه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء

---

(١) يعلنوا بها : يجاهروا بها .
(٢) بالسنين : الجدب .
(٣) كذا فى م ، ر . وتجبروا : تعاظموا عن أن يحكموا بما أنزل الله . وفى ا : «وتخيروا» .
(٤) الكرابيس : جمع كرباس ، وهو القطن .

فدفعه إليه ، فحمِد الله تعالى، وصلّى على نفسه ، ثم قال: خذه يابن عوف ، اغزُوا جميعا فى سبيل الله ، فقاتِلوا من كفر بالله ، لا تَغُلُّوا[1] ، ولاتغدِروا ، ولا تُمثّلوا، ولا تَقْتلوا وَليدا ، فهذا عهدُ الله وسيرة نبيّه فيكم . فأخذ عبدالرحمن بن عوف اللواء .

قال ابن هشام : فخرج إلى دُومة الجندل .

غزوة أبى عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر

نفاد الطعام وخبر دابة البحر

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت ، عن أبيه عن جدّه عُبادة بن الصامت ، قال :

بعث رسولُ الله صَلى الله عليه وسلم سَرِيَّة إلى سِيف البحر[2] ، عليهم أبو عُبيدة بن الجرّاح ، وزوّدهم جرابًا من تمر، فجعل يقُوتهم إياه ، حتى صار إلى أن يعدّه عليهم عددا . قال : ثم نَفِد التمر ، حتى كان يعطى كلّ رجل منهم كل يوم تمرة . قال : فقسَمها يوما بيننا . قال : فنقصت تمرة عن رجل ، فوجدنا فقدَها ذلك اليوم. قال : فلما جَهَدنا الجُوع أخرج الله لنا دابة من البحر، فأَصَبْنا من لحمها ووَدَكها[3] ، وأقمنا عليها عشرين ليلة ، حتى سِمنّا وابتللنا[4] ، وأخذ أميرنا ضِلَعا من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا . قال : فجلس عليه ، قال : فخرج من تحتها وما مست رأسَه . قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صَنعنا فى ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رزق رَزَقَكُمُوهُ الله .

---

(١) لاتغلوا : لاتخونوا فى المغانم .

(٢) سيف البحر : جانبه وساحله .

(٣) الودك : الشحم .

(٤) ابتللنا : أفقنا من ألم الجوع الذى كان بنا ، من قولك : بل فلان من مرضه ، وأبل ، واستبل ، إذا أخذ فى الراحة .

بعث عمرو بن أمية الضمرى لقتال أبى سفيان بن حرب وما صنع فى طريقه

قدومه مكة وتعرف القوم عليه :

قال ابن هشام :

ومما لم يذكره ابن إسحاق من بُعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَرَاياه[1] بعثُ عمرو بن أمية الضَّمْرى ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدّثنى من أثق به من أهل العلم ، بعد مقتل خُبَيْب بن عدىّ وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جبّار بن صخر الأنصارىّ ، فخرجا حتى قدما مكة ، وحَبسا جمليهما بِشِعْب[2] من شِعاب يَأْجَج[3] ثم دخلا مكة ليلا ؛ فقال جَبَّار لعمرو : لو أنا طُفنا بالبيت وصلّينا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تعشَّوا جلسوا بأفنيتهم ؛ فقال: كلا ، إن شاء الله ؛ فقال عمرو : فطُفنا بالبيت ، وصلّينا ، ثم خرجنا نُريد أبا سفيان ، فوالله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلىّ رجل من أهل مكة فعرفنى ، فقال : عمرو بن أمية : والله إنْ قَدِمها إلا لشرّ ؛ فقلت لصاحبي : النَّجاء ، فخرجنا نشتدّ ، حتى أصعدنا فى جبل ، وخرجوا فى طَلبنا ، حتى إذا عَلَوْنا الجبل يَئِسوا منا ، فرجعنا ، فدَخلنا كهْفا فى الجبل ، فبتنا فيه وقد أخذنا حجارة فَرَضمناها[4] دوننا ، فلما أصبحنا غَدا رجل من قريش يقود فرسا له ، ويُخلِى عليها[5] ، فغَشِيَنا ونحن فى الغار ، فقلت : إن رآنا صاح بنا ، فأُخِذْنا فقُتلنا.

---

(1) ذكر السهيلى هنا حديثاً يخطىء فيه ابن هشام فيما ادعاه على ابن اسحاق من إغفاله بعض البعوث ، قال : « هو غلط منه ، قد ذكره ابن إسحاق ، عن جعفر بن عمرو بن أمية ابن عمرو بن أمية فيما حدث أسد عن يحيى بن زكرياء ، عن ابن اسحاق » (انظر الروض الأنف ج ٢ ص ٢٦٣) .

(2) الشعب (بتشديد الشين المكسورة) : الطريق الخفى بين جبلين .

(3) يأجج : اسم موضع بمكة ، ذكره القاموس فى أجج ويجج ، وضبطه كيسمع وينصر ويضرب .

(4) رضمناها دوننا : جعلنا بعض الحجارة فوق بعض لتكون حاجزا بيننا وبين من يطلبنا .

(5) يخلى عليها : يجمع لها الخلى ، وهو الربيع ، ويسمى خلى ، لأنه يختلى ، أى يقطع .

قتله أبا سفيان وهربه

قال : ومعى خنجر قد أعددته لأبى سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على ثديه ضربة ، وصاحَ صيحةً أسمع أهل مكة ، وأرجِعُ فأدخلُ مكانى ، وجاءه الناس يشتدّون وهو بآخر رمَق ، فقالوا : من ضربك ؟ فقال : عمرو بن أمية ، وغلبه الموت ، فمات مكانه ، ولم يدلُل على مكاننا ، فاحتملوه . فقلت لصاحبى ، لما أمسينا : النَّجاء ؛ فخرجنا ليلا من مكة نُريد المدينة ، فمَررنا بالحَرس وهم يحرسون جيفة خُبَيب بن عدىّ ؛ فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بِمِشْية عمرو ابن أمية ، لولا أنّه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ؛ قال : فلما حاذى الخَشبة شدّ عليها ، فأخذها فاحتملها ، وخرجا شدًّا ، وخرجوا وراءه ،حتى أتى جُرْفا بمَهْبِط مَسِيل يأجج ، فرمى بالخشبة فى الجُرْف ، فغَيّبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبى : النجاءَ النجاءَ ، حتى تأتىَ بعيرَكَ فتقعدَ عليه ، فإنى سأشْغَل[1] عنك القومَ ، وكان الأنصارىّ لارُجْلة له[2] .

قتله بكريا فى غار

قال : ومضيتُ حتي أخرج على ضَجْنان[3] ، ثم أوَيْت إلى جَبل ، فأدخل كهفا ، فبينا أنا فيه إذ دخل علىّ شيخ من بنى الدِّيل أعور ، فى غُنَيمة له ؛ فقال مَنِ الرجل ؟ فقلت : من بنى بَكر ، فمن أنت ؟ قال : من بنى بكر، فقلت : مَرحبا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

ولستُ بمُسلِمٍ ما دمتُ حيّا ولا دانٍ لدين المُسْلِمينا

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأمهلته ، حتى إذا نام أخذتُ قوسى ، فجعلت سِيَتها[4] فى عينِه الصَّحيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النَّجاء ، حتى جئت العَرْج[5] ، ثم سلكت رَكُوبَةَ[6] ، حتى إذا هبطت النَّقِيع[7] إذا

(١) فى ا : « شاغل » .

(٢) لارجلة له : ليس له قوة بالمشى على رجليه ؛ يقال . فلان ذو رجله ، إذا كان يقوى على المشى .

(٣) ضجنان (كسكران) : اسم جبل قرب مكة .

(٤) سية القوس : طرفها .

(٥) العرج : اسم منزل بطريق مكة ، أو واد بالحجاز . (انظر القاموس) .

(٦) ركوبة ، قال فى القاموس : ثنية بين الحرمين .

(٧) النقيع : موضع ببلاد مزينة عن ليلتين من المدينة .

رجلان من قريش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عَيْنا إلى المدينة ينظران ويتحسّسان ، فقلت اسْتَأْسِرا ، فأبيا ، فأرمِى أحدهما بسهم فأقتلُه ، واستأْسَر الآخرُ ، فأُوثقه رِباطا ، وقَدِمت به المدينَة .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين

بعثه هو وضميرة وقصة السبى

قال ابن هشام[1] :

وسرية زيد بن حارثة إلى مدين . ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن[2] حسن ، عن أمه فاطمة بنْة الحسين بن على عليهم رضوان الله ، أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضُمَيرة مولى على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سَبْيا من أهل مِيناء ، وهى السواحل، وفيها جُمّاع[3] من الناس، فبيعوا، ففُرّق بينهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقال : مالهم ؟ فقيل : يا رسول الله ، فُرِّق بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبيعوهم إلا جميعا .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك

سبب نفاق أبى عفك

قال ابن إسحاق :

وغزوة سالم بن عُمير لقتل أبى[4] عَفَك ، أحد بنى عمرو بن عوف ثم من

(١) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٢) فى ا : « عبد الله بن حسين بن حسن » وهو تحريف .

(٣) الجماع : من الأضداد ، يكون تارة المجتمعين ، وتارة المفترقين ، وأراد به هنا جماعات من الناس مختلطين .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « غزوة سالم بن عمير أبا عفك .

بنى عُبيدة ، وكان قد نجم[1] نِفاقُه ، حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارثَ بن سُوَيد بن صامت ، فقال :

لقد عِشْتُ دهرا وما إن أرى ... من النــــاس داراً ولا مَجْمَعَا
أبرَّ عهــــــوداً وأوفى لِمن ... يُعاقــــد فيهم إذا ما دَعَا
مِنَ أولاد قَيْلة فى جَمْعِهم ... يَهُدُّ الجبال ولم يَخْضَــــعا[2]
فصــــدَّعهم راكبٌ جاءهم ... حلال حرام لِشَـــــتّى معا[3]
فلو أنّ بالعِزّ صَــــــدَّقْتُمُ ... أوِ المُلْكِ تابعتمُ تُبَّــــــعاً[4]

قتل ابن عمير له وشعر المزيرية

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الخبيث ، فخرج سالم بن عُمير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكّائين ، فقتله ؟ فقالت أمامةُ المُزَيرِية فى ذلك :

تُـكَذِّب دِينَ الله والمرءَ أحمدَا ... لعمرُ الذى أمْناك أن بِئْس ما يُمْنِى[5]
حَباك حَنيف آخِرَ الليل طَعنةً ... أبا عَفَكٍ خُذها على كِبَرِ السِّن[6]

غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان

نفاقها وشعرها فى ذلك

وغزوة عُمير بن عدى الخَطْمىّ عصماء بنتَ مروان ، وهى من بنى أمية ابن زيد ، فلما قُتل أبو عفك نافقت ، فذكر عبدُ الله بن الحارث بن الفُضيل عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خَطْمة ، ويقال له يزيد بن زيد ، فقالت تعيب الإسلام وأهلَه :

---

(١) نجم : ظهر .
(٢) قيلة : اسم امرأة تنسب إليها الأوس والخزرج أنصار النبى . ولم يخضعا : أراد يخضعن بالنون الخفيفة ، فلما وقف عليها أبدل منها ألفا .
(٣) صدعهم : فرقهم .
(٤) تبع : أحد ملوك اليمن .
(٥) أمناك : أنساك .
(٦) حنيف : مسلم .

باسْت بنى مالك والنّبيت وعوفٍ وباسْت بنى الخَزْرجِ
أطعتم أتاوِىّ من غيركم فلا من مُراد ولا مَذحِجِ[1]
تُرَجُّونه بعد قتل الرُّءوس كما يُرْتجى مَرَق المُنضَجِ[2]
ألا أنِف يبْتغى غِرّة فيقطعَ من أمل المُرْتجِى[3]

شعر حسان في الرد عليها

قال: فأجابها حسان بن ثابت، فقال:

بنو وائلٍ وبنو واقفٍ وخَطْمةُ دون بنى الخَزْرج
متى ما دعتْ سَفَهاً وَيْحَها بعَوْلتِها والمَنايا تجِى[4]
فهزّت فتًى ماجدا عرقُه كريم المَداخل والمَخْرج
فَضَرّجها من نجيع الدِّما ء بعد الهدوّ فلم يَحْرَجِ[5]

خروج الخطمى لقتلها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك، ألا آخِذٌ[6] لى من ابنة مروان؟ فسمِعَ ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمير بن عدىّ الخَطْمىّ، وهو عنده، فلما أمسى من تلك الليلة سرَى عليها فى بيتها فقتلها، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إنى قد قتلتها. فقال نصرتَ الله ورسوله يا عُمير؛ فقال: هل علىّ شىء من شأنها يا رسول الله؟ فقال لا يَنْتطح فيها عَنْزان[7].

شأن بنى خطمه

فرجع عُمَيْر إلى قومه، وبنو خَطْمة يومئذ كثيرٌ موْجهم[8] فى شأن بنت مروان، ولها يومئذ بنون خمسة رجال، فلما جاءهم عُمَيْر بن عدىّ من

---

(١) الأتاوى: الغريب. ومراد ومذحج: قبيلتان من اليمن.
(٢) الرءوس: أشراف القوم.
(٣) الأنف: الذى يترفع عن الشىء. والغرة: الغفلة.
(٤) العولة: ارتفاع الصوت بالبكاء. وتجى: مسهل من تجىء
(٥) ضرجها: لطخها بالدم. والنجيع: الشديد الحمرة. والهدو: أى بعد ساعة من الليل. ولم يحرج: لم يأثم.
(٦) فى ا: «أحد»
(٧) لاينتطح فيها عنزان: أى أن شأنها هين، لايكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف.
(٨) موجهم: اختلاط كلامهم.

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : يا بنى خَطْمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدونى جميعاً ثم لا تُنْظِرون . فذلك اليومُ أولُ ما عزّ الإسلام فى دار بنِى خَطْمة ، وكان يستخفى بإسلامه فيهم من أسلم ، وكان أولَ من أسلم من بنى خطمة عُمير بن عدى ، وهوالذى يُدعى القارئ ، وعبد الله بن أوس ، وخُزيمة ابن ثابت ، وأسلم ، يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خَطْمة ، لما رأوا من عز الإسلام .

أسر ثمامة بن أثال الحنفى وإسلامه

والسرية التى أسرت ثمامة بن أثال الحنفى

إسلامه

بلغنى عن أبى سعيد المَقْبُرى عن أبى هُريرة أنه قال :

خرجت خيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلم، فأخذتْ رجلا من بنى حَنيفة ، لا يشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أتدرون من أخذتم ؛ هذا ثمامة بن أثال الحَنَفِىّ ، أحسنوا إساره . ورجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ؛ فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به إليه ، وأمر بلقْحَته[1] أن يُغْدَى عليه بها ويُرَاح ، فجعل لا يقع من ثمامة موقعا ، ويأتيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيقول : أسلم ياثمامة ، فيقول : إيهاً[2] يامحمد ، إن تقتل تقتل ذادم ، وإن تُرِدِ الفداء فسل ماشئت ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ؛ ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يوما : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البَقِيع ، فتطهّر فأحسن طُهُوره ، ثم أقبل فبايع النبىّ صلى الله

(١) اللقحة : واحدة اللقاح من الإبل ، وهى الناقة التى لها لبن .
(٢) إيها : حسبك .

عليه وسلم على الإسلام ؛ فلما امسى جاءوه بما كانوا يأتونه به من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وباللِّقْحة فلم يُصب من حِلابها إلا يسيرا ، فعجب المسلمون من ذلك ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين بلغه ذلك : مِمَّ تعجبون ؟ أمن رجل أكل أولَ النهار فى مِعًى كافرٍ وأكل آخر النهار فى مِعًى مسلمٍ ! إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، و إن المسلمَ يأكل فى مِعًى واحد .

خروجه إلى مكة ونصته مع قريش

قال ابن هشام :

فبلغنى أنه خرج مُعتمِرا ، حتى إذا كان ببطن مكة لَبّى ، فكان أول من دخل مكة يُلَبّى، فأخذته قريش، فقالوا: لقد اجترأت علينا ، فلما قدّموه ليضربوا عنقه ؛ قال قائل منهم : دعوه ، فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطَعامكم ، فخلّوه ، فقال الحنفى فى ذلك :

ومنا الذى لبّى بمكة مُعلِناً … برَغْم أبى سفيان فى الأشهر الحُرُمْ

وحُدِّثت أنه قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلم ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغَض الوجُوه إلى ، ولقد أصبَح وهو أحبُّ الوجوه إلىّ . وقال فى الدين والبلاد مثل ذلك .

ثم خرج معتمرا ، فلما قدم مكة قالوا : أصَبَوْت يا ثُمَام ؟ فقال لا ، ولكنّى اتّبعت خير الدين ، دينَ محمد ، ولاوالله لاتصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى اليمامة ، فمنَعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك تأمر بصلة الرحم ، و إنك قد قطعت أرحامَنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع[1]، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يخلّى بينهم و بين الحَمْل .

(١) العبارة : « وقد قتلت الأباء بالسيف ، والأبناء بالجوع » ساقطة من ا

سرية علقمة بن مجزز

سبب إرسال علقمة

وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلقمة بن مُجزِّز .

لما قُتل وقَّاص بن مجزّز المُدْلِجِيّ يوم ذى قَرَد ، سأل عَلْقمةُ بن مُجزِّز رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه فى آثار القوم ، ليدركَ ثأره فيهم .

دعابة ابن حذافة مع جيشه

فذكر عبدُ العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن عَلقَمة ، عن عمر بن الحكم ابن ثَوْبان ، عن أبى سعيد الخُدرى ، قال :

بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلْقمة بن مُجزز ـ قال أبو سعيد الخُدرى: وأنا فيهم ـ حتى إذا بلغنا رأس غَزَاتنا أو كنّا ببعض الطريق ، أَذِن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبدَ الله بن حُذافة السَّهمى ، وكان من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ، وكانت فيه دُعابة[1] ، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارًا ، ثم قال للقوم : أليس لى عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجز[2] ، حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قَدِموا[3] عليه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من أمركم بمَعْصية منهم فلا تُطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن عَلْقَمة بن مُجَزز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا .

---

(١) الدعابة : المزاح .
(٢) يحتجز : يشد ثوبه على خصره بمنزلة الحزام .
(٣) فى ا : « قدمنا » .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارا

حدثنى بعضُ أهل العلم ، عمّن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان ابن عبد الرحمن ، قال :

شأن يسار

أصاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى غزوة محارب و بنى ثعلبة ، عبداً يقال له يسار ، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لِقاح له كانت ترعى فى ناحية الجماء[(١)] ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيس كُبَّة[(٢)] من بجيله ، فاستوبئوا[(٣)] ، وطَحِلوا[(٤)] ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو خرجتم إلى اللِّقاح فشرِبتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

قتل البجليين وتنكيل الرسول بهم

فلما صحّوا وانطوت بطونهم[(٥)] ، عَدَوا على راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَسار ، فذبحوه وغرزوا الشوكَ فى عينيه ، واستاقوا اللِّقاح . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم كُرْز بن جابر ، فلَحِقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرجِعه من غزوة ذى قَرَد ، فقطع أيديَهم وأرجلَهم ، وسَمَل أعينهم[(٦)] .

غزوة على بن أبى طالب إلى اليمن

وغزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه اليمن ، غزاها مرتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب إلى اليمن ، و بعث

---

(١) كذا فى ا . والجماء : موضع . وفى سائر الأصول : « الحمى » .
(٢) كبة : قبيلة من بجيلة .
(٣) فاستوبئوا : من الوباء ، وهو كثرة الأمراض وعمومها .
(٤) طحلوا : أصابهم وجع الطحال وعظمه .
(٥) انطوت بطونهم : صارت فيها طرائق الشحم وعكنه .
(٦) سمل أعينهم : فقأها .

خالد بن الوليد فى جُند آخر ، وقال : إن التقيتما فالأمير علىّ بن أبى طالب .

وقد ذكر ابن إسحاق بَعْث خالد بن الوليد فى حديثه ، ولم يذكره فى عدة البعوث والسرايا ، فينبغى أن تكون العِدَّة فى قوله تسعة وثلاثين .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

وهو آخر البعوث

قال ابن إسحاق :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يُوطِئ الخيل تُخوم البَلْقاء والداروم ، من أرض فِلَسطين ، فتجهّز الناسُ، وأوعَب مع أسامة المهاجرون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بدء الشكوى

قال ابن إسحاق :

فبينا الناس على ذلك ابتُدِئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بقِين من صفر ، أو فى أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتُدِئ به من ذلك ، فيما ذُكر لى ، أنه خرج إلى بَقيع الغَرْقد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتُدِئ بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبدُ الله بن عمر عن عُبيد بن جُبير ، مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مُوَيْهِبة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : ياأبا مُوَيْهِبة ، إنى قد أُمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلِقْ معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : السلام عليكم يأهل المقابر ، ليهنِئْ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلتِ الفتن كقِطَع الليل المظلم ، يتبع آخرُها أولَها ، الآخرة شر من الأولى ؛ ثم أقبل علىّ ، فقال : يا أبا مُوَيْهِبة ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلدَ فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة . قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة ؛ قال : لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وَجَعُه الذى قبضه الله فيه .

تمريضه فى بيت عائشة

قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عُتبة ، عن محمد بن مُسلم الزهرى، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم، قالت :

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صُداعا فى رأسى ، وأنا أقولُ : وارأساه ، فقال : بل أنا والله ياعائشة وارأساه . قالت : ثم قال: وما ضرّكِ لومُتِّ قبلى ، فقمتُ عليك وكفنتك ، وصلّيت عليك ودفنتك ؟ قالت: قلت: والله لكأنى بك، لوقد فعلتَ ذلك، لقد رجعتَ إلى بيتى، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم، وتتامّ به وجعُه ، وهو يدور على نسائه ، حتى استعزّ به[1] ، وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنهن فى أن يُمرّض فى بيتى ، فأَذِنَّ له .

---

(١) استعزبه : اشتد عليه وجعه وغلبه على نفسه .

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

أمهات المؤمنين

أسماؤهن

قال ابن هشام:

وكن تسعًا: عائشة بنت أبى بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حَبيبة بنت أبى سفيان بن حرب، وأم سَلَمة بنت أبى أمية بن المغيرة، وسودة بنت زَمْعة ابن قيس، وزينب بنت جَحْش بن رِئاب، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن، وجُويرية بنت الحارث بن أبى ضرار، وصفية بنت حُيَىّ بن أخطب، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم.

زواجه بخديجة

وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ عَشْرَة: خديجة بنت خُوَيْلِد، وهى أول من تزوج، زوجه إياها أبوها خويلد بن أسد، ويقال أخوها عمرو بن خويلد، وأصدَقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بَكْرة، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم، وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك، أحد بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم، حليف بنى عبد الدار، فولدت له هند بن أبى هالة، وزينب بنت أبى هالة، وكانت قبل أبى هالة عند عُتَيِّق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له عبد الله وجارية.

قال ابن هشام: جارية من الجوارى، تزوّجها صَيْفىُّ بن أبى رفاعة[1].

زواجه بعائشة

وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر الصديق بمكة، وهى بنت سبع سنين، وبنى بها بالمدينة، وهى بنت تسع سنين أو عشر، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها، زوّجه إياها أبوها أبو بكر، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم.

زواجه بسودة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سَودة بنت زمعة بن قيس ابن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤى،

---

(١) العبارة من قوله: «قال ابن هشام» إلى آخرها: ساقطة فى ا.

زوجه إياها سَليط بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم .

قال ابن هشام :

ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سَلِيطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة فى هذا الوقت .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل .

زواجه بزينب بنت جحش

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية ، زوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) .

زواجه بأم سلمة

وتزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمّ سَلَمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية ، واسمها هند ؛ زوجه إياها سلمة بن أبى سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فِراشا حشوه لِيف، وقدحا، وصَحْفة، و مِجَشّة[1] ؛ وكانت قبله عند أبى سلمة بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية .

زواجه بحفصة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفْصة بنت عمر بن الخطاب ، زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند خُنَيس بن حُذافة السَّهمى .

زواجه بأم حبيبة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حَبيبة ، واسمها رَملة بنت أبى سفيان

---

(١) المجشة : الرحى ؛ يقال : جششت الطعام فى الرحى ، إذا طحنته طحنا غليظاً ، ومنه الجشيش والجشيشة .

ابن حرب ، زوّجه إياها خالدُ بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشيّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة دينار ، وهو الذى كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدى.

زواجه بجويرية

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جُويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، كانت فى سبايا بنى المصطلق من خزاعة ، فوقعت فى السّهم لثابت بن قيس ابن الشَّماس الأنصاريّ ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تَستَعينه فى كتابتها ، فقال لها: هل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكَّائى ، عن محمد ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام :

ويقال : لَمَّا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المُصطلق ، ومعه جُويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلّى الله عليه وسلم المدينة فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضِرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها لِلفداء ، فرغب فى بعيرين منها، فغيبهما فى شِعْب من شعاب العقيق، ثم أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا محمد ، أصَبْتم ابنتى ، وهذا فِداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأين البعيران اللذان غيَّبت بالعقيق فى شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، صلى الله عليك ، فوالله مااطّلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ودُفِعت إليه ابنته جُوَيرية ، فأسلمت وحسن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوّجه إياها ، وأصدقها أربع مئة

درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عمّ لها، يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ثابت ابن قيس ، فأعتقها وتزوّجها، وأصدقها أربع مئة درهم .

زواجه بصفية

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيَّة بنت حُيي بن أخطب ، سباها من خيبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمة ، ما فيها شحم ولا لحم ، كان سَوِيقا وتمرا ، وكانت قبله عند كِنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق .

زواجه بميمونة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مَيْمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بَحِير ابن هُزَم بن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوجه إياها العباسُ بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند أبي رُهْم بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبدودّ ابن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤى ؛ ويقال إنها التي وهبت نفسها للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خِطْبة النبي صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهي على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله ؛ فأنزل الله تبارك وتعالى : « وَٱمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ » .

ويقال : إن التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، ويقال أم شريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بني منقذ بن عمرو بن مَعِيص ابن عامر بن لؤيّ ، ويقال بل هي امرأة من بني سامة بن لُؤَيّ ، فأرجأها(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زواجه زينب بنت خزيمة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خُزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أم المساكين ، لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، زوجه إياها قَبِيصة بن عمرو الهلالى ،

---

(١) أرجأها : أخر أمرها .

وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند عبيدة ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو ابن الحارث ، وهو ابن عمّها .

عدتهن وشأن الرسول معهن

فهؤلاء اللاتى بنى بهن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ، فمات قبله منهن ثِنتان : خديجة بنت خُوَيلد ، وزينب بنت خُزيمة ، وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث ؛ وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها فوجد بها بياضا[1] ، فمتَّعها[2] وردّها إلى أهلها ، وعَمرة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : منيعٌ عائذ الله ، فردها إلى أهلها ، ويقال إن التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كِندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله صلّى الله عليه وسلم دعاها فقالت : إنا قوم نُؤْتَى ولا نأتى ؛ فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

تسمية القرشيات منهن

القرشيات من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ست :

خديجة بنت خُويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى ؛ وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قُحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ؛ وحفصة بنت عمر بن الخطاب ابن نُفَيل بن عبد العزّى بن عبد الله بن قُرط بن رِياح بن رِزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ؛ وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وأم سَلَمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن

(١) البياض : البرص . تكنى عنه العرب بالبياض ، لكراهيتها إياه .

(٢) متعها : وصلها بشىء تنتفع به .

لؤى ؛ وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حِسل بن عامر بن لؤى .

تسمية العربيات وغيرهن

والعربيات وغيرهن سبع :

زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مرة بن كَبِير بن غَنم ابن دُوْدان بن أسد بن خُزيمة ؛ وميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بَحِير بن هُزَم ابن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خصَفة بن قيس بن عَيلان ؛ وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ؛ وجويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخُزاعية، ثم المُصطلقية؛ وأسماء بنت النعمان الكندية ؛ وعمرة بنت يزيد الكلابية[1] .

ومن غير العربيات :

صفية بنت حُيى بن أخطب ، من بنى النضير .

تمريض رسول الله فى بيت عائشة

مجيئه إلى بيت عائشة

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم، قالت:

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر ، عاصباً رأسه ، تخط قدماه ، حتى دخل بيتى .

قال عُبيد الله فحَدّثت هذا الحديث عبدَ الله بن العباس ، فقال :

هل تدرى من الرجل الآخر؟ قال . قلت : لا ؟ قال : على بن أبى طالب .

---

(١) ذكر السهيلى من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم غير من ذكرهن ابن إسحاق : شراف بنت خليفة ، أخت دحية بن خليفة الكلبى، والعالية بنت ظبيان، وسنى بنت الصلت، ويقال فيها : سنا بنت أسماء بنت الصلت ، وأسماء بنت النعمان بن الجون الكندية .

شدة المرض وصب الماء عليه

ثم غُمِرَ[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشتد به وجعه ، فقال هَرِيقوا على سبع قِرَب من آبار شتّى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . قالت : فأقعدناه فى مِخْضَب[2] لحفصة بنت عمر ، ثم صَبَبنا عليه الماء حتى طَفِق يقول : حسبكم حسبكم .

كلمة للنبي واختصاصه أبابكر بالذكر

قال ابن إسحاق: وقال الزّهرى: حدثنى أيوب بن بشير :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنهُ صلى على أصحاب أُحُد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال: إن عبدا من عباد الله خيَّرَه الله بين الدنيا و بين ماعنده، فاختار ماعند الله . قال: ففهمها أبو بكر، وعرَف أن نفسه يريد ، فبكى وقال : بل نحن نَفْديك بأنفسِنا وأبنائنا ، فقَال : على رِسْلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة[3] فى المسجد ، فسدُّوها إلا بيت أبى بكر ، فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصُّحبة عندى يداً منه .

قال ابن هشام : ويروى إلا باب أبى بكر .

قال ابن اسحاق: وحدثنى عبدالرحمن بن عبد الله، عن بعض آل أبى سعيد ابن المعلّى :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ فى كلامه هذا : فإنى لو كنت متخذا من العِباد خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وأخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده

أمر الرسول باتخاذ بعث أسامة

وقال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس فى بعث أسامة بن زيد ،

(١) غمر : أصابته غمرة المرض ، وهى شدته .

(٢) المخضب : إناء يغتسل فيه .

(٣) اللافظة فى المسجد : النافذة إليه .

وهو فى وجعه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا فى إمرة أسامةَ : أمَّرَ غلاما حَدَثا على جِلَّة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله وأثنى عليه بمـا هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفِذوا بعث أسامة ، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقا لهـا .

قال : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانكمش[1] الناس فى جهازهم، واستعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرْفَ ، من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتامّ إليه الناس ، وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس ، لينظُروا ما الله قاضٍ فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصية الرسول بالأنصار

وقال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلّى واستغفر لأصحاب أحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ : يامعشر المهاجرين ، استوصُوا بالأنصار خيرا ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عَيبتى[2] التى أويت إليها ، فأحسنوا إلى مُحْسِنهم ، وتجاوزوا عن مُسيئِهم .

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتامّ به وجعُهُ ، حتى غُمِر .

شأن اللدود

قال عبدالله: فاجتمع إليه نساء من نسائه : أم سَلَمَةَ ، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عُمَيْس، وعنده العباس عمّه، فأجمعوا أن يَلُدُّوه[3] ، وقال العباس: لَأَلُدَّنّه. قال: فلَدّوه، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: مَن صنع هذا بى ؟ قالوا : يا رسول الله : عمّك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو

(١) انكمش الناس : أسرعوا .

(٢) عيبتى : موضع ثقتى وسرى . والعيبة فى الأصل : مايجعل فيه الثياب .

(٣) أن يلدوه أى يجعلوا الدواء فى شق فمه.

هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمّه العباس : خشينا يارسول الله أن يكون بك ذات الجنْب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقذفني به ، لا يَبْقَ فى البيت أحد إلاَّ لُدَّ إلا عَمّى ، فلقد لُدَّت ميمونة وإنها لصائمة ، لِقَسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لهم بما صَنعوا به .

دعاء الرسول لأسامة بالإشارة

قال ابن إسحاق : وحدّثنى سعيد بن عُبيد بن السبّاق، عن محمد بن أُسامة، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال :

لما ثَقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطتُ وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أُصْمِتَ فلا يتكلّم ، فجعل يَرْفع يده إلى السماء ثم يَضعها علىّ ، فأعرف أنه يدعو لى .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهرى : حدّثنى عُبيد بن عبد الله ابن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما أسمعه يقول :

إن الله لم يقبض نبيا حتى يُخيِّرهُ . قالت : فلما حُضِر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان آخر كلمة سمعتُها منه وهو يقول : بل الرفيق الأعلى[(١)] من الجنة، قالت : فقلت إذا والله لا يختارُنا ، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يُخَيَّر .

صلاة أبى بكر بالناس

قال الزُّهرى : وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت :

لما استُعِزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس. قالت : قلت : يانبى الله ؛ إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن . قال : مروه فليصل بالناس . قالت : فعدت بمثل قولى ، فقال :

(١) يشير إلى قوله تعالى : (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا) .

خرج إلى الناس، وهم يصلون الصبح، فرفع الستر، وفتح الباب ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، فرحا به ، وتفرّجوا ، فأشار إليهم أن اثبتُوا على صلاتكم ؛ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ هَيئة منه تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناسُ وهم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفْرق[1] من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح[2] .

قال ابن إسحاق: وحدّثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسم بن محمد :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ، حين سمع تكبير عمر فى الصلاة : أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون . فلولا مقالةٌ قالها عمر عند وفاته ، لم يشك المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ، ولكنّهُ قال عند وفاته : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى . فعَرف الناسُ أنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا ، وكان عمر غيرَ مُتَّهم على أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مُليكة ، قال :

لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرّج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكص عن مُصَلاّه ، فدفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ظَهره، وقال: صلِّ بالناس ، وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فصلَّى قاعدا عن يمين أبى بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فكلَّمهم رافعاصوته ،

---

(١) أفرق : برئ .

(٢) السنح (بوزن قفل) : موضع كان فيه مال لأبى بكر ، وكان ينزله بأهله .

إنكن صواحبُ يوسف ، فمرُوه فليصلّ بالناس ، قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أنى كنت أحبّ أن يُصْرَف ذلك عن أبى بكر ، وعرفت أن الناس ، لايُحبون رجُلا قام مقامه أبدا ، وأن الناس سيتشاءمون به فى كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابنُ شهاب : حدّثنى عبد الملك بن أبى بكر ابن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبيه، عن عبد الله ابن زمعة بن الأسود ابن المُطلب بن أسد ، قال :

لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا مَنْ يصلى بالناس . قال فخرجت فإذا عمر فى الناس ، وكان أبو بكر غائباً ؛ فقلت : قم ياعمر فصلّ بالناس . قال : فقام ، فلما كبّر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم : صوتَه ، وكان عمر رجلا مِجْهَرا[1] ، قال: فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون . قال : فبُعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلّى بالناس . قال: قال عبد الله بن زمعة : قال لِى عمر : ويحك ، ما ذا صنعت بى يا بن زمعة ، والله ما ظننت حين أمرتَنى إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ماصليت بالناس . قال: قلتُ : والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحقّ من حضر بالصلاة بالناس .

اليوم الذى قبض الله فيه نبيه

قال ابن إسحاق : وقال الزّهرى : حدّثنى أنسُ بن مالك :

أنه لما كان يوم الاثنين الذى قبض الله فيه رسوله الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) مجهر : عالى الصوت .

حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس ، سُعِّرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، و إنى والله ما تَمسَّكون علىّ بشىء ، إنى لم أُحِلّ إلا ما أحل القرآن ، ولم أُحرِّم إلا ماحرّم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر : يانبىالله ، إنى أراك قد أصبحْت بنعمة من الله وفضل كما نُحب ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفآتيها ؟ قال : نعم . ثم دَخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنح .

شأن العباس وعلى

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدّثنى عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال :

خرج يومئذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له الناس : يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئًا ، قال : فأخذ العبّاس بيده ، ثم قال : ياعلىّ ، أنت والله عبدُ العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، و إن كان فىغيرنا أَمَرناه فأوصى بنا الناس. قال : فقال له علىّ: إنى والله لاأفعل، والله لئن مُنعناه لا يؤتيناه أحد بعده .

فتُوُفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتدّ الضُّحاء من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبيل الوفاة

قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عتبة، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة، قال : قالت :

رجع إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطجع فى حجرى ، فدخل علىّ رجل من آل أبى بكر، وفى يده سِواك أخضر. قالت: فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فى يده نظراً عرفت أنه يُريده ، قالت :

فقلت : يارسول الله ، أتحب أن أعطيَك هذا السِّواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى ليَّنته ، ثم أعطيته إياه ؛ قالت : فاستنّ به كأشد مارأيته يستنّ بسِواك قطّ ، ثم وضعه ؛ ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَثْقل فى حجرى ، فذهبت أنظرُ فى وجهه فإذا بصره قد شَخَص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ؛ قالت : فقلت : خُيِّرت فاخترت والذى بعثك بالحق . قالت : وقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال :

سمعت عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرى ونحرى[1] وفى دَوْلتى ، لم أظلم فيه أحَدا ، فمِنْ سَفهى وحَدَاثة سِنّى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبض وهو فى حِجرى ، ثم وضعت رأسَه على وسادة ، وقمت ألْتَدم[2] مع النساء ، وأضرب وجهى .

مقالة عمر بعد وفاة الرسول

قال ابن إسحاق : قال الزهرى ، وحدثنى سعيد بن المسيّب عن أبى هريرة ، قال : لما تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عُمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قد تُوفِّى ؛ وإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والله مامات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ؛ ووالله ليرجعَنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليَقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مات .

موقف أبى بكر بعد وفاة الرسول

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبرَ ، وعمر يكلّم

---

(١) السحر : الرئة وما يتصل بها إلى الحلقوم . والنحر : أعلى الصدر .

(٢) ألتدم : أضرب صدرى .

الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُسجًّى[1] فى ناحية البيت ، عليه بُرْد حِبَرة[2] ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذُقْتها ، ثم لَن تُصيبك بعدها موتة أبدا . قال : ثم ردّ البُرد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلّم الناس ، فقال : على رِسْلك يا عمر ، أنصِت ، فأبى إلا أن يتكلّم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنصت أقبل عَلَى الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُول قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِين) .

قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبى بكر ، فإنما هى فى أفواههم ؛ قال : فقال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعَقِرت[3] حتى وقعت إلى الأرض ما تَحمِلُنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

أمر سقيفة بنى ساعدة

تفرق الكلمة

قال ابن إسحاق :

ولما قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحىُّ من الأنصار إلى

---

(١) مسجى : مغطى .
(٢) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن
(٣) عقرت : دهشت . يقال : عقر الرجل إذا تحير ودهش .

ســــعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل علىّ بن أبى طالب والزُّبير ابن العوام وطلحة بن عُبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أُسَـيد بن حُضَير ، فى بنى عبـد الأشهل ، فأتى آت إلى أبى بكر وعمر ، فقال : إن هـذا الحىّ من الأنصار مع سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرُهم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يُفرغ من أمره ، قد أغلَق دُونه الباب أهلُه . قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ماهم عليه .

ابن عوف ومشورته على عمر بشأن بيعة أبى بكر

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن عبد الله بن أبى بكر حدثنى عن ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن عوف ، قال : وكنت فى منزله بمنى أنتظره ، وهو عند عمر فى آخر حِجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدنى فى منزله بِمنًى أنتظره ، وكنت أُقرئه القرآن ، قال ابنُ عباس ، فقال لى عبد الرحمن بن عوف :

لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين ، هل لك فى فلان يقول: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا، والله ما كانت بَيعة أبى بكر إلا فَلْتة فتمّت . قال : فغضب عمر، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشيَّة فى الناس، فمحذِّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغْصبوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رِعاع الناس وغَوغاءهم[1] ، وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك ، حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يَطِير بها أولئك عنك كل مَطير ، ولا يَعوها ولا يَضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدَم المدينة ،

(١) الغوغاء : سفلة الناس ، وأصل الغوغاء الجراد ، فشبه سفلة الناس به ، لكثرتهم .

فإنها دار السنّة ، وتخلّص بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ماقلت بالمدينة متمكّنا ، فيعى أهلُ الفقه مقالتك ، ويضعوها عَلَى مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مَقام أقومه بالمدينة .

خطبة عمر عند بيعة أبي بكر

قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرّواح حين زالت[1] الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل جالساً إلى رُكن المِنبر ، فجلست حذوه ، تمس رُكبتى ركبته ، فلم أنشَب أن خرج عمرُ بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد : لَيقولنّ العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ؛ قال : فأنكر على سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقول مما لم يقل قبلَه ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون قام ، فأثنى على الله بما هوله أهل ثم قال :

أما بعد ، فإنى قائل لكم اليوم مقالة قد قُدر لى أن أقولها ، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيَها فلا يحِلُّ لأحد أن يكذب على ؛ إن الله بعث محمداً ، وأنزل عليه الكتاب فكان مما أُنزَل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعُلِّمناها ووعيناها ، ورَجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وَرَجَمْنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نَجِد الرجم فى كتاب الله ، فيضِلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أُحْصَن من الرجال والنساء ، وإذا قامت البينة ، أو كان الحبَل أو الاعتراف ؛ ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : (لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائكُمْ فإنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أن ترغبوا عن آبائكم). ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُطرونى كما أُطْرِىَ عيسى بن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله » ؛ ثم إنه قد بلغنى أن فلاناً قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً ، فلا يغرّنّ امرأ أن يقول إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتة فتمت ، وإنها قد كانت كذلك

(١) فى ا « زاغت » .

إلا أن الله قد وقى شرها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بَيْعة له هو ولا الذى بايعه تَغِرّةً(١) أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توَفّى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سَقيفة بنى ساعدة ، وتخلف عنا علىّ ابن أبى طالب والزبير بن العوام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان ، فذكرا لنا ماتمالأ عليه القوم ، وقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فلا عليكم أن لاتقربوهم يامعشر المهاجرين ، اقضوا أمركم . قال : قلت : والله لنأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم رجلٌ مُزَمَّل(٢) فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عُبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجِـع . فلما جلسنا تشهّد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفّت(٣) دافّة من قومكم ، قال : وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زَوّرت(٤) فى نفسى مقالة قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحَدّ(٥) ، فقال أبو بكر : على رِسْلك ياعمر ، فكرهت أن أُغضبه ، فتكلم، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله

---

(١) التغرة : من التغرير ، والكلام على حذف مضاف ، تقديره : خوف تغرة أن يقتلا . والمعنى : أن البيعة حقها أن تقع صادرة عن المشورة والاتفاق ، فإذا استبد رجلان دون الجماعة ، فبايع أحدهما الآخر ، فذلك تظاهر منهما بشق العصا واطراح الجماعة . فإن عقد لأحد بيعة ، فلا يكون المعقود له واحداً منهما ، وليكونا معزولين من الطائفة التى تتفق على تمييز الإمام منها ، لأنه لو عقد لواحد منهما ، وقد ارتكبا تلك الفعلة الشنيعة ، التى أحفظت الجماعة ، من التهاون بهم ، والاستغناء عن رأيهم ، لم يؤمن أن يقتلا . (انظر لسان العرب مادة غرر) .

(٢) مزمل : ملتف فى كساء أو غيره .

(٣) الدافة : القوم يسيرون جماعة سيرا ليس بالشديد .

(٤) زورت مقالة : أصلحتها وحسنتها .

(٥) الحد : أى أنه كان فى خلق عمر حدة ، كان يسترها عن أبى بكر .

ماتركَ من كلمة أعجبتني من تَزْويري إلا قالها في بَدِيهته، أو مثلها أو أفضل، حتى سكت؛ قال: أما ماذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسبا[1] ودارا[2]، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين؛ فبايعوا أيهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عُبيدة ابن الجراح، وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئا مما قال غيرها، كان والله أن أقدّم فتُضرب عنقي، لا يُقرّبُني ذلك إلى إثم، أحبّ إلى من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر.

قال: فقال قائل من الأنصار: أنا جُذيلها المُحَكَّك[3] وعُذَيقُها[4] المُرَجَّب، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش. قال: فكثُر اللَّغط[5]، وارتفعت الأصوات، حتى تخوّفت الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونزونا[6] على سعد بن عُبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. قال: فقلت: قتل الله سعد بن عبادة.

تعريف بالرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر في طريقهما إلى السقيفة

قال ابن إسحاق: قال الزهري أخبرني عُروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لَقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُويم بن ساعدة، والآخر معن ابن عدي، أخو بني العجلان. فأما عويم بن ساعدة، فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم مَنِ الذين قال الله عز وجل لهم: (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ)؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نِعْم المرء منهم عُويم بن ساعدة؛ وأما مَعْن بن عديّ، فبلغنا أن الناس بكَوْا على

(١) أوسط العرب نسبا: أشرفهم: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا).

(٢) ودارا: أي بلدا، وهي مكة، لأنها أشرف البقاع.

(٣) الجذيل: تصغير جذل، وهو عود يكون في وسط مبرك الإبل، تحتك به، وتستريح إليه، فتضرب به المثل للرجل يستشفى برأيه، وتوجد الراحة عنده.

(٤) العذيق: تصغير عذق، وهي النخلة بنفسها. والمرجب: الذي تبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله، ولعزه على أهله، فضرب به المثل في الرجل الشريف الذي يعظمه قومه. واسم الدعامة التي تدعم بها النخلة الرجبية، ومنه اشتقاق شهر رجب، لأنه يعظم في الجاهلية والإسلام.

(٥) اللغط: اختلاف الأصوات، ودخول بعضها على بعض.

(٦) نزونا على سعد: وثبنا عليه ووطئناه.

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجل ، وقالوا : والله لوَدِدْنا أنا متنا قبله ، إنا نخشى أن نفتَتن بعده . قال معن بن عدىّ : لكنى والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدّقته حيا ؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر ، يوم مُسيلمة الكذاب .

خطبة عمر قبل أبى بكر عند البيعة العامة

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرىّ ، قال : حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

أيها الناس ، إنى كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتُها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهِده إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيُدَبِّر أمرنا ؛ يقول : يكون آخرنا ؛ وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هَدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحِب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبى بكر

فتكلم أبو بكر ، فحَمِد الله ، وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإنى قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ؛ وإن أسأت فقوّمونى ؛ الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىّ عندى حتى أُريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوىّ فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدَعُ قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذُّل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قطُّ إلا عمَّهُمُ الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيتُ الله ورسوله ، فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال :

والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامِد إلى حاجة له ، وفى يده الدِّرة، ومامعه غيرى ، قال : وهو يحدث نفسَه ، و يضرب وحشىَّ[1] قدمه بدِرَّتِه ، قال: إذ التفت إلىّ ، فقال : يابن عباس ، هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلتُ حين تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لا أدرى يا أمير المؤمنين، أنت أعلم ؛ قال : فإنه والله ،إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيَبْقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذى حملنى على أن قلت ما قلت .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

من تولى غسل الرسول

قال ابن إسحاق :

فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، فحدّثنى عبد الله بن أبى بكر وحُسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا :

أن على بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقُثَم بن العباس،وأسامة بن زيد، وشُقْرانَ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم،هم الذى ولُوا غَسْله ، وأن أوس بن خَوْلِىّ ، أحد بنى عوف بن الخزرج ، قال لعلى ابن أبى طالب : أنشُدُك الله يا على وحظَّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل فجلس ، وحضر غَسْل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده على بن أبى طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُثَم يقلبونه معه ، وكان أسامة بن زيد

(١) الوحشى من أعضاء الإنسان: ما كان إلى خارج . والإنسى : ما أقبل على جسده منها.

وشُقران مولاه، هما اللذان يصبّان المـاء عليه ، وعليّ يُغسّله ، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصُه يدلكه به من ورائه ، لايُفضى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى يقول : بأبى أنت وأمى ، ما أطيبك حيّا وميتا ! ولم يُرَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء ممـا يُرَى من الميت .

كيف غسل الرسول

قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عَبّاد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عبّاد، عن عائشة ، قالت :

لمـا أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فقالوا : والله ماندرى ، أنجرّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرّد موتانا ، أونغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ألقَى الله عليهم النوم ، حتي مامنهم رجل إلا ذقنُه فى صدره ، ثم كلّمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبيّ وعليه ثيابه ؛ قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغسّلوه وعليه قميصُه ، يصبّون المـاء فوق القميص ، ويَدْلُـكُونه والقميص دون أيديهم .

تكفين الرسول

قال ابن إسحاق :

فلما فُرِغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفّن فى ثلاثة أثواب ، ثوبين صُحارِيّين[1] وبُرْد حِبَرة، أُدْرِج فيه إدراجا ، كما حدثنى جعفر بن محمد بن على ابن الحسين عن أبيه، عن جده على بن الحسين والزهرى ، عن على بن الحسين .

حفر القبر

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبـــد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس، قال :

لمـا أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عبيدة ابن الجَراح يَضْرَح[2] كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذى يحفر لأهل المدينة ، فكان يَلْحد ، فدعا العبّاس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب ،

(١) صحاريين : نسبة إلى صحار، وهى مدينة من اليمن كما فى لسان العرب أوهى فى بلاد بنى تميم من اليمامة أو ما يليها (عن معجم ما استعجم للبكرى) .

(٢) يضرح : يشق الأرض للقبر .

إلى ابى عبيدة بن الجراح ، وللآخر اذهب إلى أبى طلحة . اللهم خِرْ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد صاحب أبى طلحة أباطلحة ، فجاء به ، فلَحَد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

دفن الرسول والصلاة عليه

فلما فُرِغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وضع على سريره فى بيته، وقد كان المُسلمون اختلفوا فى دفنه . فقال قائلٌ : ندفنه فى مسجده، وقال قائلٌ : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ماقُبِض نبىّ إلا دفن حيث يُقبضُ، فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى عليه، فحُفِر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلّون عليه أرْسالا[1] ، دخل الرجال، حتى إذا فرغوا أُدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أُدخل الصبيان . ولم يُؤَمّ الناسَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

دفن الرسول

ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عُمارة ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن ابن أسعد[2] بن زُرارة ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت :

ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحى من جوف الليل من ليلة الأربعاء .

من تولى دفن الرسول

قال محمد بن إسحاق: وقد حدثتنى فاطمة هذا الحديث . قال محمد بن إسحاق:

وكان الذين نزلوا فى قبر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والفضل بن عباس ، وقثم بن عباس ، وشُقْران مولى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أرسالا : جماعة بعد جماعة .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول « أسعد » .

وقد قال أوس بن خَوْلِيّ لعلى بن أبى طالب : يا على ، أنشدك الله ، وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شُقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حُفرته و بنى عليه قد أخذ قطيفة ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها و يفترشها ، فدفنها فى القبر ، وقال : والله لايلبسها أحد بعدك أبدا .

قال فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحدث الناس عهدا بالرسول

وقد كان المغيرة بن شُعْبة يدَّعى أنه أحدثُ الناس عهداً برسول الله صلّى الله عليه وسلم ، يقول : أخذت خاتِمَى ، فألقيته فى القبر ، وقلت إن خاتمى سقط منى ، و إنمـا طرحته عمداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهداً به صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى أبى إسحاق بن يسار، عن مِقسم أبى القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مولاه عبد الله بن الحارث، قال .

اعتمرت مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عُمرته رجع فسُكِب له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئناك نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا عنه ؟ قال : أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحـــدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا أجل، عن ذلك جئنا نسألك ؛ قال : كذب ؛ قال : أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قُثَم بن عباس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت :

خيصة الرسول

كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خَميصة[1] سوداء حين اشتد به

(١) خميصة سوداء : هى ثوب خز أو صوف معلم .

وجهه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ! يَحْذَرُ من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق وحدثني صالح بن كيسان عن الزهريّ ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت :

كان آخر ما عهد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم أن قال : لا يُترك بجزيرة العرب دينان .

قال ابن إسحاق :

افتتان المسلمين بعد موت الرسول

ولما تُوُفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَظُمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغنى ، تقول : لما تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب، واشرأبت[1] اليهودية والنصرانية ، ونَجَم[2] النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المَطِيرة فى الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَمّوا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عَتَّاب بن[3] أَسِيد ، فتوارى ، فقام سُهيل بن عمرو فحمد الله، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال : إن ذلك لم يَزِد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضَرَبْنا عُنقه ، فتراجع الناس وكَفُّوا عما هَمّوا به ، وظهر عتاب بن أَسِيد .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطاب : إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمّه .

---

(١) اشرأبت : تطلعت .
(٢) نجم : ظهر .
(٣) كان عتاب بن أسيد والى مكة حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أمره عليها .

شعر حسان بن ثابت فى مرثيته الرسول

وقال حسّان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنا ابن هشام عن أبى زيد الأنصارى :

بطَيْبة رَسْم للرّسول ومَعْهدُ ... مُنير وقد تَعْفو الرُّسوم وتَهْمُدُ(١)
ولا تمتحِى الآياتُ من دار حُرْمةٍ ... بها مِنْبر الهادِى الذى كان يَصْعد(٢)
وواضــــحُ آثارٍ وباقِى مَعالِمٍ ... ورَبْعٌ له فيــــه مُصَلًّى ومَسجد(٣)
بها حُجُرات كان ينزلُ وَسْطَها ... من الله نورُ يُسْتضاء ويُوقد(٤)
معارف لم تُطْمَس عَلَى العَهْد آيها ... أتاها البِلَى فالآى منها تجدّد(٥)
عرفت بها رَسْم الرّسول وعهدَه ... وقبرًا بها واراه فى التّرب مُلْحِد(٦)
ظللت بها أبكى الرسولَ فأسْعدَت ... عيونٌ ومِثْلاها من الجفن تُسْعد(٧)
يُذَكِّرن آلاءَ الرسولِ وما أرى ... لها مُحْصِيا نفسى فنفسى تبلّد(٨)
مُفَجَّعَةً قد شَــفّها فقدُ أحمد ... فظلّت لآلاء الرســول تُعدّد(٩)
وما بلغت من كلّ أمْرٍ عَشيرَه ... ولكنْ لنفسى بَعْدُ ما قد تَوجّد(١٠)
أطالتْ وقوفًا تَذْرِف العَين جُهدَها ... على طَلَل القبرِ الذى فيه أحمد(١١)
فبُورِكت ياقبرَ الرّسول وبُورِكَتْ ... بلادٌ ثَوى فيها الرّشِيد المُسدّد

(١) طيبة : اسم مدينة النبى صلى الله عليه وسلم . والرسم : مابقى من آثار الدار . وتعفو : تدرس وتتغير . وتهمد : تبلى .
(٢) تمتحى : تزول . والآيات : العلامات .
(٣) المعالم : جمع معلم ، وهو مايعرف به الشىء .
(٤) الحجرات : جمع حجرة ، يعنى مساكنه صلى الله عليه وسلم .
(٥) لم تطمس : لم تغير .
(٦) الملحد : الذى يضع الميت فى لحده .
(٧) تسعد : تعين .
(٨) الآلاء : النعم ، جمع ألى وإلى (بفتح الهمزة وكسرها وتحريك اللام) .
(٩) شفها : أضعفها .
(١٠) العشير : العشر . وتوجد ، من الوجد ، وهو الحزن .
(١١) تذرف العين : تسيل بالدمع . والطلل : ما شخص من الآثار .

وبُورك لحدٌ منك ضمّن طيّبا | عليــــه بناء من صَفِيح مُنضَّدُ[1]
تَهِيل عليه التربَ أيدٍ وأعينٌ | عليه وقد غارت بذلك أسْعُد[2]
لقد غيّبوا حِلْما وعلمًا ورحمة | عشيّة عَـــلَّوهُ الثرى لا يُوسَّد
وراحوا بحُزن ليس فيهم نبيّهم | وقد وهَنت منهم ظُهور وأعضُد
يُبَكُّون من تبكى السموات يومه | ومن قد بَكَته الأرضُ فالناس أكْمد[3]
وهل عَدَلت يومًا رزيّةُ هالك | رزيّةَ يومٍ ماتَ فيــــه محمد؟
تَقطّع فيه منزلُ الوَحْى عنهمُ | وقد كان ذا نُورٍ يغور ويُنجد[4]
يدلّ على الرحمن من يَقتدِى به | ويُنقِذ من هول الخَزايا ويُرشد
إمام لهم يَهديهمُ الحقّ جاهداً | معلّم صدْق إن يُطيعوه يُسْعَدوا
عَفُوٌّ عن[5] الزلات يَقبل عُذرَهم | وإن يُحسنوا فالله بالخير أجْود
وإن نابَ أمرٌ لم يقومُوا بحَمْله | فمِنْ عِنْدِهِ تيسير ما يتشدّد
فبيناهمُ فى نعمة الله بينَهم[6] | دَليـــلٌ به نَهْج الطريقة يُقْصد[7]
عزيزٌ عليه أن يَجُوروا عن الهُدَى | حريصٌ على أن يَسْتقيموا ويَهْتدوا
عَطوف عليهم لا يُثَنِّى جناحَه | إلى كَنَف يَحْنو عليهم ويَمْهَد[8]
فبيناهُمُ فى ذلك النُّور إذ غدا | إلى نُورهم سَهم من الموت مُقْصِد[9]
فأصبح محمودًا إلى الله راجعًا | يُبَكِّيه حق المرسلات ويُحْمد[10]

(١) الصفيح: الحجارة العريضة. والمنضد: الذى جعل بعضه على بعض.
(٢) تهيل: تصب.
(٣) أكمد: أحزن.
(٤) يغور: يبلغ الغور، وهو المنخفض من الأرض. وينجد: يبلغ النجد، وهو المرتفع من الأرض.
(٥) فى ا: «من».
(٦) فى ا: «وسطهم».
(٧) النهج: الطريق البين.
(٨) الكنف: الجانب والناحية.
(٩) مقصد: مصيب، يقال: أقصد الهم، إذا أصاب.
(١٠) المرسلات (هنا): الملائكة. ويروى: «جن المرسلات» يريد الملائكة المستورين عن أعين الآدميين.

وأمست بلادُ الحُرْمِ وحشاً بقاعُها ... لِغَيْبة ما كانت من الوَحْي تَعْهد[1]
قِفارا سوى معمورَة اللحدِ ضافَها ... فقيدٌ يُبكّيــه بَلاط وغَرقد[2]
ومسجده فالموحشاتُ لفقده ... خلاءٌ له فيــه مَقام ومَقعد
وبالجمْرة الكُبرى له ثَمَّ أوْحشتْ ... ديارٌ وعرْصات ورَبْع ومولد[3]
فبكّى رسولَ الله يا عينُ عبرةً ... ولا أعرفنْك الدهر دَمعُك يجْمد
ومالك لا تبكين ذا النعمة التى ... على الناس منها سابغٌ يتغَمَّد[4]
فُجودى عليه بالدّموع وأعولِى ... لفقد الذى لامثلُه الدهرَ يُوجَد[5]
وما فقد الماضُون مثلَ محمد ... ولا مثلُه حتى القيامة يُفْقَد
أعفَّ وأوفَى ذمة بعد ذمةٍ ... وأقربَ منه نائلاً لا يُنَكَّد[6]
وأبذلَ منــه للطَّريف وتالِد ... إذا ضن مِعطاء بما كان يُتْلَد[7]
وأكرم صِيتاً فى البُيوت إذا انتمى ... وأكرَم جَدًّا أبطحيا يُسَوَّد[8]
وأمنعَ ذِروات وأثبت فى العُلا ... دعائم عز شاهقات تُشَيَّد[9]
وأثبتَ فرعًا فى الفُروع وَمَنبتاً ... وعُودًا غذاه المُزْن فالعُودُ أغيد[10]
ربّاه وليداً فاستتم تمامُه ... على أكرم الخيرات ربٌّ ممجّد
تناهتْ وَصاةُ المسلمين بكفِّه ... فلا العلم محبوس ولا الرأى يُفْند[11]

---

(١) بلاد الحرم (بضم الحاء وكسرها) : يعنى مكة وما اتصل بها من الحرم .
(٢) ضافها : نزل بها . وبلاط : مستو من الأرض . والغرقد : شجر .
(٣) عرصات : ساحات ، سكنت الراء ضرورة .
(٤) سابغ كثيرتام . ويغمد : يستر .
(٥) أعولى : ارفعى صوتك بالبكاء .
(٦) لاينكد : لايكدر بالمن الذى يفسد النائل .
(٧) الطريف : المال المستحدث . والتالد : المال القديم الموروث . وضن : بخل . ويتلد: يكتسب قديما .
(٨) الصيت : الذكر الحسن . والأبطحى : المنسوب إلى أبطح مكة ، وهو موضع سهل متسع .
(٩) الذروات : الأعالى . وشاهقات : مرتفعات . وفى ا : « شامخات » .
(١٠) المزن : السحاب . وأغيد : ناعم متثن .
(١١) يفند: يعاب .

أقول ولا يُلْقَ[1] لقولِيَ عائب … من الناس إلا عازب العقل مُبْعد[2]
وليس هوايَ نازعًا عن ثنائه … لعلّى به فى جَنّة الخُلدِ أخلد
مع المُصطفى أرجو بذاك جِواره … وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهَد

⁂

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما بال عينـــك لا تنام كأنما … كُحِلَتْ مآقيها بكُحْل الأرْمَدِ[3]
جَزَعا على المَهْدىّ أصبح ثاويًا … ياخيرَ من وطِيء الحَصى لاتَبْعَد
وَجْهى يقيكَ التُّربَ لَهَفِى لَيتنى … غُيِّبت قبلك فى بَقيع الغرقد[4]
بأبى وأمى مَنْ شَهِدتُ وفاتَه … فى يوم الاثنين النبىُّ المهتدى
فظَلِلت بعد وفاته متبلّدًا … متلدّدا يا ليتنى لم أُولد[5]
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم … يا ليتنى صُبّحت سَمَّ الأسود[6]
أوْ حلّ أمر الله فينا عاجلاً … فى رَوحة من يومنا أو من غَدِ
فتقوم ساعتنا فَنلقى طَيِّباً … مَحْضًا ضرائبه كريم المَحتدِ[7]
يا بِكرَ آمنَةَ المباركَ بِكْرُها … ولدته مُحْصَنَة بسعد الأسْعُد
نورا أضاء على البريّةِ كلها … من يُهد للنور المبارك يَهْتدى
يارب فاجمعنا معا ونبيَّنا … فى جَنة تَثْنى عيون الحُسَّد[8]
فى جنة الفردوس فاكتُبها لنا … ياذا الجَلال وذا العلا والسُّؤدَد

---

(١) فى ا : « ولا يانى لما قات » .
(٢) عازب العقل : بعيد العقل .
(٣) المآقى : مجارى الدموع من العين ، الواحد مأق . والأرمد : الذى يشتكى وجع العينين ورواية هذا البيت فى ديوان حسان :
« ما بال عينى . . . »
(٤) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة . ورواية هذا البيت فى الديوان :
« جنبى يقيك . . » الخ
(٥) متلدد : متحير .
(٦) صبحت : سقيت صباحا . والأسود : ضرب من الحيات .
(٧) الضرائب : الطبائع . والمحتد : الأصل .
(٨) تثنى : تصرف وتدفع .

والله أسمع ما بقيت بهالكٍ ... إلا بكيتُ على النبيّ محمدِ[1]
يا ويحَ أنصارِ النبيّ ورهطِهِ ... بعد المُغيَّب فى سواء المَلْحد[2]
ضاقت بالانصار البلادُ فأصبحوا ... سُودًا وجوهُهم كلونِ الإثمد[3]
ولقــد وَلدناه وفينا قبرُه ... وفضول نِعمته بنا لم نجحَد[4]
والله أكرمنا به وهــدى به ... أنصارَه فى كل ساعة مَشْهد
صلى الإلهُ ومن يَحُفّ بعرشه ... والطيِّبون على المُبارك أحمد[5]

قال ابن إسحاق :

وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نَبِّ المساكينَ أن الخير فارقهم ... مع النبى تولّى عنهمُ سَحَرا[6]
من ذا الذى عنده رَحْلى وراحلتى ... ورزقُ أهلى إذا لم يُؤْنِسوا المَطَرا[7]
أم من نُعاتِب لا نَخْشَى جنادعَه ... إذا اللسان عتا فى القول أو عَثَرا[8]
كان الضِّياء وكان النورَ نَتْبعَهُ ... بعد الإله وكان السمع والبصرا
فليتنا يوم واروْه بِمُلْحدِه ... وغيبوه وألقوا فوقَه المَدَرا
لم يترك الله منا بعدَه أحدًا ... ولم يَعِشْ بعده أنثى ولا ذَكَرا
ذلّت رقابُ بنى النجّار كلِّهِمِ ... وكان أمرًا مِنَ أمر الله قد قُدِرَا

---

(١) والله أسمع : أى والله لا أسمع .
(٢) سواء الملحد : وسط القبر .
(٣) الإثمد : كحل أسود يكتحل به .
(٤) ولدناه : يشير إلى أن بنى النجار أخوال النبي عليه السلام من قبل آبائه .
(٥) وردت هذه القصيدة فى ديوان حسان باختلاف فى بعض كلماتها وترتيب أبياتها .
(٦) نب : نبىء وأعلم، سهله ، ثم عامله معاملة المعتل .
(٧) لم يؤنسوا المطر : لم يحسوه .
(٨) الجنادع : أوائل الشر : وعتا : زاد وطغى .

واقتَسَم النئَ دون الناس كلهِمِ　　وبدّدوه جِهارًا بينهم هَدَرا[1]

وقال حسان بن ثابت يبكى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أيضاً :

آليت ما فى جميع الناس مُجتهدًا　　منّى أليةَ بَرّ غــير إفناد[2]
تا الله ما حملت أنثى ولا وَضعتْ　　مثلَ الرّسول نبى الأمة الهادى
ولا بَرا الله خلقاً من بَرِيّته　　أوفى بذمة جارٍ أو بميعاد
مِنَ الذى كان فينا يُستضاء به　　مباركَ الأمر ذا عدل وإرشاد
أمسى نساؤكَ عطَّلْنَ البيوت فما　　يَضْرِبن فوق قفا سِتْر بأوتادِ
مثل الرواهب يَلبسن المباذل قد　　أيقنّ بالبؤس بعد النعمة البادِى[3]
يا أفضل الناس إنى كنت فى نَهَر　　أصبحت منه كمثل المفرد الصادِى[4]

قال ابن هشام : عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق[5] .

انتهى الجزء الرابع من سيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبه تم الكتاب

---

(١) هدرا : باطلا .

(٢) الألية : اليمين والحلف . والإفناد : العيب . ورواية الشطر الأول من هذا البيت فى الديوان : « آليت حلفة بر غير ذى دخل »

(٣) المباذل : جمع مبذل (بكسر الميم) وهو الثوب الذى يتبذل فيه .

(٤) الصادى : العاطش . وقد وردت هذه القصيدة فى الديوان ببعض اختلاف عماهنا .

***

(٥) فى م ، ر بعد هذا وردت العبارة الآتية :

وجد بآخر بعض النسخ ما نصه : وهذا آخر الكتاب ، والحمد لله كثيراً ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الأخيار الراشدين .

أنشدنى أبو محمد بن عبد الواحد عن محمد بن عبد الرحمن البرقى قال : أوعب أبو محمد عبد الملك ابن هشام كتاب السيرة وبحضرته رجال من فصحاء العرب ، فقال :

تمّ الكتاب وصار فى القرض　　عشرين جزءا كلها ترضى
كلت بلا لحن ولا خطل　　فى الشكل والاعجام والقرض
والحمل حتى صح ناقله　　بعض من العلماء عن بعض

فهرس

الجزء الرابع

من

السيرة النبوية

لابن هشام

فهـــرس رجال السند

ن

و

ى

فهـــرس الأعلام

ح

خ

س

ش

ص

غ

ف

ق

فهرس الشعراء

فهـــرس القبائل

فهرس الأماكن

ن

هـ

و

ى

فهرس أسماء الكتب

فهـــرس الأيام

فهـــرس القوافى

ا

ب

ت

ج

ح

د

ر

س

ط

ع

ف

ق

فهـــرس الموضوعات

ذكر قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة وحديث المهاجرين إلى الحبشة .

عمرة القضاء فى ذى القعدة سنة سبع

ذكر غزوة مؤتة

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة فى شهر رمضان سنة ثمان .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك

ر وفد ثقيف و إسلامها

حج أبى بكر بالناس سنة تسع

استدراك

قلنا في صدر الجزء الأول من هذه الطبعة من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند التعريف بأبي ذرّ مُصْعب بن محمد بن مسعود الخشنى أحد شراحها : إنه خُشَنِيّ جَيّانىّ . وحَسِبْنا أنه منسوب إلى خُشَن : بلدة بإفريقية ، على ما أفاده ياقوت في معجم البلدان .

وقد هدانا البحث بعد ذلك إلى أن «الخُشنى» نسبة إلى خُشَين كقُرَيش ، وهى قرية بالأندلس ، وقبيلة من قضاعة يَنْسَبُ إليها طائفة من أعلام العلماء الذين ظهروا بالأندلس ، والمغرب وقد صرّح بذلك السيوطى في معجم النحويين ، ونقله عنه عبد القادر البغدادى في خزانة الأدب إذ يقول(١) :

«وأما مُصْعَب الخُشَنى فهو ابن محمد بن مسعود الخُشَنى ، الأندلسىّ ، الجَيّانى ، كان أحد الأئمة المتفننين ، وأحد المعتمدين في الفقه والأدب : إماما في العربية : جال الأندلس في طلب العلم ، ورَوَى عن ابن قرقول وابن بشكوال وعبد الحق الأشبيلى ، وأجاز له السلفي . وولى قضاء بلده ، ولم يكن في وقته أتم وقارا ، ولا أحسن سمتا منه ، واتفقوا على أنه لم يكن في وقته أضبط منه ، ولا أتقن في جميع علومه : حفظا وقلما ؛ وكان نقّادا للشعر وعارفا أخبار العرب وأيامها وأشعارها ولغاتها ، متقدما في كل ذلك .

والخُشنى «بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين ، وبالنون» : نسبة إلى خُشَيْن كقريش ، قرية بالأندلس ، وقبيلة من قُضاعة ، وهو خُشَين بن النمر بن وبرة بن تغلب بن عمران بن حُلوان بن الحاف بن قضاعة . كذا في معجم النحويين للسيوطى» اهـ .

---

(١) انظر الجزء الثانى من خزانة الأدب في شرح الشاهد الثانى والثلاثين بعد الأربع مئة ص ٥٢٩ من طبعة بلاق .